عَرَايَا الرُّوح

رواية

حلا المطري

عنوان الكتاب : عَرَايَا الرُّوح

المؤلف : حلا المطري

المراجعة اللغوية : محمد حامد

الإخراج الداخلى : رشا عبدالله

تصميم الغلاف : عبدالرحمن حافظ

رقم الإيداع : / ٢٠١٥

ردمك :

الطبعة الأولى: يناير 2016

المدير العام : هاله البشبيشى

مدير النشر: أحمد القرملاوي

مدير المبيعات : شريف الليثى

دار تويا للنشر والتوزيع

dartoya2015@gmail.com

Dar.toya دار تويا للنشر و التوزيع

@Dar_Toya

Dar.toya

(+2) 01140899887 - (+2) 01000706014

٢٦٣ ش عبدالوهاب عبد اللطيف –كوبرى القبة –
القاهرة – مصر

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار

رواية

عَرَايَا الرُّوح

حلا المطري

دار تويا للنشر والتوزيع

إهداء

وطـلَّ ليـلٌ مـن شُرفـةِ الشـوق. . ليـلٌ يُسـيّرني نحـوَ قلـمٍ، وورقـةٍ عـذراء. كي أزُفَّها بحـروفي " إليكـم ". . ورحلـة. . . مـن الشـتاءِ للصيف...

لذا. . .

إلى مـن تَهُمّـه قضايـا الحـرف، وكيـف تكشـفُ لنـا سَـوءات الحيـاة عـلى شـفاه سـطورها. . هاكُـم حروفـاً عاريـة. . لا تخـشَ عُريهـا. .

وإلى أمّـي، وأبي. . وإخـوتي. . بدونكـم لا أكـون حـلا. . . ومـا الحـلا بدونكـم؟

وإلى صديقـاتي وأصدقـائي، بكـم الحيـاةُ أجمـل. . سـامية وهبـة وياسـمين " سِرب البومـات " وفاطمـة ونـدى. . والزميـل العزيـز صلاح طـارق.

وإلى الحبيـب. . . حـين يختـارني. . وأختـارهُ. . ذاتَ شـتاءٍ ربّمـا. . أو ربيـع!

مودّتي. .

حلا المطري

١

المترو. . . "العادة" المصريّة. .

الشَّـقاء، اللّامفـر لأغلـب أبنـاء الشَّـعب. . أبنـاء الغاليـة تـارةً والمحروسـة تـارةً أخـرى. التصـاقُ الأجسـاد الذائبـة وتـزاوجُ الأنفـاس في عجالـةٍ عـلى مـرأى مـن الجميـع. . حركـة الأقـدام السريعـة كدبّـاتِ النمـل في آنٍ واحـد.. صهـدُ الجُـدران الـذي يلفَحُـكَ فـورَ وصولـكَ إلى نفـقِ المُشـاة الأرضي، تلـكَ العتمـة النّفقيّـة الأولى التـي تُبـشِرُك بيـومٍ طويـل وشـاق، يـوم مـصري بامتيـاز. لا فـرقَ بـينَ صيـفٍ وشـتاء، والحـقُّ أنَّ الصّيـف أَلعـن، حبّـاتُ العـرقِ المتسـاقطةِ عـن جسـدكَ تـكادُ تدعـوكَ لخلـعَ جلـدك قبـلَ ملابسـك..

والصراخَ عاليًا:

- "يا دين أمّي ع الحر"

لِـمَ يتحـول البـشر إلى آليـن في هـذا المـكان الأغـرب تحـتَ الأرض؟ الـكلُّ في عالمـهِ تائـه. . لا يهمَّـهُ سـوى الوصـول إلى وجهتـهِ مـن خـلال هـذا العـالم الفوضَـويّ السّريـع بجـوازِ سـفرٍ أصفـرٍ فاقـعٌ لونـه، فتجـدُ منهـم مـن يمسـكُهُ بيـده، ومنهـم مـن يضعـه في جيبـه،

وأُخريـات يحشرنَـهُ حـشرًا خلـفَ حجابهـنّ خشـيةَ أن يضيـع ويُهـدَر رمـق الجنيـه.

رجـال ونسـاء آليـونَ بامتيـاز. . إلى أن يصـل "الكرنفـال المتّنقـل الأعظـم" الـذي يجمـع جميـع فئـات الشَّـعب. . بـدءًا مـن الطبقـات الوسـطى وصـولًا إلى مَـن يعيشـون تحـتَ الأرض أحيـاءًا، أولئـك الذيـن يأكلـون الـترابَ أكلًا، ناهيـكَ عـن الباعـة المتجولـين الذيـن يقذفـون بضائعهـم عليـك، وعليـك قـصرًا تلقفهـا منهـم وهـم يـرددون أغـرب العبـارات المحشـوة بلفـة "حشـيش معتـبرة" ثـم يعـودون ليجمعـوا بضائعهـم عـلى عَجـل وهـم يلعنـون سرًا كل مَـن لم يشـتر.

هنـاك حيـث وقـف ذلـك الشَّـاب قمحـي الطَّلـة في انتظـار المـترو القـادم واضعًـا كِلتـا يديـه في جيبـه، نظـر يمينـه فوجـد شـابًا وفتـاة يتبـادلان الحـب كنسـخةٍ رديئـةٍ مـن روميـو وجولييـت، وقـفَ يطالعهـما وهـو يرفـعُ حاجبًـا إلى أن لَحِظَـهُ الشَّـاب مدهـون الـرأس ونهـرَهُ قائـلًا:

- "في حاجة يا كابتن؟"

فحيّـاه يـزن بيـده وأشـاح بوجهـه في انتظـار قـدوم المـترو، فليـسَ مـن شـأنهِ أن يقـول:

- "هو الحب ولّع في الدرة كده عشان تحبوا فبعض هنا؟"

لأن أقرب جملة سيلفظها "الحبّيب":

- "وأنت مال أمّك؟"

وصل "سبع البرومبة" أخيرًا وهو يكتظ بالخلق حدّ الالتصاق بالنوافذ والأبواب وكأنه "سيطفح" بشرًا في أي لحظة. منظر يُفزعك للوهلة الأولى وفي كل مرة، لكنّك سرعان ما تستكين حينَ تصبح بينهم -واحد بين المئات- إلى أن يشهق راكب آخر من هول المنظر. . وهكذا اليوم يسير . !

دخل يزن المترو بعد عَناء، عادةً ما يقف قبالة الباب ليطالع انعكاسه الشارد، ليتأمل سنين عمره الثمانية والعشرين وعيناه المجهدة بالأمس والوطن.

وصل إلى محطة روض الفرج حيث يقطن في "شبرا" العظيمة.

استقل حافلة صغيرة أخرى لتأخذه "لأولاد بطيخ" حيث يشرب من هناك التمر الهندي المعتاد قبل صعوده إلى عرينه المتواضع.

استقبلته يسرا بعينين ضاحكتين:

- "بتشرب التمر الهندي زي الأطفال، بُص لشنبك الأحمر."

واسترسلت في ضحكاتها، ابتسم لها قائلًا:

- "آه أنا طفل، عندك اعتراض؟!"

وأخذها بين ذراعيه وقال هامسًا:

- "أجمل أخت في العالم!"

فابتسمت له بحنان، قبل أن تستغل قربها من أذنيه، وقالت هامسةً:

- "نفسي ترجع تصلي تاني زي زمان يا حبيبي"

تنهد طويلًا وأبعدها تلقائيًا عن ذراعيه وقال:

- "فين الغدا؟ أنا جعان جدًا"

فعاد ينكسر بريق عينيها، وقالت:

- "ثواني ويكون جاهز"

دخلتْ إلى المطبخ، لتقف خلف أمها التي يتصبّب وجهها حبًا وقالت:

- "ابنك وصل يا ماما"

لم تجبها الأم، بل راحت تتحرك سريعًا في أرجاء المطبخ وتثير جَلَبة هنا وهناك، فلقد وصل الغالي ابن الغالي. . حريٌّ بالغداء أن يجهز، أعدت له المكرونة بالبشامل التي يحبها، مع سلطة "الكرومب" المعتبرة والجيلي بقطع الموز كتحلية وعصير البرتقال الطازج.

أسند ظهره على السرير بعد أن ألقى تصاميمه الهندسية جانبًا وخلع ملابسه ليظل ب"البوكسر" وقميص داخلي من "قطونيل" أو "قطونيلة" كما يحب أن يسميه، كم تصر أمّه أن يرتديه، ومع هذا لا يرفض لها طلبًا حتّى لا يزعجها. وضع ذراعًا أسفل رأسه وراح يحدق بالسّقف وبتلك المروحة المعلّقة كذبيح يحتضر. .

السجائر كانت بعيدة كفاية ليصل إليها. . يلزمه جسد آخر لينهض، وروح أخرى. ظلّ يحدق بالعلبة آخر الغُرفة ويتمنّى لو أن يدًا سحرية مدّته بها!

أغمض عينيه سَهوة. . لحظات قليلة تمر، وغاااااب عن الدنيا تمامًا كطفل شارد. . يحب التشرد!

وجد نفسه إمام جامع يعتلي منبرًا في مسجد كبير، مسجد لا سقف له، وفي السَّماء غربان تنعقُ وتطير بنغم دائري، وأمامه بشر لا وجوه لهم، يجلسون على سجاجيد صلاة قذرةٍ موبوءة بالخطيئة، ونساء كاسياتٌ وأُخَرُ عاريات، وقوارير نبيذ مُكدّسة ومُلقية هنا وخارج هنا. . وضحكات زانية وصخب عاهر. أمسك ورقة الخطبة التي يتراءى له أنه أعدّها مُنْذُ أيام الثانوية فوجد الورقة تتراقص فيها الحروف إلى أن تلاشت تمامًا منها. فألقاها جانبًا وراح جبينه يتصبّب عرقًا، لم يكن يرتدي ما يوحي بأنه إمام لجامع، بل كان يرتدي بِنطال جينز هابط الخصر يظهر ملابسه الداخلية وأوائل مؤخرته و "تي شيرت" صاخب مكتوبٌ عليه:

“I don’t give a sh@% “

أمسك الميكروفون وقال بصوت جهوريٍّ قلِق:

"إن الحمد لله. . نحمده ونستعينه ونستغفره. . . . ."

وإذا بغانية تضحك وتقطع حديثه. . قائلةً:

- "يلا قوم يا كوكو إنت نمت ولا إيه؟؟"

انتفضَ يزن من نومه وكأنه يهوي من على جبل، إنها يسرا توقظه. . راحت تهدئه ب "بسم الله الرحمن الرحيم" وتقول جَزِعة:

- "مالك؟"

نظر إليها مذعورًا ومن ثمَّ إلى أرجاء الغرفة، وحين اطمئنّ أنه عاد سالمًا إلى الواقع الأشد قسوة، قال:

- "مفيش. . مجرد كابوس!"

- "تاني؟ ؟"

فأجابَ كمَن يحب الفرار:

- "أنا جعان يا يسرا!"

- "الغدا جاهز"

- "ثواني وطالع"

أعـدل مـن جلسـته، وغطّـى وجهـه بكفيـه بعـد أن طلـب منهـا أن تمـده بعلبـة السجائر.

تنهدت وقالت:

- "ربنا يهدي"

وخرجـت بعينـين دامعتـين، عـادت لدفـتر مذكراتهـا تشـكي لـه وجعًـا بحروفهـا ذات الثمانيـة عـشر عامًـا، يـزن لم يعـد يـزن! يـزن هـو شـبح ملعـون لأخ تعشـقه حـدّ الوجـع والحـب.

كـم تتمنـى لـو يعـود يومًـا لهـا ذاك الأخ الطيـب المُسـالم المُهتـد فـلا تشـعر بالغربـة كلـما رأتـه.

رنّ هاتفهـا، نظـرت إلى الشاشـة بانكسـار وسرعـان مـا ارتسـمت بسـمة ملائكيـة عـلى شـفاهها سرقتهـا مـن براثـن أخ لم يعـد يومًـا كـما كان. .

٢

منبّـه الهاتـف راح يـرنُّ بأغنيـة صاخبـة لأحـدى الفـرق الأمريكيـة "Backstreet Boys" وأغنيـة:

-I just want you to know

فتحـتْ عينًـا وهـي تغلقـهُ في تكاسـل، وعـادت تمـدد جسـدها النّصـف عـاري عـلى السريـر وهـي تضـم الغطـاء بـين قدميهـا، كـم تحـب النـوم هكـذا، صيفًـا وشـتاءً!

للنـوم طقـوس عندهـا، تنـام بـكل مـا هـو خفيـف، قصـير، مكشـوف، وكأنّهـا لا تريـد أن يكبـح أحلامهـا شيء. لا تحـب أن تضـم شـعرها الغجـري قُرمـزي اللـون، تفضلـه مسـدولًا عـلى ظهرهـا وكتفيهـا بحريـة. مـدّت سـاقيها ويديهـا في اتجـاه معاكـس ودوى عـن ذلـك صرخـة أشـبه بمـواء القطـط الفارسـية وتنهيـدة تتلوهـا:

- "مش شايفة قداااااااامي"

السَّـاعة السَّـابعة إلا خمـس دقائـق، ارتـدت رُوبًـا بعـد أن أخـذت تلـك المنشـفة سـورية المنشـأ والتـي ابتاعتهـا في إحـدى رحلاتهـا إلى هنـاك.

فتحـت صنبـور الميـاه أسـفل "الـدش" وبقيـت تنتظـر للحظـات حتَّـى امتـلأ الحـمام بالبخـار. جلسـت عـلى طـرف "البانيـو" في انتظـاره أن يمتلـئ بالمـاء. أزالـت عنهـا الـرُوب، واعتلـت "البانيـو" ككيلوباتـرا حـينَ تعتـلي العـرش، إلى أن تمـددت تدريجيًـا وهـي تهمـس:

- "وح وح"

وذابـت مـع الميـاه. أغمضـت عينيهـا، فـلاحَ في الأُفـق نسـيم والديهـا، قتيـلا العـام المـاضي عـلى يـد سـائق طائـش.

أدمعـت مقلتيهـا وارتعشـت شـفتيها، فأعدلـت مـن جلسـتها وتكّورت كجنينٍ يتيـم. وراحـت تشـهق بالأمس، تبـكي، تنـوحُ بصمـتٍ إلى أن ضاقـت بهـا ضلوعهـا، دُقَّ البـاب وأتى صـوت مبحـوح مـن الخـارج:

- "ليـه بتعيطـي دايمًـا في الحـمام؟ ارحمـي عنيـكي، هتظهـري ع الهـوا كـمان سـاعتين!!"

وصمت ذلك الصوت. .

مسـحت فـرح دموعهـا، وتنهـدت للمـرة الأخـيرة، ونهضـت كفرسـة مُبتلـة بـالألم والشـموخ.

وضعـت المنشـفة حولهـا، وراحـت تحـدق في وجههـا في المـرآة بعـد أن أزالـت البخـار عنهـا.

كـم يرسـم المـوت أشـباحًا عـلى وجوهنـا، فتصيبنـا لعنـات الذكـرى والأمس!

خرجـت مـن الحـمام، وجـدت عمتهـا لبنـى تهاتـف أحدهـم، أدارت ظهرهـا لهـا، فسـمعتها تقـول بعـد أن وضعـت سـماعة الهاتـف عـلى كتفهـا:

- "قولي لأنيتا تحضرلك الفطار!!"

- "فين علبة السجاير؟؟"

سألتها فرح لا مبالية.

فأجابتها العمة لبنى:

- "ع الكونسول، افطري الأول"

توجهت فرح تلقائيًا إلى حيث أعقابها المهدئة، أمسكت علبة الـMarlboro الحمراء وأشعلت واحدة بهدوء، وصاحت:

- Anita, bring me my new clothes and my coffee, please!

فأتاها صوت صغير من أحد الغرف:

- Right away madam!!

فراحت فرح تتأفف من أمر هذه الأنيتا التي تدعوها دومًا بالمدام وهي في الحقيقة آنسة ذات ستة وعشرين عامًا. .

دخلت غرفتها بعد أن اطفأت سيجارتين صباحيتين، وألقت نظرة على ملابسها الجديدة التي وصلتها من فرنسا، وارتدتها على عجل وهي تحتسي قهوتها الحالِكة.

بِنطال جينز فاتح، خُلِق لينحت ساقيها. . وبلوزة بيضاء دائرية الصدر مرسوم عليها مارلين مونرو بشفاهها الطاغية. . ارتدت سلسالًا ذهبيًا طويلًا، وخلخالها الفضي، وكعب الـ ١٢ سم المعتاد. شربت آخر رشفة من القهوة وهي تصفف شعرها الطّويل.

لم تضع أي مستحضرات تجميلية كعادتها، هذه وظيفة مبنى الإذاعة والتلفزيون. والحق أنها تؤمن أن المكياج خلق ليواري سَوءة، ولكن استخدامه ضروري. . خصوصًا في مجال عملها. فرح عصام، المذيعة الصباحية المتألقة دومًا وأبدًا في أحد البرامج

الشبابية الناجحة. . "بسمة الصباح" كما يطلق عليها معجبيها على الفيس بوك. . أكثر من خمسين ألف متابع لها في ذاك العالم المزيف الأزرق، كم تشفق عليهم وتكره سطحيتهم. فلولا جمالها لما اكترث لها أكثر من نصف ذلك العدد. لولا تلك الصورة المشاكسة لها على صفحتها لما نالت تلك الأعداد المهولة من الـ followers .

رب ضارة نافعة/كاذبة.

استقبلها كريم مُعدّ البرنامج، الفتى السريع كما يطلق عليه.

- "قريتي الأسئلة"

أومأتْ برأسها أنْ نعم وهي تطالع هاتفها الذكي وهي تكتب منشورًا صباحيًا ترضي به جياع الفيس بوك.

- "مزاجك عال النهارده؟؟ شربتي قهوتك؟ ، سجايرك؟"

- "كله تمام يا معلم. . ، ناديلي بس على محيي علشان المكياج"

فانطلق كريم كالرمح، وصلت فرح إلى غرفتها الخاصة، وجلست على كرسي علوي أمام مرآة كبيرة وبكلتا يديها راحت تمسح خديها. اليوم ستقابل مجموعة من الشباب الجامعيين الذين كوّنوا سربًا خيريًا بعنوان "يوم لغيرك" يساعدون فيه المحتاجين بطرق مبتكرة وقلوب عامرة بالخير.

- "هم دول بجد؟؟"

راحت تسأل نفسها.

وصل محيي. . لا يزال يرتدي بِنطالًا ضيقًا لا يتناسب أبدًا مع "كرشه" المتدلي:

- "صباح الخير"

ألقاها باسمًا.

- "أهلًا يا محيي. . إزيك يا فنان؟؟"

- "بخير يا بدر البدور، مش ناوية تبطلي سجاير بقى؟؟"

لم تجبه، فقال:

- "باين قوي إنّك مدخنة من بشرتك، التجاعيد اللي جمب عنيكي الجميلة واضحة قوي وال. . ."

- "أصبحنا وأصبح الملك لله. . محيي. . انجز وحياة أبوك."

أجابها بابتسامة وهو يضع كريم الأساس على وجهها بمهارة فني تجميل. فأعطته وجهها بانهزام وهي تفكر بذاك القناع الفاكهي الذي يحمي البشرة من التجاعيد. توت؟ أم خوخ هذه المرة؟؟

دخلت الأستوديو، الغرفة المثلجة، يا الله كم تكره الديكور القاتم ذاك، ولكن كريم وعدها أن يأتي بمصمم ديكور يُغيّر طلّة المكان. سرقت الأنظار إليها كعادتها حتّى وصلت إلى مقعدها. رحبت بالشباب المُتفائل إلى أن صاح كريم:

-"يلا ع الهواااا. . . خمسة، أربعة، تلاتة، اتنين. . اضرررررب"

نظرت الفرسة صوب الكاميرا بثقة كل صباح:

-"صباحكم حُب. . صباحكم ورد، صباح الأمل والبهجة عليكم، وحشتوني من امبارح للنهاردة، حبايبي.. بوعدكم بحلقة جميلة مع شباب أجمل، شباب جدعة مصرية أصيلة عندها فكر وإبداع مختلف وحابة إنها تعمل حاجة جميلة لمجتمعنا المصري في ظل ظروف البلد الحالية، تعالوا مع بعض نرحب دلوقتي بيهم ومعانا. . . . ."

كذب المذيعون ولو صدقوا

* * * * *

٣

يوم مُشمس آخر، نهار مشتعل بالبشر، ضجّة مرورية مُعتادة، هناك حيث ينتظر أحمد في سيارته ال "بي أم" الجديدة سرب السيارات أن تسير على الدائري.

يستمع لموسيقى كلاسيكية هادئة وهو يحتسي قهوته المعتادة من star bucks.

نظر في ساعته الروليكس وهو يتثائب بضجر:

-"أبو أمك يا دائري"

يبدو شابًا أنيقًا بلسانٍ سليط، هكذا هو أحمد الشّرقاوي، فتى أبيه المُدلل صاحب شركات الشّرقاوي لتصدير الحديد، أحمد عز رقم خمسة أو رُبما ستة في البلد.

وسـيم في الخامسـة والعشريـن، أرعـن، مُتمـرد بطبعـه، لا يعـترف بالرتابـة مطلقًـا. ترجّـل مـن السّـيارة أخـيرًا وراح يفـك زر بدلتـه فـور خروجـه منهـا. اسـتقبله الحـراس بالتهـاني والتبريـكات وكأنـه نبـي أو مـن أوليـاء اللـه الصالحـين. .

- "يا أهلًا بالباشا. . يا أهلًا بالباشا". .

لا يمـر بالشّركـة سـوى لبضعـة مـرات في الشّـهر، لمتابعـة الأعـمال وآخـر المسـتجدات، ولرؤيـة موظفـات الشّركـة الجديـدات ليختـار منهـن فريسـته.

انتفضـت سـارة لـدى رؤيتـه ونهضـت عـن مقعدهـا خلـف المكتـب. .

- "أستاذ أحمد!!"

قالتهـا بقلـق، نظـر إليهـا سريعًـا وهـو يهـمّ بالدخـول لمكتـب والـده، وقـال بعـد أن أشـاح بوجهـه عنهـا:

- "أنا شربت قهوة خلاص"

سـارة، فاكهـة الشّـهر الماضي التـي افترسـها أحمـد، الهـدف قصـير الأمـد، الشّـهوة منزوعـة الـروح، الجسـد!

عـادت تجلـس لمقعدهـا بتخـاذل وأدمعـت عينيهـا فسـالت الماسـكارا عـلى وجههـا الجميـل.

- "هو أنا عملت في نفسي إيه؟"

راحـت تسـأل نفسـها وهـي تسـتكمل أعمالهـا عـلى جهـاز الكمبيوتـر، فلـم تسـتطع تمالـك نفسـها إذ تزاحمـت دموعًـا في عينيهـا، ففـرّت إلى الحـمام.

هنـاك حيـث أقفلـت البـاب خلفهـا كي لا تدخـل إحـدى الموظفـات خلفهـا وتشـمت بهـا بعـد أن فـاح إثمهـا. وراحـت تحـدق في مـرآة مُعلّقـة لا تذكرهـا سـوى بخطيئتهـا. راحـت تمسـح دموعهـا السّـوداء وتُعيـد تهذيـب شـعرها المُمـوج الطّويـل. أغمضـت عينيهـا وراحـت تذكـره حـينَ قـال لهـا حروفًـا أربـع ذات يـوم. . حـينَ قالهـا وهـو يُقبّـل أصابـع قدميهـا الخمـس قبـل أن يعتليهـا. . ومـا إنْ انتهـى منهـا، حتَّـى ابتسـم في وجههـا ابتسـامة لم تفهمهـا وقتهـا إلا أنهـا اعتقدتهـا ابتسـامة سـلام بعـد سـاعتي عشـق طويلـة، لكنهـا الآن تُـدرك مرارتهـا، كيـف لتلـك القُبلـة الأولى أن تكـون بهـذه المـرارة الآن؟ والقُبَـلُ لم تُخلَـق إلّا لتزيـدَ الشّـفاه حـلاوةً؟؟

سـارة لم تكـن سـوى أُخـرى في سـجلاته النّسـائية الطّويلـة، لكنهـا أُخـرى أحبتـه حـدّ الوجـع، فأُصيبـت بالعمـى مـن كل الأشـياء إلّاه.

وضعـت أحمـر الشـفاه، وأخرجـت هاتفهـا لتتصـل بـه ولكنّـه سرعـان مـا أنهـى المكالمـة قبـل بدئهـا. فوضعـت الهاتـف جانبًـا في تخـاذل. انقضـت لحظـات، نظـرت لانعكاسـها في المـرآةِ مجـددًا، ووضعـت أناملهـا عـلى شـفاهها الحمـراء ومـن ثـمَّ بحركـة سريعـة عـلى خدّيهـا. هـي توهـم نفسـها أنّ لهـا وجنتـي عـذراء، إنهـا أخـرى تُـداري سَـوءة.

أحدهـم دقَّ البـاب، عـادت تنتفـض. . فتوجّهـت إليـه لتجـد كارمـن وهاجـر في وجههـا ولكنهـا سرعـان مـا أشـاحت بعينيهـا عنهـنّ لتسـمعهنّ لاحقًـا يُقهقهـنَ بصـوت منخفـض. . وآهٍ مـن حـواء حـينَ تشـمت بأخـرى، كيدهـنّ إذا أردن عظيـم.

أما في المكتب، كان أحمد يقف خلف مقعد والده سمير الذي كان يجلس باسترخاء الملوك ويتابع معه أعمال الشّركة الخارجية والداخلية على الحاسوب، والأرباح والبورصة وكل ما يخص الشّركة المحروسة.

- "أنا مسافر شرم الخميس اللي جاي."

لفظها أحمد باسمًا، نظر إليه والده الذي يشبهه كثيرًا ولكن بتجاعيد أكثر وشعر مشتعل شيبةً، وقال:

- "مممممممم. . مع مين المرادي؟؟ كارمن ولا سوزي ولا سارة ولا هاجر؟؟"

وإذا بأحمد يقهقه عاليًا، ويقول:

- "لا يا بوب. . مفيش نسوان المرادي، أنا والشلّة إياها بس، بلا نسوان بلا همّ يا جدع"

وإذا بهاتفه يرن:

Prostitute No. 19 is calling

سارة تتصل مجددًا، نظر إلى الهاتف بضجر بعد أن قتل شوقها بكبسة زر أحمر، ولكنّه هذا المرة أرسل إليها رسالة:

- "أظن إن أنا قلتلك إن اللي بينا انتهى، ياريت تركزي في شغلك ومتبوظيش علاقة الصّداقة الجميلة اللي بينا"

صداقة!!

يا له من موهوم هذا الأحمد، عن أي صداقة يتحدث وقد اخترق حدود الجسد، إنه لا يعلم أن الأنثى بعد الحب والعشق

لا تقبـل بذلـك الكـرت المحـترق المدعـو بالصّداقـة، فإمّـا أن تنكـسر فترحـل، وإمّـا أن تسـتغل مـا أعطاهـا اللـه مـن كيـد لتلقيـه في وجهـه.

وضع الهاتف في جيبه بعد أن قام بإغلاقه وقال:

- "مش بقولك بلا نسوان بلا همّ؟؟"

صمت قليلًا ثم قال:

- "وظفتوا بنات جديدة في الشّركة يا بوب؟؟"

*****

٤

هـا هـو يصـل إلى محطـة محمـد نجيـب ليقابـل الشـلّة في أحـد المقاهـي المُعتـادة، في جيبـه آخـر خمسـة جنيهـات يتيمـة وعـودا سـجائر ملغمـين "ع الحسـاب" مـن عـم طاهـر "صاحـب الكشـك".

كان الطريـق طويـلًا بمـا يكفـي ليسرقـه الواقـع للحظـات. . كان ظهـره مُثقـلًا بالفشـل واليـأس. لم يكـن صابـرًا، كان أحـد شـباب مـصر المُتصبّريـن، ومـا بـين الصـبر والتّصـبّر. . شـعرة، أو سـيجارة حشـيش.

هاتفـه "الأرنـب" يـرن كتلـك الألعـاب الصينيـة الصغـيرة المكدسـة عـلى أرصفـة وسـط البلـد، إنهـا بالأحـرَى أُمّـه تذكـره بإحضـار البيـض والبسـطرمة، أو رُبمـا والـده المتصـل، يتصـل بـه ليلعـن فشـله ثـم يُنهـي المكالمـة بشـتيمته المعتـادة "يـا حيـوان"، أو تراهـا أمـيرة؟ ؟

تريـد مقابلتـه لاشـتياقها لـه؟ لم يخـرج هاتفـه مـن جيـب بِنطالـه الـرث. واندفـن بـين المشـاة. . يطالـع وجوههـم الغائبـة هـي الأخـرى.

أمجد. . مُغترب آخر، في قلب موطنه، يعانق خذلانه له!

جلس وتنهّد باستفاضة وقال:

- "وحشتوني يا أوساخ، الواد الشّرقاوي فين؟"

نظر إليه يزن بامتعاض:

- "هو إنت جاي عشان الشّرقاوي بس؟ بيركن العربية وجاي"

وضـع الأول يـده في جيـب بِنطالـه وأخـرج هاتفـه وأعقـاب السـجائر الرديئـة وسلسـلة مفاتيـح صدئـة ووضعهـا عـلى الطاولـة وقـال:

- "يزن معاك ولاعة؟ خرمااااان وطالع ميتين أهلي"

أجابـه عبداللـه بعـد أن وضـع كتـاب "لا تحـزن" لدكتـور عائـض القـرني جانبـًا وقـال:

- "يـا ابنـي حـرام تقـول ميتـين أهـلي دي والعيـاذ باللـه. . ((لا يجـوز لعـن الميـت، اذكـروا محاسـن موتاكـم))، قـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: ((ليـس المؤمـن بالطعـان ولا اللعـان ولا الفاحـش ولا البـذيء.))"

نظر إليه أمجد للحظات صامتة قبل أن ينفجر ضاحكًا ويقول:

-"يـا دييييييييييـين النبييييييييييييـي. . عـليَّ النعمـة هتخـش الجنـة حـدف يـاد يـا عبداللـه. . وحياة أبـوك نقطني بسـكاتك

وبطل فرجة على قناة الناس حبتين. . بقولك خرمااااااان. . عارف يعني إيه خرمان؟؟"

-" يعني إيه خرمان؟"

-" يعني طالع ميتين أهلي. . هات أولع يا ابني"

وجه طلبه الأخير ليزن الذي كان يبحلق في ملامح عبدالله بصمت، يدرس تضاريس ملامحه، ووجهه الأبيض الملائكي، نور من عدم، أو هكذا يعتقد، لحية خفيفة بسببها يسمى "إخوانيا"، ابتسامة تضيع من صدقها، ورع. . طُهر لا عُهر!

قال عبدالله:

- " ربنا يهدينا ويهديك. . وعلى فكرة. . قناة الناس اتقفلت بقالها زمن يا خِفة"

كل هذا ويزن لا يزال يحدق به بصمت، وعالمين يشتعلان في نفسه. . "طُهر مشكوك في أمره"، راح يهدئ نفسه، وهو يذكر لحية الأمس التي كانت توصم وجهه، ويذكر أيام العبادات والطاعات المهدورة، والصراط الذي ظنه مستقيمًا.

كان سينطق بما لا يَسُر عبدالله لولا انضمام الشّرقاوي إليهم أخيرًا، جلس الأخير مُتأففًا بعد أن وضع هاتفه ومفتاح سيارته على الطاولة:

- "مبتملوش من الزحمة اللي هنا؟"

يتنهد ثم يقول:

- "هااا إيه الأخبار يا متاعيس؟؟"

ضحك أمجد وقد أشعل سيجارته بولاعة يزن وقال:

- "متاعيس؟؟ حقك تقول علينا متاعيس يا ابن المحظوظة"

أجاب أحمد:

- "عندي ليكو مفاجأة بمليون جنيه. ."

رد أمجد سريعًا:

- "اديني المليون وأعملك اللي أنت عايزه"

فقال عبدالله:

- "استر يارب"

فاسترخى أحمد على مقعده الخشبي الغير مُريح وقال وهو يقلب قائمة المشروبات بتعال:

- "يوم الخميس اللي جاي هاخدكوا رحلة لشرم"

وصمت قليلًا ثم قال:

- "على حسابي"

فانتفض أمجد من مقعده:

- "احلف؟ ؟ هو ده الكلام يا معلم. ."

قال عبدالله وهو يقلب كتابه مُجددًا:

- "فاكِس"

لحظات ونظر ثلاثتهم إلى يزن في انتظار رده، كان لا يزال ملعونًا بالصمت وقد آثر أن يكون جسدًا لا روحًا. . هو غائب عنهم، يعد عمره. . يحصي أوجاعه، يجالس إبليسه دومًا. .

نظر إليهم بذات البرودة، ، قال:

- "النفسية محتاجة شمس وبحر"

ابتسم أحمد بانتصار ووضع كلتا يديه خلف رأسه وقال:

- "أوعدكوا هننبسط"

رنّ هاتفـه، أمـال نحـو الطاولـة قبـل أن تتـلاشى بسـمته تمامًـا ويخطـف الهاتـف بقلـق وينهـض عـن الكـرسي بسرعـة وكأنّ عزرائيـل هـو المُتصـل. .

رفع يزن حاجبًا وقال بعد أن سار أحمد لخطوات مُبتعدًا عنهم:

- "ماله ده؟"

أجاب أمجد:

- "إحنـا مالنـا يـا جـدع. . بقولـك إيـه. . هـات موبايلـك كـده عشـان يلزمنـي عبـال مـا الـواد أحمـد يطلبلنـا أكل، وافتحـلي فيلـم ثقـافي"

- "استغفر الله العظيم. ."

قالهـا عبداللـه آسـفًا. . فابتسـم يـزن حتَّـى ظهـر صـف أسـنانه كلـه، وقـال لأمجـد وهـو يناولـه هاتفـه:

-"خد يا صاحبي. . اتفرج براحتك"

وعـاد لمقعـده وهـو ينظـر لطيـف أحمـد الـذي انشـغل بمكالمتـه الهاتفيـة عنهـم. .

* * * * *

٥

- "اتصلي بابن عمّك. ."

نظرت ليلى إلى أُمها باستياء وقالت:

- "أنـا دايمًـا الـلي بتّصـل بيـه، وهـو مبيسـألش عنـي. . وحتَّـى لما بنتكلـم بيكلمنـي مـن طـرف مناخـيره، أنـا دايمًـا الـلي بتشـحت صوتـه وأخباره."

ضربتها أُمها ضربة خفيفة على رأسها وقالت باسمةً:

- "يـا بـت بطـلي عِنـد يـا بـت. . وكلميـه قوليلـه إن إحنـا نازلـين القاهـرة قريـب، لـو أُمـه عايـزة حاجـة مـن البلـد كـده ولا كـده"

نهضـت ليـلى عـن الكـرسي بضجـر ووقفـت أمـام المـرآة ترتـدي حجابهـا بغضـب وقـد وضعـت الدبابيـس في طـرف فمهـا وراحـت تدسـها في حجابهـا وكأنهـا تدسـها في دماغهـا، قالـت وفي فمهـا دبوسـين آخريـن:

- "هكلمه وهيستفزني وهطلّعه ع البنات!!"

صاحت الأم أمينة:

- "وذنـب طالباتـك إيـه يـا مجرمـة؟ اسـتعيذي باللـه من شـيطانك. . وتـوكلي عـلى الله."

التفتـت ليـلى إليهـا، وقالـت وهـي تأخـذ حقيبتهـا وتشـد بلوزتهـا الطّويلـة إلى الأسـفل فـوق التنـورة:

- "عايزة مني حاجة وأنا راجعة؟"

- "لأ. . متتأخريـش. . أنـا مـش عارفـة شـغل المدرسـة طلعلنـا مـن فـين!!"

انقضت ثانية فصاحت الأم:

- "آه. . هــاتي لفتــين جرجــير وبقدونــس مــن أم فتحــي وإنتــي جايــة"

خرجــت ليــلى مــن شــقتها بعــد أن وضعــت قُبلــة صباحيــة عــلى جبــين والدهــا وهــو مُنشــغل يطالــع صحيفتــه. .

المدرسـة عـلى بعـد خطوتـين منهـا، هكـذا اشـترط عليهـا ابـن العـمّ حينـما وافـق بصعوبـة بالغـة وعـلى مضـض أن تعمـل فـور تخرجهـا مـن الجامعـة. ليـلى خريجـة آداب قسـم لغـة عربيـة تجـرب حظهـا كمدرسـة لغـة عربيـة أولى في مدرسـة للبنـات، اختارهـا لهـا ابـن العـمّ أيضًـا. . .

أخرجـت هاتفهـا مـن حقيبتهـا، وطلبـت رقـمًا تحفظـه عشـقًا. . لحظـات بـدت دهـرًا، إلى أن أجـاب عريـس المسـتقبل:

- "ألو"

- "صحيتك؟"

أجابها صوته مُتكاسلًا:

- "مش مهم، أخبارك؟"

- "الحمد لله. . وأنت؟"

- "كويس. . رايحة المدرسة؟"

- "في السكة أهو"

-"مممممممممم. . لابسة إيه؟؟"

- "بلوزة طويلة وواسعة ومن تحتها جيبة واسعة برضو"

- "الطرحة مغطية صدرك؟"

راحـت تعـض شـفتها السُّـفلى بقلـق وقـد صفعتهـا كلمـة "صدرك" حتَّـى شـعرت أنهـا عاريـة أمامـه، كيـف لـه أن يتحـدث عـن المحـرم؟؟ المحـرم حتَّـى بالنسـبة إليهـا!

أجابت باضطراب:

-" كلـه تمـام. . إحنـا نازلـين القاهـرة قريـب، أمـي بتقولـك عايزيـن حاجـة مـن هنـا؟"

-"خلي أمك تكلم أمي، مليش أنا ف الكلام ده".

عضـت ليـلى شـفتها السـفلى مجـددًا بغضـب وراحـت تلعـن قرارهـا بمحادثتـه ولكنّهـا أخـرى تحـب روحهـا عاريـة أمامـه، فـلا تريـدهُ أن يسـترها بحماقاتـه, فسـترُ الـروحِ في عُرفهـا. . عـورة!! قالـت:

- "في حاجة عايز تقولهالي قبل ما أقفل ؟"

- "لأ. ."

وراح يتثاءب على الجهة الأخرى من الهاتف.

هـو لا يـدري أنهـا تتـوق لكلمـة عشـق عابـرة تـدب الـروح في أنوثتهـا الراكـدة وقلبهـا اللانابـض، لا يـدري أنهـا في النّهايـة مـا هـي سـوى أنثـى، تُحلّـق بهـا كلمـة وتعيدهـا أُخـرى، وهـي بكْـمَاء. . كـم تُحبـه، بكـماء أبكمهـا حُبّـه.

أحبته مُنْذُ وضع اسمه على جبينها، مُنْذُ قررت العائلتين أن يكونا لبعضهما باسم العادات والتقاليد الشرقية. تلك التي لا تزال جارية في بعض العائلات كأنّها العُرف المنشود. أحبته ليلى فكان "قيسها" لكنّها لم تشعر يومًا أنها "ليلاه". كم خشيت كلمة "أحبك"، خشيت أنْ تفضحها عيناها في كل مرة قابلته فيها في اجتماع عائلي، فأخفتها مع خط الكحل شديد السّواد الذي لا تضع غيره على وجهها. .

قالتْ في محاولة بائِسة:

- "مش عايز تقول أي حاجة؟"

- "لأ، خلي بالك من نفسك، ومفيش تأخير بعد المدرسة، أنا هنام. . سلام"

وانتهت المكالمة، مكالمة فاشلة أُخرى تُوصم بها ذكراياتها معه. وضعت الهاتف في حقيبتها بيأس قهار. . ودخلت إلى المدرسة وقد عَلت ملامحها السّمراء "تكشيرة" مُحترمة.

دخلت الفصل، وألقت بحقيبتها على الطاولة بدلًا من "صباح الخير"، أمسكت القلم وكتبت بخط عريض تاريخ اليوم وموضوع الدّرس.

التفتت إلى الفتيات اللائِي تتراوح أعمارهن ما بين الخامسة عشر والسادسة عشر. . وقالت:

- "اقفلوا الكتب، تسميع. . واللي مش حافظة تطلع برا".

* * * * *

٦

(أخشى أن يكون ما أُصِبتُ به وعكةَ عشقٍ أوّل، أخشاك).

كم تذكّرني بصاحبِ الظّل الطّويل، وكم تذكّرني بقصر قامتي وأحلامي.

أحببتُ صوتك على الهاتف، صوتك الذي فضّ بكارة مسامعي، فقبلُكَ ما اقتحمني صوتُ رجلٍ قط. . وكم أنا سعيدة باجتياحك الأول هذا. .

حدثتني عن الحُب، وكم يبدو الحب مخلوقًا ربيعيًا على يديك. قلتَ لي أننا لا نُحب رغبةً في الحب فقط، بل رغبةً في الجنون، ولا رغبة في الاستقرار، بل رغبة في الفوضى الوجدانية، فلا أجمل من قُبلة عارمة وسط لا منطقية الحُب.

رحت أدفن رأسي في كتاب أتصفحه آنذاك وقد استشعرت أنوثتي خطرًا اسمه "أنت"، فكيف لكَ أن تأتي بذكر "القُبل العارمة" في حضرتي؟!

أنتَ أنتَ يا أنت. .

من أنتَ قل لي؟ ولِمَ تبدو الأشياء أزهى وأجمل وأنت في الجوار؟

تحادثنا هاتفيًا أخيرًا بعد أشهر فيسبوكية طويلة، وقد آن لسعادتي أنْ أَزُفها بحروفي إليك. . أيُّها الغريب الوسيم.

تصبح على قُبلة، وحلم))

نظـرتْ نظـرة سريعـة عـلى مـا سـجلته في مفكرتهـا مُنْـذُ أيـام، راحـت تقـرأ حروفهـا باسـمةً والصغـيرة تغنـي في الجـوار. . إنهـا نجـاة تدعوهـا هـي الأخـرى إلى الحُـب.

رنّ هاتفهـا، صنـدوق رسـائلها يشاكسـها برسـالة جديـدة مـن "هيـام" والحـق أن هيـام مـا هـي سـوى اسـم يخفـي خلفـه أرقامًـا ذكوريـة. لا تسـتطيع العاشـقات أحيانًـا كشـف السـتر عـن الحُـب، فيُسَـمين المحبـوب باسـم مُسـتعار لفتـاة. . وكان أنْ اختـارت طفلتنـا يـسرا اسـم "هيـام" لمحبوبهـا، لشـد مـا هيّمهـا. . .

- "وحشتيني"

كلمة كم نحبها في أوائل الحُب، كم تحلّق بنا عاليًا والشوق.

ارتسـمت بسـمة حـب عـلى شـفاهها، وتـورّد الخـدان فرحًـا، وانتفـض القلـب خجـلًا. قامـت بحفـظ الرسـالة في ملـف خـاص. وعـادت لمفكرتهـا تحـكي لهـا عشـقًا قريبًـا حـين دقّ أحدهـم بـاب غرفتهـا. جزعـت للحظـات وهـي تضـع الهاتـف والمُفكـرة تحـت المخـدة قبـل أن تقـول:

- "اتفضل". .

إنـه يـزن ينضـم إليهـا بكـوب شـاي حالـك يحتسـيه. . دومًا يبتسـم حـين يراهـا، هـي طفلتـه أولًا. . أختـه ثانيًـا. . ونصفـه الجميـل أخيرًا.

- "بتعملي إيه؟"

سألها باسمًا. . وجلس بقربها على طرف السرير.

- "كنت قاعدة بقرأ شوية حاجات، عامل إيه؟"

أجابها بعد رشفة شاي سريعة:

- "تمام. . مستني مكالمة مهمة فشغل جايلي و كده"

- "ربنا يوفقك يا حبيبي"

نظر إليها متأملًا وقال:

- "شكرًا!!"

- "هتكون أجمل لو قلت آمين"

-"سكي ع السيرة دي ناو يا يسرا، وكملي مذاكرتك"

أجابها بنبرة غاضبة.

نهضـت مـن أمامـه لتجلـس عـلى مقربـة منـه، فوضـع الشـاي أسـفله وراح يخبـط بقدميـه الأرضيـة باضطـراب.

أمسكت ذراعه وقالت:

- "قـولي إنـك لسـه مؤمـن باللـه. . بابـا مـات آه، وده ابتـلاء مـن ربنـا وربنـا بيبتـلي الـلي بيحبـه وبيمتحـن صـبره وإيمانـه، قـولي إنـك لسـه مؤمـن بيـه" .

لم يجبهـا وظـلّ يطالـع الـسّراب أمامـه وهـو شـابك يديـه باضطـراب. .

فاسترسلت يسرا في وجعها قائلةً:

- "لو ماما عرفت إنك. . ."

قاطعها بعد أن نهض فجأة. .

- "آه. . روحي قوليلها ابنك ألحد وخليها تحصل أبوكي"

شعرت بدموعها تخنق صوتها. . .

لقد قالها "ألحد" من إلحاد، الخروج عن طوع الله، التبرؤ من السنن والطاعات. .

ارتد يرتد فهو مُرتد. . ألحد يُلحد فهو مُلحد. . كفر يكفر فهو كافر. . مُعادلة واحدة. . الله خارجها.

كانت تشعر بهذا مُسبقًا لكنّها لم تكن لتعتقد أن لتلك الكلمة أثر صاعقة على مسامعها.

صاحت:

- "عايز تفهمني أنك كفرت بيه عشان بابا مات؟ فاكر نفسك بتعاقبه؟"

- "أنا مباعقبش حد، أنا فهمت الكون ده كويس، وقريت، وبحثت، مفيش حاجة اسمها ربنا، الناس عايشة في وهم كبير وحارمة نفسها من حاجات كتير وفاكرين إنهم بكدة هيخشوا الجنة والهلس ده"

ظلّت تطالعه مذهولة:

- "هلس؟"

سألته بعينين دامعتين. .

أشاح لها بيده بغضب بعد أن أخد كوب الشاي وقال:

- "أديني مسافر بكرة شرم وهترتاحي من خلقة أمي"

وخرج من الغرفة غاضبًا. .

فحضرت الأم بعد أن أقلقها صراخهم:

- "إيه اللي حصل. . عملتيله إيه؟"

وما إنْ قالتها حتَّى سمعا صوت باب الشّقة يُقفل بقوة.

ها هو يزن يهيم على وجهه مُجددًا، يجوب الشّوارع بغضب ويذكر الأمس المُشبع بطيف والده، "عامر". . الشيخ والفقيد والبار لله والوطن.

- "آه يابا"

صاح باكيًا لسماء آمن أنّها وجدت لأسباب علمية بحتة تحت توابع the big bang theory ليس أكثر.

وجلس على أحد الأرصفة ينعي أمسًا ملعونًا بالموت وبالطّاعات. . . . .

"ذات أيام مُنْذُ عام

وقبلها بأعوام، كان هنالك شابًا ، يُدعى يزن عامر"

يزن عامر، "الأزهري" كما كان يُطلق عليه أباه بين العائلة والأصدقاء، المفخرة الأزهرية، حافظ كتاب الله، الابن البار، الصديق الحق، الجار المُسالِم، الضحوك روحًا وشفاه.

توغل في الدين مُنْذُ أيام الثانوية، وتوحّد فيما قاله الله والرسول، وأطلقَ مع الأيام لحية، وقصّرَ جلباب، وتزيّن بعودٍ وسواك. . وظلَّ عاكفًا. . معتكفًا. . متضرعًا. . خاشعًا. .

إلى أن أمست الدنيا في عينيه زائلة، فضاق نبضه. . وتاقَ لآخرة. . فأغلقَ حياة.

فـرأى مـن حولـه رُعـاة، جهلـة، عـلى بصائرهـم غشـاوة، فاشـتدّ شـخصه، وقسـت روحـه باسـم اللـه، والحـقُّ أنَّ الـروح لا تقـسى مـن روحـه، بـل تهتـدي.

تركـه عبداللـه بعدمـا كفـر بـه بأنـه صالـح ذهنيًـا، انسـحب الشّرقـاوي مـن حياتـه لحـين يهتـدي، لكـن أمجـد ظـلّ إلى جـوار بعثراتـه يشـتمه حينًـا ويدعـو لـه بالهدايـة حينًـا. .

عبداللـه، أحمـد وأمجـد أصدقـاء عمـره مُنْـذُ الطفولـة، شـهدوا جميعًـا أمـواج الحيـاة بتقلباتهـا. .

ولكـن يـزن أعلـن رعـدًا وبرقًـا، فهـاج البحـر ومـاج، وتحطمـت أوصـال متينـة. .

اعتزل الدنيا وما فيها. .

واعتكـف في غرفتـه لقراءاتـه وتضرعاتـه ليـلًا للإلـه، دخـل عليـه والـده يومًـا:

- "قـوم يـا ابنـي اتفـرج عـلى التلفزيـون معانـا، شـاهد ماشـفش حاجـة شـغالة وأمـك وأختـك. . . ."

فقاطعه يزن وهو يقرأ في إحدى كتب الفقه:

- "شـاهد ماشـفش حاجـة؟ كلهـم كفـرة اتقنـوا العُهـر، وطالمـا محـدش سـمع كلامـي بمسـح القنـوات دي، محـدش ليـه دعـوة بيـا".

- "يا ابني، الدين يُسر مش عسر. ."

- "الجهاز اللي برا ده بلاء، خاف على بنتك منه"

- "أختك مُصانة بأخلاقها، يا ابني اهدى"

- "ههدا لو سبتني أتابع قراءاتي وروح أنت مع الزعيم وشاهد ماشفش حاجة"

وأطلق ضحكة ساخرة أوجعت أباه.

نظر إليه والده بانكسار، وقال:

- "ربنا يهديك"

- "مهدي بأمره إن شاء الله"

أقفل الأب بابًا، لكن وجعه فتح على مصراعيه، فتوضأ وصلى لله باكيًا أن يهديه. .

وظلّ الأزهري مُنغلقًا على نفسه في ذاك المعبد. . . أوجعه جسده لشد ما كان جالسًا، فنهض إلى الشُّرفة، وكان شتاءً والشمس تُعلن انسحابًا قريبًا.

وجد أمامه على الشُّرفة سناء بكامل طلتها مجددًا، تدعوه بعينيها لجسدها الأرمل الخمسيني، كانت تطالعه باسمةً وجسدها يدعوه: أنْ تعال!

زاغت عيناه على ذلك القميص الخفيف أسفل الشال الصوفي، إلى رقم ٧ تحديدًا فاضطربت رجولته ولعنها في سره وأقفل باب الشرفة وقد هاجت أنفاسه، فراح يستغفر الله تارة ويلعنها تارة وعاد يضيع في قراءاته.

* * * * *

٧

المكان:

قليـل الإنـارة، يعـجُّ بالفـوضى والقهقهـات العاليـة التـي تدعـوك بامتيـاز لصـداع نصفـي لـن تقـوى عليـه حبـات بانـادول إكسـترا وذلـك في أحـد ملاهـي شـارع الهـرم المُبجـل.

الزمان:

الثانية صباحًا، أو رُبما الثالثة. . فأجنُّ الليل أوّلهُ.

الحالة: -_-

ألقـت بحقيبتهـا السـوداء عـلى الطاولـة وجلسـت مُجهـدة تتوسـط أيـتن وكريـم، قالـت ضجـرةً:

- "أنـا مـش عارفـة إيـه الـلي بيخلينـي أسـمع كلامكـوا وآجـي الأماكـن الهابطـة دي"

وإذا بأيتن تضحك بمجون قائلةً:

- "لأنك منحرفة وبتحبي الانحراف"

واسترسـلت في ضحكاتهـا الخمريـة. أجابتهـا فـرح ببسـمة عابـرة وهـي تُشـعل سـيجارتها المئـة ذلـك الصبـاح.

أَمال نحوها كريم باسمًا وقال:

- "تشربي؟"

فأجابت ودخانها يخرج من فمها وأنفها كشلالات نياجرا:

- "أنـت عـارف كويـس قـوي إني مبشربـش. . ومـع ذلـك بتتـصرف وكأنّـك متعرفـش أنـا بحـب إيـه ومبحبـش إيـه!!"

فخبط كريم يده على طاولة البار متأففًا وقال:

- "دايمًا كده بتحبي تقفليها علينا! ! لازم نسميكي:

“The fun killer”

فأجابته أيتن مؤيدةً وكأسها في يمناها وسيجارتها في الأخرى:

- "لايق عليها جداااااا"

استـطاعت فـرح أن تميـز بسـهولة كـم هـي ملغمـة سـيجارة أيـتن فعـادت تبتسـم لهـم صامتـة وراحـت تحـدق في ذاك الـسّرب الراقـص أمامهـا عـلى تلـك الموسـيقا الشـيطانية وإبليـس يدنـدن في الجـوار فرحًـا لهـم، راحـت تحـدق في وجـوه مـن باعـوا القضايـا مُسـبقًا باسـم رقصـةٍ مُعربـدة وكأسٍ مُتعربـدة ونَـردٍ يعربـد.

وإذا بأيـتن تقطـع شرودهـا فجـأة بصرخـة فاجـرة وهـي تنهـض باتجـاه الـسّرب وترفـع كلتـا يديهـا عاليًـا وهـي تهـز رأسـها يمينًـا وشـمالًا فيغطـي شـعرها الغزيـر ملامـح وجههـا القاتـل.

ومـا إنْ انسـحبت أيـتن مـن بينهـم حتَّـى مـالَ كريـم نحـو فـرح مجـددًا وقـال عـلى مقربـة مـن أنفاسـها:

- "إيه بقا؟"

وإذا بأنفاسـه ذات النّبيـذ الأحمـر تصفعهـا، لم تنبـس بحـرف، ظلّـت تحـدق في وجهـه عـلى مقربـة منهـا، كـم هـو وسـيم هـذا الكريـم، قالـت:

- "متشتغلش في الأزرق يا كوكو"

- "بحبك"

هو عاشق للجسد قبل الروح، عبدٌ لشفاه.

- "وأنا بحبك زي أخويا"

- "هو عمر الحبيب كان أخ؟"

- "حبيب؟!"

وراحت تضحك عاليًا وتقول:

- "من إمتى كنت حبيبي؟"

ابتسـم لهـا إحـدى ابتسـاماته الجميلـة واقـترب مـن شـفتيها ليلثمهـا لكنّهـا أمالـت إلى الخلـف بحركـة سريعـة وقالـت:

- "سكران!"

- "سـكران بيـكي. . سـكران بيـكي مـن أول مـرّة شـفتك فيهـا، وحشـتني شـفايفك، هـو انتـي يعنـي لازم تكـوني بتغرقـي عشـان أدوقهـم؟"

فابتسـمت قهـرًا وقـد ذكـرت حادثـة انتحارهـا ذاتَ نيـل والتـي لم تفلـح!!

- "بحبك"

قالها مجددًا.

- "وأنا مش بحبك"

- "كدابة، عنيكي فضحوكي"

- "متثقش أبدًا ببنوتة عنيها خضرا"

كم بدت واثقة وهي تقولها وقد وضعت قدمًا على قدم وراحت تحرك إحداها ليبرز خلخالها الفضي الساحر.

فأنقذها اقتراب ثلاثة شباب منهما وفتاة. نهض كريم يرحب بهم بحرارة ويدعوهم للجلوس، لكن أحدهم لم يجب. إلا أنّ أولهم أمالَ له برأسه في اتجاه أريكة كبيرة آخر الملهى يسلط عليها ضوء أزرق.

أطاعه كريم فورًا وأشار لفرح أن تلحقهم والتي وضعت سيجارتها في كأس كريم الذي انزعج لما فعلت حين برم شفاهه غضبًا.

جلسوا جميعًا على تلك الأريكة التي تتوسطها طاولة بيضاوية عريضة. .

صمتهم أثار حفيظتها، سمعت أحدهم يميل نحو كريم ويسأله هامسًا:

- Is she an atheist?

رفعت فرح حاجبًا باستنكار وقد صفعها السؤال، أجابت سريعًا عوضًا عن كريم قائلة:

- "لا يا بابا أنا مش ملحدة!!"

فابتسم لها الشَّاب نصف ابتسامة سريعة، وإذا بكريم يضحك في محاولة لتفادي انطباعًا أولًا سيئًا قد يحدث بينهما وقال:

- "ده سامي. . وده صابر، وده إسلام وتقى!"

لم يهتز لأحدهم طرف سوى تقى التي غمزت فرح بعينها سريعًا قبل أن تشيح فرح بوجهها عنها غير مبالية. . وقد استنكرت "الفِعلة".

خرج سامي عن صمته قائلًا:

- "أنا بس مش عايزك تحسي بعدم راحة وإنتي قاعدة معانا، ممكن منتفقش!"

فأجابت فرح سريعًا:

- "متقلقش، كريم وأيتن أهم صحابي والاتنين ملحدين وعادي جدًا، لهم دينهم ولي دين"

فأتى صوت كريم مُمازحًا:

- "ودي دلوعتنا الصباحية، جميلة الجميلات فرح عصام"

- "عارفها"

أجابه سامي بحسم.

فراحت تحدق به فرح بتحدٍّ بعينيها الخضراوين، وتمر لاحقاً بصابر أقصرهم الذي لم يرفع عيناه عن جهاز التابلت أمامه، مرورًا بإسلام الذي يخاصر تقى مُنْذُ دخولهما وكأنّها ستضيع منه. . أثاروا جميعًا حفيظتها.

"لِمَ الإلحاد يا ترى؟"

سألت نفسها وهي تقرض إصبعًا وتمر بعينيها على خمستهم.

أهـي أسـباب فلسـفية أخـرى تناشـد بالمنطـق واللامنطـق؟ أم أنهـا أسـباب كونيـة حلّقـت بهـم جميعًـا إلى مـا وراء الطبيعـة والأرض؟؟ أم أن للجنـس يـدًا خفيـة تلعب ب. . . . .

كريـم إلحـاده لم يكـن يومًـا مفهومًـا، مثلـه مثـل الجامحـة أيـتن المسـيحية سـابقًا، سـامي يبـدو عميقًـا وأحفوريًـا بمـا يكفـي ليطلـقَ عليـه مُلحـد متفلسـف، هكـذا تحـكي قسـمات وجهـه ونظـرة عينيـه الحـادة، صابـر مُلحـد إمعـي فيسـبوكي بامتيـاز، أمّـا إسـلام وتقـى أرادوه مَنفـذًا لأجسـادهما الثائـرة.

واسترسـلت في أفكارهـا. . (بمـاذا يـا تـرى تـراه سـامٍ هـذا السـامي؟ وبمـاذا يتصـبر هـذا الصابـر؟؟ و. . إسـلام وتقـى؟؟ و atheists "يـا نهـار أسوخ")

- "إنتي جميلة قوي!"

الإطـراء الأول الـذي تسـمعه فـرح ذاك الصبـاح، ولكـن للمفارقـة بصـوت أنثـوي قاتـل، نظـرت صـوب تقـى التـي شـابهت قصـة شـعرها مايـلي سـايرس في أغنيتهـا الشـهيرة:

Wrecking ball

أجابتها فرح بابتسامة صفراء، فقال إسلام مُمازحًا:

- "إيه أقوم أمشي؟؟"

استشـعرت أنوثتهـا خطـرًا تلـك الفـرح مـن أمـر تلـك التقـى، فنهضـت عـن الكـرسي قائلـة:

- "هطير أنا"

عاتبها كريم قائلًا:

- ‘The night is still young, sit down and chill’

وأضاف:

- "وبعدين بكرة أجازة"

- "مليش في جو الملحدين ده مع احترامي، لحلدوا كدة مع بعضيكوا براحتكوا.. وكان عندك حق يا سامي لمّا سألت إني مُلحدة ولا لأ"

فأشار لها سامي بالخروج باسمًا.

أخذت حقيبتها، وانسحبت من بينهم، وفي طريقها إلى الخروج صادفها خليجي أربعيني التهمها بعينيه قائلًا:

- "على وين يا حلوو؟؟"

نظرت صوبه باشمئزاز قائلةً:

- "وأنت مال أمك؟ اتفوخس على اللي جابتك، جايين هنا ليه هي البلد ناقصة؟؟"

وراحت تبحث عن مفاتيح سيارتها في قلب حقيبتها بغضب وهي تسمع خلفها عويل الخليجي ومحاولة الحارس بتهدئته.

حلّقت بسيارتها وراحت تلعن العالم الذي يدعوها جهرةً للسيئات. . وصلت إلى شقتها لتجد عمّتها مستلقية على الأريكة وأسفلها زجاجتي ويسكي أصابهما جفاف حاد. أخذتهما بغضب ووضعتهم في كيس أسود وألقته في سلة كبيرة.

عادت لعمّتها الغائبة عن الوعي تمامًا، وحملتها من ذراعيها وقامت بجرها كجثة هامدة نحو الحمام. وما إنْ فتحت صنبور المياه حتَّى أجهشت بالبكاء. وراحت تصب الماء على رأس عمّتها وهي تصيح:

- "بتعملي فيا كده ليه حرام عليكي؟؟"

كانت تنتفض من الماء البارد كجرو ضال، راحت تشهق مع كل صبّة ماء وكأنّها شهقتها الأخيرة حتَّى تظن أن ملك الموت يقف إلى جوارهم ليلملم حصاده خلال لحظات.

كانت فرح تبكي عاليًا، واستيقظت على بكائها أنيتا التي ظلّت صامتة تبكي هي الأخرى وهي تطالعها خارج الحمام. .

أمسكت منشفة ووضعتها على رأسها وراحت تسندها إلى أن وصلا إلى غرفة نومها بعد أن طلبت من أنيتا أن تعدّ لها القهوة.

جلست قبالتها على السرير، قالت ببرود:

- "ياسر برضو؟ لسه بتشوفيه؟"

لم تُجبها لبنى وظلّت تحدق في السّراب. نهضت فرح عن السرير، وراحت تجوب الغرفة قائلةً:

- "هو ياسر، طالما رجعتي للهباب ده يبقى هو!! مش قادرة استوعب بتكلميه إزاي بعد كل اللي حصل؟ فرّق بينا وحاول يغتصبني!! نسيتي؟؟"

لم يهتز للبنى طرف، بل راحت تختبئ تحت الغطاء وكأنّها تستر عورة.

وصلت أنيتا بفنجان القهوة، ووضعته على يمين لبنى التي كانت غارقة في عالم آخر يعج بالألم وبكؤوس ويسكي تدعوها لها على نخب أمس موجوع.

تركتها فرح، وتوجهت إلى غرفتها باكية، ألقت بجسدها على السرير، ونامت كالطفلة تمامًا. ساعة مضت أو ربما أقل بقليل، حين شعرت بيدٍ تتحسسها، تقتحم حدود الجسد والروح، انتفضت فزِعة لتجد ياسر مخمورًا يحاول اعتلائها. راحت تصرخ فراحَ يسكتها بقبلاته العنيفة، حاولت مقاومته لكن جسدها الصغير لم يسعفها. نظرت صوبَ الباب فوجدت لبنى تقف لها ضاحكةً وبيدها قارورة ويسكي وتقول لها:

- "عادي. عادي!!"

وأنيتا خلفها تبكي. تعالت صيحاتها، وكلما صاحت ازداد فجورًا بيديه وشفتيه. . كانت تخشى تلك اللحظة التي يقتحم فيها أسفلها فتهدر دمائها، كغانيات الهند! راحت تصرخ. . .

إلى أن انتفضت فجأة، لتجد نفسها وحيدة في الغرفة وهي مُستلقية على ظهرها. راحت تتحسس جسدها، هي بخير. . إنه كابوس آخر. . هي بخير. . هي بخير!

*****

٨

جلس عبدالله بجوار الشّرقاوي في سيارة بورش حمراء خرافية الطراز، استطاعت الشلّة إقناعه بضرورة مرافقته لهم في رحلتهم البحرية، وافق على مضض وقد اتكئ على نعمة الاستغفار لاحقًا لتورطه في تلك الرحلة.

ألقى حقيبته أسفل المقعد بعد أن جلس أمجد ويزن في المقاعد الخلفية.

قال متأففًا:

- "عايزني ابقى معاكوا ليه ها؟؟ هضيف إيه للرحلة دي؟"

ضحك الشّرقاوي عاليًا بعد أن أدار مقود السّيارة وانطلق يسابق الريح وقال:

- "أنت البركة يا سيدنا الشييييييخ"

فنظر إليه عبدالله وقد رفع حاجبًا وقال:

-"كداب قوي"

صاح أمجد من الخلف:

- "والنبي متعشلناش في الدور يا عبدو أنا جاي انبسط وحياة أبوك، كفاية المرار الطافح اللي الواحد بيشوفوا يا بني، ولا إيه يا يزن ما تحضرنا؟؟"

فحدَق به ذاك المخلوق الصّامت، وقال وقد أشاح بعينيه عنه:

- "ميرنا وكوكي وصلوا شرم من ساعة"

كان يطالـع أحمـد مـن خـلال المـرآة الأماميـة حـين قالهـا، أحمـد الـذي اسـتقبل الخـبر بابتسـامة ماكـرة وقـال:

- "سـمعت إن كـوكي تابـت لربنـا واعتزلـت المهنـة، بـس باينلها كـده إشـاعة"

أجاب يزن:

- "اعتزلـت فعـلًا، دي حتَّـى راحـت تمـارس التوبـة في الحـرم، ولمّـا رجعــت. . مقعدتــش شــهر إلا ورجعــت للمهنــة وباكتســاح، بــس Agnostic المــرادي"

- "يا راجل؟؟"

أجابه أحمد متفاجئًا، وأردف قائلًا:

- "غريبة!!!"

فقال أمجد:

- "إيه gostak دي لامؤاخذة؟"

ثم راح يطالع يزن يمينه وأحمد من خلال مرآة السائق أيضًا.

انفجـر أحمـد ضحـكًا وابتسـم يـزن ولكنـه سرعـان مـا انفجـر ضاحـكًا هـو الآخـر، ولكنـه لم يعقـب. فأجـاب أحمـد الشّرقـاوي:

- "اسـمها agnostic . . agnostic ، gostak إيـه اللـه يحرقـك، التعليـم المجـاني قـضى عليـك"

عبداللـه كان يسـتمع باهتـمام، وهـو يطالـع الطريـق السريـع بابتسـامة لا يُعـرف سرهـا.

فأجـاب أمجـد وقـد تموضـع باسـترخاء عـلى مقعـده وقـال باسـتنكار:

- "ومعناها إيه دي يا فهيم أفندي؟"

فأجابه الشّرقاوي:

- "اسأل يزن!"

عاد يزن ينظر إليه من خلال المرآة، ولكنه لم يهتز له طرف.

فنظر أمجد إلى كليهما وقال:

- "آه. . يبقى الحدت والعياذ بالله"

فأجابه الشّرقاوي حازمًا:

- "لا. ."

وأردف قائلًا:

- "ال atheism حاجة، وال agnosticism حاجة تانية خالص"

صمت أمجد قليلًا قبل أن يقول:

- "يـا بنـي حـرام عليـك، مـش إنـت لسـه قايـل تعليـم مجـاني يـا بتـاع المـدارس الأجنبـي واللغـات؟ مليـش مـرارة وربنـا. انطـق!!"

فراح الشّرقاوي يضحك مجددًا، قال:

- "الـ atheist هـو الملحـد، يعنـي زي الـلي قاعـد جمبـك ده، شـخص لا يؤمـن بالوجـود الإلهـي، لأسـباب فلسـفية بقـا. . علميـة. . مـش مهـم، يعنـي واحـد عنـده قناعـة مطلقـة إن مفيـش ربنـا، ولا توابـع وجـود لربنـا، الـلي هـي الصلـوات والطاعـات وإلى آخـره، أمـا

ال agnostic بقـا، فـده شـخص شـايف إنـه يسـتحيل لمس دليـل عـلى وجـود ربنـا مـن عدمـه، الـلي هـو شـخص لا أُدري، يعنـي إنسـان في حالـة شـك توصـل منهـا إن مفيـش ربنـا، ومـش ممكـن يكـون في دليـل يثبـت ده، وبالتـالي هـو لا يؤمـن بـأي ديـن! فخمـت حاجـة؟؟"

- "وربنا هما الاتنين زي بعض، هات سيجارة"

طلبـه الأخـير كان موجهًـا ليـزن الـذي أمـده بهـا صامتًـا بعـد أن اسـتمع لتحليـل أحمـد.

- "أنـا أرى أن الخـروج عـن الديـن والكفـر بالإلـه مـا هـو إلا لأسـباب جنسـية بحتـة!"

لفظها عبدالله سريعًا وكأنّها أثقلت فاه.

أجابه أحمد:

- "مش شرط، هي قناعة وصلوا ليها بمنطق معين"

فأجابه عبدالله:

- "منطـق؟ إيـه هـو المنطـق برأيـك الـلي يسـمح لهـم بالتطـاول عـلى الـذات الإلهيـة؟؟ قريـت بوسـت سـعيد إمبـارح عـلى الفيـس بـوك؟؟ قـال إن اللـه مـا هـو إلا وهـم وأن العبـادات مـا هـي إلا جهـل وإمعيـة مننـا! عملتلـه بلـوك!"

فقال أحمد:

- "عملتلـه بلـوك بعـد مـا أفحمـك. يـا عبداللـه خـلي النـاس تقـول الـلي تقولـه وتعمـل الـلي تعملـه، ليـه كل الغضـب ده؟ هـم أحـرار، وعـلى ذكـر الإلحـاد بسـبب الجنـس، مـش شـايفه مُقنـع، يـا أخـي مـارس الجنـس زي مـا أنـت عايـز. . بـس ليـه الكفـر؟"

- "يعنــي أنــت عايــز تقــول إن الإلحــاد بســبب الجنــس غــير منطقــي، وأن الإلحــاد لأســباب فلســفية وعلميــة منطقــي؟؟ يــا أخــي اتقــي اللــه"

- "أتقيهِ خير تُقاه"

وانفجر ضاحكًا. .

- "عبدالله. ."

أتى صوت يزن حازمًا، وأردف قائلًا:

-"تعرف إيه عن نظرية التطور؟"

ضحك عبدالله مستهزئًا وقال:

- "خـد يـا سـيدي. . وآدي لمـا تيجـي تحشرهـم في زاويـة يقولولـك تعـرف إيـه عـن نظريـة التطـور. . يـا بنـي الـكلام ده مبقـاش يـأكّل عيـش خـلاص. . مفقوسـين، نظريتـك دي مذكـورة في القـرآن، قـال اللـه تعـالى: "أولمْ يـرَ الذيـن كفـروا أنَّ السـماواتِ والأرضَ كانتـا رتقًـا ففتقناهـما وجعلنـا مـنَ المـاءِ كلَّ شيْءٍ حـيٍّ أفـلا يؤمنـون" كلنـا في الأصـل ميـة. . وفي كتابـه أيضًـا يقـول: "واللـهُ أنبتكـمْ مـنَ الأرضِ نباتًـا" إلى أن وصلنـا لخلـق الإنسـان "واللـهُ خلـقَ كلَّ دابـةٍ مـن مـاءٍ فمنهـم مـن يمـشي عـلى بطنـهِ ومنهـم مـن يمـشي عـلى رجلـينِ ومنهـم مـن يمـشي عـلى أربـعٍ"

عاد يزن لبسمته الساخرة وقال:

- "القـرآن مـا هـو إلا نـص، زيـه زي الإنجيـل والتـوراة والكتـب التانيـة، نصـوص. . يعنـي قصـدك إني عبـارة عـن خليـة كلوروفيـل؟ طـب اسـتنى عـليَّ وهتحـوّل وهعملـك عمليـة بنـاء ضـوئي وأنـا قاعـد

إنّما إيـه محصلتـش! يـا بنـي العلـم والفلسـفة فتحـوا عقولنـا مـن الـلي انـت فيـه"

أجاب عبدالله ممتعضًا:

- "آه فلسـفة. . كلام سي فريـدرك نيتشـه الملحـد بتاعـك. . أنـت ألحـدت عشـان تـزني وتعيـش بمزاجـك وأخـدت الفلسـفة والعلـوم كجـواز سـفر لشـهواتك. . "

- "شهواتي؟"

أجابه يزن مستنكرًا، وقال:

- "أنـا أمـارس حقوقـي الجنسـية مـع الـلي أنـا عايـزه، مـش بعتـبره زنـا بعتـبره حـب وحريـة شـخصية ملكـش دعـوة بيهـا. يعنـي أنـت واثـق أن كل الـلي خرجـوا عـن الديـن وألحـدوا عملـوا ده لأسـباب جنسـية؟ قريـت لنيتشـه مـن الأسـاس؟"

- "قريت له. . وآه أنا واثق"

فتدخل الشّرقاوي بعد صمت:

- "نيتشـه مكنـش مقصـده الإلحـاد بقـدر مـا اسـتهدف الدعـوة لتحطيـم كل مـا هـو ثابـت"

وإذا بضحكة عالية تصدر عن أمجد فجأة:

- "عـلي الحـرام مـن دينـي مـا فاهـم أيتوهـا حاجـة. . شـكلها فسـحة تحفـة، ده إيـه المـرار الطافـح ده؟"

فقال يزن بصوت عربي جهور:

- "الرجـل كفـر بالوجـود المسـيحي، وأعلـن حربًـا أجملهـا في كتابـه "هكـذا تحـدث زارادشـت"، موقفـه لم يكـن جنسـيًا، إنّما منطقيًا روحانيًـا فلسـفيًا. . لا وجـود للـه، اللـه الـذي قـد مـات، ونحـن قتلنـاه. وتنـص العلـوم التـي تجهلهـا أن كل نـوع حـي أوجـد نوعًـا جديـدًا متفوقًـا عليـه، إلى أن وجـد الإنسـان، وهنـا توقـف التطـور ولا مجـال لإكـمال مسـيرته إلا بتطـور الإنسـان نفسـه لنـوع جديـد. . وهـو "الإنسـان المطلـق".

وأردف حديثه قائلًا:

- "فـين الزنـا هنـا بقـى؟ ده كان بيكـره النسـوان كره العمـى، وكان بيسـتحقر وجودهـم وبيعتبرهـم رحـم وظيفتـه حفـظ الإنسـان المطلق بـس. ده حتَّـى كان بيقـول لـو رحـت في يـوم لحرمـة، متنسـاش تاخـد السـوط معـاك. فـين الجنـس بقـى؟؟. . بتحـب تحـط نفسـك فمواقف بااااااايخة."

- "أنـا مليـش دعـوة بنيتشـه النـصراني، أنـا ليـا دعـوة بصاحبـي وبجميـع شـباب المسـلمين اللـي بسـبب غفلتهـم دي هتحصـل كوارث"

- "وأنا بعشق الكوارث"

راح عبداللـه يهـذي بكلـمات غـير مسـموعة، قـال أحمـد موجهًـا حديثـه لـه وقـد أعجبتـه لغـة يـزن الفصحـى وقـال مسـتعرضًا لغتـه هـو الآخـر:

- "أفحمـك. . كـما يُفحـم معظـم رجـال الديـن الإسـلامي. . الذيـن لا يتجـاوزون بضعـة عـشرات. . وتلومـون الشـباب عـلى إلحادهـم؟؟"

نظر إليه عبدالله وقد امتقع وجهه وقال:

- "والنبـي نقطنـا بسـكاتك يـا شرقـاوي، اسـم النبـي حرصـك مانتـا جايـب كـوكي وبوجـي وأبـصر مـين"

انفجر أحمد ضحكًا وقال:

- "أعيـش حيـاتي آه. . إنمـا ألحـد لأ. . وربـك غفـور رحيـم يـا معلـم والعمـر يومين"

ساد صمت. . قبل أن يكسره أمجد قائلًا:

-"يعنـي أحمـد هياخـد البـت ميرنـا، ويـزن هياخـد كـوكي بنـت أم كـوكي، أقعـد في بـوز عبداللـه ليـه أنـا؟ هـو أنـا مـش شـاب زيـي زيكـو وليّ احتياجـاتي برضـك؟؟ إني حـكًا أعـترض"

أجابه أحمد:

- "لا مـش هنقبـل لأمـيرة بـده وأمـيرة أخـت فاضلـة وبتحبـك يـا غبـي"

- "فاضلـة آه. . دي مطلعـة ميتـين أمـي. . سـوق. . سـوق والنبـي وخليـك في حالـك عـلى بـال مـا أمتـع نظـري بشـوفتهم"

وصمت قليلًا قبل أن يقول:

- "منور يا عبدالله"

* * * * *

٩

- "ألو مساء الخير يا فندم، اتصالات أميرة مع حضرتك.؟"

- "أهلاً"

- "ممكن اتشرف باسم حضرتك؟"

- "لا مـش ممكـن. . أنـا عايـز الـ عشـين جنيـه بتوعـي الـلي لسـه شـاحنهم وطـاروا يرجعـولي حـااااالا"

- "طيـب ممكـن حضرتـك تهـدى وتقـولي بـس اسـم حضرتـك إيـه عشـان أقـدر أسـاعدك؟"

- "اسـم إيـه ونيلـة إيـه. . اسـمي مجيعـص أشرف بتنجـان. . العشـين جنيـه بتوعـي إحنـا مـش حراميـة يـا بـشر أنـا بطفـح الكوتـة عشـان الجنيـه"

- "حضرتـك مشـترك بباقـة للإنترنـت ولا بيسـحب مـن رصيـدك ولا اسـتلفت رصيـد؟"

- "لا ده ولا ده ولا ده أنـا موبايـلي موبايـل صغـير معفـن مـن أيـام الكفـار، العشـين جنيـه بتوووووووعيييييييي"

- "حضرتـك اهـدى بـس وهحـاول أشـوف لحضرتـك المشـكلة فـين، حضرتـك الرصيـد اتسـحب مـن نفـس رقـم الموبايـل ده؟"

- "أيوه يا ستي. . السؤال الغبي اللي بيتسئل كل مرة"

- "ثواني بس وأرجع لحضرتك. ."

موسيقى سمجة مسجلة هي ضريبة ذاك المتصل في حين اشتعال أميرة:

- "أبو أمك. ."

أخرجت من حقيبتها علكتان والتهمتهما وكأنّها تلتهم نفسها غيظًا. . تبًا لتلك العشر ساعات القهرية ما بين طلبات العملاء وشكواهم واستفساراتهم. . عشر ساعات والحصاد ثمن بخس يخصم منه كذلك لتأخرها أحيانًا عن موعد بدء العمل أو انفجارها في أذن أحد العملاء ولكن ما يشفع لها عند مدير القسم، أنه يعرف والدها الحاج صبري مُنْذُ الصغر فلا يطردها. أصبحت العلكة بالقرنفل لا تفارق حقيبتها.

- "أيوه يا أستاذ مجيعص. . معايا؟"

- "اسمي محسن. . محسن، مجيعص إيه أنا بتريأ!"

- "مش مجيعص ولا بتنجان يعني؟"

((تضحك سرًا))

- "محسن. . محسن. . يا ديييييننيييييي"

- "أستاذ محسن حضرتك مشحنتش أصلا بقالك ١١ يوم. واضح إن حضرتك سجلت رقم كرت الرصيد غلط"

- "محصلش. . أنا شفت بأم عيني العشين جنيه بتوعي اتشحنوا، ولما جيت اتصل بأم العيال، طلعتلي الولية الرزيلة دي بتاعت رصيدكم الحالي لا يسمح بإجراء المكالمة. ."

- "حضرتك ال data عندي بتقول إنك مشحنتش بقالك ١١ يوم"

- إيه وزفت إيه؟ مليش فيه العشين جنيه بتوعي" Data "

- "المشكلة من عندك مش من عندنا يا فندم"

- "دنتو نصابين رسمي بقااااااا، أنا مالي مانا كنت فودافون إيه اللي خلاني اقلب اتصالات. . العشين جنيه يا نصابين"

- "الزم حدودك حضرتك مينفعش كده"

- "حضرتك إيه وأطران إيه. . عليّ الطلاق نصابين وحرامية"

- "لا بقولك إيه، كده كتير. . إلزم حدودك يا راجل إنت، أنا بكلمك باحترام وبقولك حضرتك حضرتك، ميصحش كده"

وأنهت المكالمة. .

نظرت حولها فوجدت زملائها يحدقون بها كما في كل مرة ويتهامسون فيما بينهم.

- "أميرة. ."

كان ذاك صوت مستر رأفت مدير القسم يناديها.

تنهدت للمرة الألف، ونهضت عن مقعدها وهي تشد الجاكيت الأسود إلى الأسفل فقد ازدادت بضع كيلوجرامات عند وركيها ممّا جعل ذاك البِنطال الأسود بصدد انفجار.

- "أيوة يا مستر رأفت"

- "للمرة المليون. . أعصابك. . بتحرجيني ليه؟ ده الإنذار السادس الشّهر ده ، فيكي إيه؟ خطيبك هو السبب؟؟"

- "رايح شرم سبع البرومبة"

-"وعشـان كـده بتكفـري ع العمـلاء؟ مينفعـش الهبـل الـلي بيحصـل ده"

-. . . . .

- "فين المشكلة؟"

- "مجهدة بس مش أكتر"

- "استهدي بالله. . ارجعي لشغلك"

لفظها غاضبًا. .

ابتسـمت لـه شـاكرة. . وعنـد اسـتدارتها وخروجهـا مـن المكتـب راحـت تشـد الجاكيـت مجـددًا إلى أسـفل وهـي تفكـر مليًـا بـشراء آخـر، ولكـن إن اشـترته فلـن تسـتطيع شراء طقـم التيفـال ذاك مـن "حـمام التـلات".

عـادت لمقعدهـا، أخرجـت المـرآة، أحمـر الشـفاه الـرديء ذاك يجعـل شـفاهها مشـققة، أخرجتـه لتلـوّن شـفاهها بـه مجـددًا. . وراحـت تدخـل خصلات شـعرها الصفـراء المصبوغـة داخـل حجابهـا. لاحظـت أن حاجبيهـا يحتاجـان لل"نتـف". حـري بهـا إذن أن تتصـل بآمـال الكوافـيرة لـدى عودتهـا إلى المنـزل لتقـوم لهـا بالعمليـة. وهـا هـو شـاربها يظهـر قليـلًا، لكـن أمجـد ليـس في الجـوار ليعايرهـا بـه كـما اعتـاد قائـلًا:

- "بحبك يا أم شنبو"

ابتسـمت لذكـراه ونفسـها تتـوق لـذاك اليـوم الـذي يجمعهـا اللـه بـه في أي عـشٍ كانـت. خمـس سـنوات خطبـة مُنْـذُ كانـا في الثانويـة، مـا بـين حـب وحـرب. . وصـبر وكفـر. . وفرحـة ويتـم.

شردت مع الأمس. .

لـو كانـت اجتهـدت في الثانويـة لكانـت التحقـت بكليـة مرموقـة كهنـد أو أمـاني بنـات خالاتهـا، ولكـن كانـت كليـة الخدمـة الإجتماعيـة نصيبهـا. فتخرجـت منهـا لتلتحـق بعمـل آخـر لا يتطلـب لغـة قـدر "حسـنة المظهـر".

أمـا أهـل أمجـد، فـكان الأمـر سـيان عندهـم، لكنهـم أحبـوا أمـيرة، وأحبـوا صبرهـا، وأحبـوا حبهـا الغريـب لابنهـم. بالرغـم مـن قراراتهـا الكثـيرة بتركـه والانفصـال عنـه فيـما مـضى، إلا أنّهـا الأخـرى تريـد أن تـرى مقـدار تمسـك حبيبهـا بهـا، فتشاكسـه حـين يضيـق بهـا ذرعًـا وتهـدد وتتوعـد. . والحـق أنّهـا في الأصـل "طفلـة" تحتـاج حبًـا وقلـب، طفلـة تحتـاج روحـه لتهـدأ وتشـعر بسـعادة سـنين عشـقها الأولى مـن جديـد، فتسـتكين.

راحـت تقلـب خاتـم خطبتهـا حـول إصبعهـا ويزيـد شرودهـا الضعـف، وحنـين إلى حلـم يزيـد. أيـن تلـك الشّـقة؟ وأيـن أثـاث الشّـقة؟ ولم يبـدو كابـوس "الإيجـار الجديـد" يلاحقهـا؟؟

كـم تـشردا سـويةً بحثًـا عـن شـقة ذات سـعر ينـاسـب قـصر قامـة أمانيهـما، فظـل المـال سـيد الموقـف، فخضعـت الأحـلام وقلّـت الفرص.

خرجت عن شرودها ورددت كالإنسان الآلي:

- "ألو مساء الخير يا فندم، اتصالات أميرة مع حضرتك.؟"

* * * * *

١٠

وكانـت "سـيدة القـصر" تقـع في شـباك آسرهـا ويجرهـا الحـب جرًّا إلى هاويـة. أيقـود الحـب لهاويـة؟

سـألت ليـلى نفسـها وهـي تلـف شـعرها الليـلي حـول إصبعهـا وبجانبهـا طبـق مكـسرات مشـكل بحـضرة فاتـن حمامـة وعمـر الشريـف.

ابتسـمت لعمـر الشريـف وعينـاه تدعـو الحمامـة لشـهيات القُبـل. وسـوّلت لهـا روحهـا أن تسـأل:

((كيـف سـيكون حـالي بـين شـفاه محمـد؟؟ أسـيقبلني يومـاً حـين أكـون لـه؟ أم أنّهـا أمـور رومانتيكيـة تافهـة بالنسـبة إليـه كـما يبـدو مـن شـخصه دومًـا؟؟))

ليـلى عـلى أمـل أن يلـين قلبـه ويخشـع لهـا حـين يصبحـان في بيـت واحـد، لكـن مخاوفهـا مـا انفكـت تـروح وتجـيء في الجـوار فأصبـح القلـق مرضًـا آخـر أُصيبـتْ بـه.

وذاك فاصـل إعـلاني يدعوهـا للتحقـق مـن أنوثتهـا ريثـما يعـود العاشـقان. كان قـرب البـاب، مـرآة طويلـة تسـمح لأهـل البيـت بـأن يتحققـوا مـن هيئتهـم قُبيـل خروجهـم. وقفـت قبالتهـا، أسـدلت شـعرها الغَجـري وراحـت تضيـق جلبابهـا مـن الخلـف للتّحقـق مـن قسـمات جسـمها المخفيـة، تقـول لهـا خالاتهـا أنّ لهـا جسـد معـالي

زايـد في شـبابها، فكانـت تخجـل لذلـك واليـوم، تقـف أمـام المـرآة تطالـع جسـدها بغـرور أنثـى قـد أدركـت للتـو أنوثتهـا.

راحـت تسـترق النظـر وعـلى الشـفاه بسـمة، "هـو محظـوظ بي". . راحـت تسـاير نفسـها. .

ولفجـأة حدثهـا إبليسـها، فخـرّت لـه واسـتجابت، حملـت المـرآة بخطـى متثاقلـة إلى غرفتهـا وظلّـت تتـأوه لشـد مـا هـي ثقيلـة. . وغلقـت الأبـواب وقالـت: جئـت لـك. .

والحق أنها كانت تحادث مرآتها. .

كانـت تشـعر بنبضـات قلبهـا تـدق بقـوة لشـدّ رهبتهـا. لم تفعلهـا قـط أمـام المـرآة، علّموهـا أهلهـا أنَّ جسـدها مـن سـيجعل رجُلهَـا قـوّامٌ عليهـا، علّموهـا أن الجسـدَ وصمـةٌ وأنَّ الأنوثـةَ قَـدَرٌ تبُتـلى بـه الفتيـات إلى أن يسـتُرها رجـل!

ولِـمَ السـترُ يكـونُ بالرجـال؟ وهـي لم تكـن يومًـا عاريـة لتُسـتَر، لم تكـن يومًـا عاريـة ليكسـيها رجـل.

وجاءت الآية في ذهنها:

"هنَّ لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهن". .

فـأي رجـل عنـد معشرهـا سـيرضى بـأن تكـون أنثـاهُ لبـاسٌ لـه وهـي في نظـره ناقصـة، منقوصـة. تعلمـتْ ألّا صـوتَ لهـا، وأنّ صـوت المـرأة إكرامـه وأده.

تسـارعت تلـك الأفـكار في رأسـها. . وشـعرت بدمائهـا تغـلي في تلـك العـروق الصغـيرة. أغمضـت عينيهـا وهـي تتجـرد مـن ثيابهـا تدريجيًا.

كانـت ترتجـف عريًـا وليـس خوفًـا. . خشـيت أن تفتـح عينيهـا فتطالـع ذلـك الجسـد العـاري الماثـل أمامهـا. هـي في تلـك اللحظـة عاريـة أمـام اللـه. . فخجلـت لعريهـا أمامـه وراحـت تـواري سـوءتها. وفتحـت عينيهـا بقلـق. . وأبعـدت يديهـا قليـلًا، وهـي تتنهـد بخـوف إلى أن ظهـر انعـكاس عريهـا كلـه. . توقـف الوقـت. وراحـت تتأمـل أنوثتهـا.

في تلـك اللحظـة، شـعرت كـم هـي قبيحـة. . شـعرت أنهـا مُجرمـة، وأنّهـا ارتكبـت خطيئـة الوقـوف عاريـة أمـام نفسـها. .

لو علم محمد بما فعلت لبصق في وجهها. .

أخـذت ملابسـها المُلقـاة عـلى الأرض وهمّـت ترتديهـا حين سـمعت أحدهـم يـدق البـاب الخارجي.

أصابهـا الهلـع ونظـرت في السَّـاعة فوجدتهـا الخامسـة عـصرًا، قـدم أهلهـا مبكريـن مـن الحديقـة.

ارتدت جلبابها في عجالة، وحلّقت نحو الباب. .

فتحـت لهـم البـاب فعـمّ المنـزل ضوضـاء مـا بـين صراخ الأطفـال وقهقهـات الكبـار. .

راحـت تـداري جسـدها خلـف البـاب وقـد نسـيت أن ترتـدي مـا يسـترها تحـت الجلبـاب.

سألتها أمها وقد كانت آخر من دخل إلى المنزل:

- "المراية اللي كانت هنا فين؟؟"

ارتبكت ليلى للحظات قبل أن تجيب:

- "أنا. . كنت بنظف من تحتها ونقلتها أوضتي عبال ما نظف"

وأقفلت الباب. .

نظـرت أمهـا إليهـا باسـتغراب قبـل أن تنهرهـا بصـوت لا يسـمعه سـوى ليـلى:

- "يا نهارك أسوود ياللي مبتختشيش، روحي البسي يلا قوام"

أدركـت ليـلى أن جسـدها ظاهـر لأمهـا فهربـت إلى غرفتهـا قبـل أن يراهـا أبيهـا وخالهـا وزوجتـه والصغار.

"سـترت" نفسـها وهـي تلعـن إبليسـها والمـرآة، وسـمعت طـرق أمهـا عـلى البـاب:

- "انتي ازاي تخرجي بالمنظر ده مرات خالك تقول علينا إيه؟؟"

- "كنـت هسـتحما وانتـو جيتـو وأنـا ف الحـمام ف لبسـت أي حاجـة عشـان افتحلكـو البـاب."

لفظتها سريعًا وقد أدركت قدرتها الهائلة على الكذب.

- "بت. . لو متلمتيش هخلي محمد يلمك"

فهرعت ليلى إليها وأمسكت يدها تقبلها وقالت جزعة:

- "لا يامة. . توبة يامة. . ده مش راضي عني خلقه"

ابتسمت الأم، وربتت على رأسها وقالت:

- "وهـو يلاقـي زيـك فـين يـا مقصوفـة الرقبـة، يـلا روحـي شـيلي السـمنة والجبنـة القديمـة عشـان جبتهالـو وأنـا معديـة عـلى أم مصطفـى. مقالكيـش أمـه عايـزة إيـه مـن هنـا؟"

فتذكرت آسفة مكالمتهما الأخيرة الجافة عشقًا وقالت:

- "لا. . قال أقولك كلمي أمه واتفاهمي معاها".

فضحكت أمها قائلةً:

- "عيل واطي طول عمره. . بس بيحبك"

فلمع في عينيها الحب وتعلّقت بجلباب أمها قائلة:

- "والنبي يامه؟"

ابتسمت أمها وكانت بصدد قول جملة تنتظرها ليلى بشغف فبدت وكأنّها قد أدركت أمرًا للتو فصاحت بها:

- "بت. . يلا انجري ع المطبخ"

ابتسمت لأمها مغلوبة على أمرها، وتوجهت إلى المطبخ بعد أن أخذت هاتفها. وبعد أن تأكدت أنهم منهمكون بالحديث والثرثرة، أخرجت هاتفها من جيب جلبابها وجلست على كرسي صغير وراحت تكتب له رسالة:

- "ليك وحشة"

هاكَ يغلبها شوقها فتعود تشتاق على الهاتف وشوقها مراقٌ كبريائه. "ليك وحشة"، تلك الجملة التي ما استطعنا لفظ مكنونها كاملًا:

"وحشتني/وحشتيني". فنتخفى خلف ال "وحشة"، والحقُّ أنّا عرايا.

راحت تبتسم لهاتفها وتقارير التسليم تفيد بإنه قرأها. . قبل أن تصيح فجأة:

-"سيدة القصر!!!!"

* * * * *

١١

- "ماما. . أنا نازلة"

هكذا صاحت يسرا قرب الباب، فأتى صوت أمها من المطبخ:

-"ماشي يا يسرا متتأخريش. . هي حبكت وسط البلد؟؟"

فراحت تضحك الجميلة وتقول:

-"آه حبكت، قلبي بيقولي هكتب حاجة مميزة هناك. . الإلهام يا ماما. . الإلهام. . اقولو ميجيشي؟؟"

- "لا ازاااااي؟؟ متتأخريش. . مش معنى إن أخوكي مش هنا إننا نصيع، أفضل أداري عليكي لحد إمتى؟"

ضحكت يسرا، وقالت:

- "مش هتأخر"

وانطلقت نحو الحلم.

كان المخطط أن تجوب وسط البلد، وتختار مقهى لا يثير الريبة لتلجس لتكتب فيه، ثم بعد ذلك تمر على الحسين لتنال تبريكاته الأدبية. المقهى والحسين لم تخبر أمها بهما، فحمد لله أنها قد وافقت على خروجها لوسط البلد.

يسرا هي الأخرى تؤمن ب "أنا حر ما لم أضر" ولكن بموازينها البريئة الخاصة.

هنا القاهرة. .

وهناك يسرا. .

أخبرها الحبيب أنه سينشغل لأيام، فكان حريٌ بها أن تكتب غيابًا بحرف. .

((عزيزي الغائب. .

عوّدني الشوق أن يسبيَّ صبري، أن يقف حائلًا بين صمتي ووجعي، عوّدني أن يحرق أشعاري. . وحرفي المغلوب، وحرفي المُشتاق. . وذاكَ الحالم في دفتري الشارد.

عوّدني. . أن يُلقيني لمرساكَ الغائب حينًا والشارد حينًا. . فكيف يُلقيني. . ولا ألقاك. . ؟؟

فهكذا يفعل غيابك بي. . يعيد تكوين الأشياء، فأجدني من دوني. . وأجدك من دونك، فيقف الحب صامتًا بيننا مغلوبًا على نبضه. . نبضه الذي كان.

الحب، الحب قد ولّى مُدبرًا عزيزي، قد ملّ الهطول شتاءً، وأنت لست في الجوار. .

ظننتني عدت مراهقة بسنين عشقها الأولى على يديك. . . فوجدتني طفلة بعامها الأول، وتبقى كلمة أحبك ساذجة، قرب ما تكُنّه لك طفولتي. فأين الطفولة هذا المساء، ولم يبدو الخريف قريبًا. ولم أشعر بيُتمِ الأشياء. .؟ . .))

طالعت ما كتبته لتوها في أحد مقاهي وسط البلد العتيقة، لكن نصًا ظلّ غائبًا عنها، فشعرت أنه حَريٌ بها أن تبحث عنه. توجهت إلى "العبد" لتبتاع "الآيس كريم" بنكهة الفراولة والمانجو.

وراحت تأكله كطفلة في الخامسة وهي تجوب وسط البلد.

شيء في وسـط البلـد حتـمًا يدعـوك للجنـون. وجـوه البـشر في سـاعة الـذروة، والمنـاخ، وعتاقـة الأشـياء.

مـرّ بقربهـا رجلـين في السـبعين مـن العمـر يتسـامران حـول الخمسـينات والسـتينات، أحدهـما يحلـف بنـاصر، وآخـر يحلـف بالسـادات، فظلّـت تسـير خلفهـما كلصـة باسـمة إلى أن دخـلا إلى مزنـق قُـرب مطعـم القـزاز، فوجدتـه مقهـى عتيـق. لكـن أنوثتهـا أبت لهـا الانضـمام مـع ذاك الـسرب الرجـولي. فودعـت ظليهـما باسـمة، وهمّـت تُكمـل مسـيرها إلى أن وجـدت ميكروباصًـا ينـادي سـائقها:

- "حسين دراااااااااااااااااااسة"

وآخر قربَهُ يحادثها:

- "المنشيّة نفا؟ المنشيّة نفا؟ المنشيّة نفا يا آنسة؟ تعاااااالي"

راحت تسأل نفسها:

- "وهو مكتوب على وشي المنشية نفاااااا؟؟"

لم تُعرهُ اهتمامًا، وتقدّمت باسمةً إلى السائق الأول.

ووصلت إلى الدراسة، إذ قررت أن تسير من هناك إلى الحسين.

وفـور خروجهـا مـن الميكروبـاص راح السـائق ينـادي لـركاب آخريـن:

- "ااااااااالمنشيّة دبيييي"

فانفجرت ضاحكة، قبل أن تسمع رجلاً آخر ينادي:

- "شاااااااااااااااااااااي سوخن موحوححححححح"

وإذا بضحكاتها تعلو وتعلو حتَّى استغرب من أمرها المُشاة. كانت جدّ سعيدة ومفكرتها في يدها تنتظر حروفها المشاغبة منها.

التفتت إلى بائع الشاي الذي نادى لتوّه، وسارت إليهِ بروحِ الصّبا. . تسأله:

- "اسمك إيه؟"

نظر إليها الأخيرُ قلقًا، وقال:

- "ليه؟"

فقالت باسمة:

- "الطريقة اللي بتنادي فيها ع الزباين ملفتة قوي، حابة أحتفظ باسمك"

فابتسم حتَّى ظهر صف أسنانه كلّه وقال:

- "طه. . والشّهرة موحوح. ."

فابتسمتْ يسرا له شاكرة. .

وأخذتْ تسير وتطالع وجوه الناس الشاردة، والغائبة، والمُتعبة، والبذيئة، حتَّى شعرت بثقل الحروف. .

وإذا بعاشقين يمران أمامها وهي تشرب عصير القصب، فتوقفت عن شربه حتَّى لا تفوتها تفصيلة، هي بطبيعتها تحب تفاصيل الأشياء.

فعادت تبتسم لهما مباركةً لهما عشقهما. . وتابعت مسيرها، إلى أن وصلت للحسين.

بدا المكان مزدحمًا. .

- "هو شارع المعز فين بعد إذنِك؟؟"

سألها أحدهم، لكنها اعتذرت أنها لا تدري. .

- "شارع المعز. . الله. . . ."

راحت تخاطب نفسها وهي تطالع من سألها يسأل غيرها وتراقب من دلّه على المكان. .

وفي لحظة. . قررت أنها سوف تذهب هناك، فقادتها قدماها.

وجدت نفسها في سوق يبيع الذهب والفضة، وبائعون متجولون. . وبشر. . كانت بساطة الأشياء تدعوها للمضي قُدمًا. . وأبوها الروحي: نجيب محفوظ يدعوها هو اللآخر للإحتذاء به. كانت تعلم أن البشر من حوله أمدّوهُ بحروفه، إذ كان يفر من منزله خِلسة ليتوسط قلوبهم، ويجلس صامتًا على أحد الأرصفة قُرب عمود إنارة طويل، ليطالع وجوه المشاة .

شعرت بقلق وهي تسير في طريق رأسي طويل، إلى أن وجدته، كم بدا جميلًا والأنوار خافتة من حوله. منظر تخشع له نفسك وتستكين. . كان هنالك مقعدًا خاليًا يدعوها للجلوس أمام ذاك المعمار العتيق. في حين مرّ من قربها رجل يبيع غزل البنات، فنادته وابتاعت واحدًا. .

وفتحت دفترها وراحت تقرأ حروفها مجددًا، حروفها أشبه بلوحة تنتظر عبير الكلمات، أزالت غطاء القلم بفمها الصغير، شردت قليلًا. . لتجد النص الغائب:

((إلى صديقي الذي لا أدري كيف صار عزيزًا. .

ولكنه صار، والقلب من أمره احتار،

أكتب إليك كلماتي وأخطها بدهشتي،

طلبت مني كلمة ألقيها بالعربية، وها أنا أخشى حروف اللغة. .

ولكني عارية حين أكتب بها. . فهلّا قرأت عُريي هذا المساء؟ ؟

أنت أنت. . لا مثيل لك. .

قريني، ربما. .

توأم روحي. .

حبيبي في حياة أخرى،

موجود كنسيم صارخ، كشمس ثلجية. . كعدو ربيعي. .

أجد فيك عنف الأشياء، وأرقها. .

أكتبها حروفي، التي لا أجد منها ما يسترني، وأبسمُ لعُريي، وفي العين دمعتان:

ماذا حدث؟؟

ومن أنت؟؟؟))

* * * * *

١٢

في غُرفـة مُطلّـة عـلى بحـر مشـاكس، اجتمـع صبيـة، لـكل منهـم أحـلام. . منهـا الورديـة. ومنهـا الإباحيـة، ومنهـا العالقـة بـين الـورد والعُهـر. . تتنفـس وردًا يومًـا. . وعُهـرًا يومًـا. .

وصلـت صبيتـان، لهـما مـن الجـمال مـا كان، تـدق أحدهـما وَشـمًا، وأخـرى تتوسـط شـفاهها السـفلية حلقـا فضيًـا. تلـك هـي ميرنـا، وتلـك رفيقتهـا كـوكي. .

فتيـات أتقـنّ العُهـر كـما يجـب، حتَّـى مـا اسـتطعنَ إتقـان شيء غـيره، فبـات مصـلًا حيويـا يُحيـي الشريـان.

ودقـت ميرنـا البـاب. . وكان يـزن مـن أجـاب، ابتسـم فـور رؤياهـما وقال:

- "صباح الورد. ."

فضحكتا بمجون وهنّ يعانقنه. . قالت ميرنا:

- "فين الشّرقاوي؟"

- "حبيبك جوّا، وفي شابين كمان بس محدش يقربلهم!!"

ثم صمت قليلًا وهو يوجّه حديثه لكوكي:

- "صحيح، إيه أخبار العُمرة؟"

وانفجرَ ضاحكًا. .

فأجابته مستهزئة:

- "معرفش حد بالاسم ده"

وساروا في ممر ضيق حتَّى وصلا إلى الغرفة.

كان عبدالله لا يزال نائمًا مُنْذُ وصل الليلة الماضية، والشّرقاوي يتحدث عبر الهاتف على الشُّرفة، وأمجد يطالع التلفاز.

انتفض أمجد من مكانه فور رؤية الفتيات وصاح:

- "أحيييييييه"

- "يلا خد عبدالله وطيروا على برا، أحمد هياخد الأوضة التانية. . وأنا هقعد هنا. . روحو بلبطوا في البحر. ."

أمجد لم يغلق فاه مُنْذُ وصلت الفتاتين، كان يدري أن هنالك قلوبًا عامرة بالفُجر، ولكن عيناه لم تتسع فُجرًا. . وحين شعر بانتفاض عقله، قال وهو يلهث:

-"أحيه ع النسوان. . قووووووم يا سيدنا الشيييييخ"

وجه ندائه للشيخ الراقد على السرير. .

وراح يضحك وهو يقول:

- "قوم يا طاهر يا ابن الطاهرة. . السرير اللي إنت نايم عليه دلوقت مش هيبقا طاهر ياخويا"

وإذا بالشّرقاوي من الداخل يُغلق باب الشُّرفة بعد أن نهرَ أمجد بشفاهه، يبدو أنها مُكالمة مهمة من شخص مهم.

عبدالله لم يتحرك له ساكنًا فنومه ثقيل جدًا. .

- "أنا هصحيه. ."

كانت تلك المتطوعة كوكي من تمددت النصف قُرب الطاهر، وراحت تُمرر أصابعها على وجهه بخفة وتهمس:

-"وشه جميل، هو إخوان؟"

كان أمجد ويزن يكتمان ضحكتهما حتَّى احمرّ وجههما.

- "يا بودي اصحى يا بوووودي"

وراحت تعبث بوجهه. . وتكرر ندائها. . ففتح الأخير عينيه متكاسلًا. . وظلّ يحدق بوجهها غير مُدرك للواقع، وحين أدرك. . انتفض عن السرير كعذراء على وشك أن تفقد عذريتها وراح يستر نفسه بالغطاء:

- "أعوذ بالله. . أعوذ بالله"

فانفجر الصديقان ضحكًا حتَّى سقط أمجد على الأرض.

- "نهااااار أبووووووكوووو أسوووود"

راح يعوي وهو يلف الغطاء حوله. . فقال أمجد:

- "اهدا، يلا يا صاحبي عشان البحر بينادي، وأنا وأنت آخرنا البحر المصيف ده"

وضع عبدالله عيناه موضع قدمه. . وجرّ أمجد من يده نحو الباب والذي قال:

- "والعة يا ولاد المحظوظة"

أنهى الشّرقاوي مكالمته. .

وفتح باب الشُّرفة وقال:

- "إيه الإزعاج ده؟ يعني الواحد ميعرفش يتكلم تلفون؟"

ولكنه سرعان ما ابتسم لميرنا، التي قفزت بين يديه وراحت تُقبّله بشراسة وهي تقول:

- "وحشتني"

وكانت بائعة هوى تشتاق، والحق أن أحمد كان المُفضل عندها، إذ كانت تبيعه الهوى بضمير عاشقة.

قالت:

- "أنت على طول حلو كده؟ بتحلو يوم عن يوم!!"

ضحك الشّرقاوي وقال:

- "ممممممم مش عارف، اتولدت كده. ."

وقبل أن تعانق هذه الشفاه تلك الشفاه قاطعهما يزن:

- "Get a room"

تنبه أحمد وراح يضحك قائلًا:

- "آه صحيح. . يلا ع الأوضة التانية يا مرمر"

وخرجا سويةً وهو يُخاصِرها. .

وبقي يزن مع كوكي. . والشيطان يشهد من بعيد قرب ذاك الإثم. . باسمًا. .

قال يزن لها بعد أن أمسك يدها وجلسا على طرف السرير:

- "وحشتيني"

والحق أنه اشتاق ذاك الجسد ولم يأبه لتلك الروح الضَّالة.

ضحكت وهي تبادله الشوق.

وأغمـض عينيـه وراح يتبـادل معهـا شـيئًا مـن الحـب، وسـافر بعقلـه. . لأعـوام مـن الأمـس. . حـين كان. . . شـيخًا. . وعـبر ذاكرتـه ذاك اليـوم، يـوم الخطيئـة الأول:

"ذات أيام مُنْذُ عام

وقبلها بأعوام

كان هنالك شيخًا

يُدعى يزن عامر"

"١"

كان آنـذاك في مسجد يقـوم بعبـادة وتـضرع، حـين رنّ هاتفـه في جيـب جلبابـه فأخرجـه حـين قطـع عليـه تـلاوة القـرآن، ووجـد يـسرا المُتصلـة عـلى غـير العـادة. إذ أنـه يـدري أنّهـا لا تتصـل بـه حـين تعلـم أنـه في الجامـع.

- "ألو"

قالها بحسم. .

فأتى صوت يسرا باكيًا على الجهة الأخرى من الهاتف:

- "أبوك في المستشفى. ."

شـعر بغصـة مهولـة في صـدره وشـعر بجـدران المسـجد تضيـق بـه. . ففـرّ خارجًـا يتخبـط بخلـق اللـه. .

علـم مـن يـسرا أنّهـا أزمـة حـادّة بالقلـب. . حلّـق إلى المستشـفى بسـيارة أجـرة، حـين اسـتوقفه "كمـين". .

اقترب من نافذته طاووس عسكري يرتدي نظارة شمسية:

- "اطلعلي برا. ."

ترجـل يـزن مـن السّـيارة وهـو يقـوم بإخـراج بطاقـة هويتـه مـن جيبـه سريعًـا قبـل أن يطلـب منـه الضابـط ذلـك وأمدّهـا بـه. . أجابـه الضابـط ببسـمة:

- "حافظ مش فاهم. ."

وأردف قائلًا موجهًا كلامه للعسكر من حوله:

- "فتشوه. ."

كان يزن كالجثة، جثة في الخامسة من العمر، أصابه خرس. .

- "رايح فين؟"

سأله الضابط

- "أبويا في المستشفى. . أنا اتأخرت عليه قوي"

قالها بصوت خافت. .

-"يا عيييينييييييي"

أجابه الضابط باستهزاء. .

وكانـت تلـك نصـف سـاعة تضيـع هـدرًا، علِـم فيهـا يـزن أنّ إثمـه لحيتـه وجلبابـه. . وصـل إلى المستشـفى أخـيرًا. .

كانـت يـسرا وأمّهـا تجلسـان قُـرب لافتـة مكتـوب عليهـا "العنايـة المركـزة" . .

هرعـت إليـه يـسرا تحضنـه. كانـت تلـك المـرة الأولى التـي تحضنـه فيهـا مُنْـذُ مـدة طويلـة. شـعر بقسـاوة قلبـه. . ولم يسـتطع الصخـر أن يلـين. .

- "أبويا ماله؟؟"

وخـرج الطبيـب مـن غرفـة العنايـة إثـر سـؤاله. . مطأطـئ الـرأس. . ووضـع يـدًا عـلى كتـف يـزن: أن البقـاء للـه. . . .

وصاحــت الأم. . وانهــارت الأخــت. . والشــيخ يقــف مذهــولًا شــاخص البــصر. . . .

وقـف بعيـدًا عنهـم ورفـع يـده ورأسـه يخاطـب اللـه. . اللـه مـن تفـرّد بالبقـاء:

- "ليـه كـده يـاااااااااااارب؟؟ ده مـات زعـلان منـي. . ليـه كـده يـارب. . . دانـا بصليلـك وبصوملـك. . وبقوملـك الليـل. . وبحفظلـك القـرآن. . ليييييييييـه كـده يـااااااارب. . دانـا حـارم نفـسي مـن متـاع الأرض ابتغـاء مرضاتـك يـارب. . هـو أنـا عملـت إيـه عشـان تعاقبنـي وتاخـد أبويـا منـي يـارب. . بتختـبر إيمـاااااني؟؟ ده اختبـار؟؟ ده مـووووووت يـارب مـوووووت. . ليـه كـده يـاااارب ليييييييـه؟؟"

وانهـار باكيًـا عـلى الأرض والدكتـور يدعـوه بـأن يوحّـد اللـه. . لكنّـه لم يسـمعه. . وسُرعـان مـا فقـد الوعـي.

استيقظ ليجد نفسه على سريرٍ أبيض، يسرا كانت نائمة على كرسي مجاور وقد رسم الموت لعناته على عينيها الجميلتين. . والأم لم تكن موجودة. نهض عن السرير وقد أخرج إبرة الجلوكوز من يده. . وأزال الكوفية البيضاء عن رأسه، وطالع يسرا قليلًا. . قبل أن يخرج من الغرفة. .

عاد للمنزل بعد أن ابتاع إثمًا من مكان مجاور، وضع الكيس على الطاولة. ووقف يُطالعه بصمت. . ثم أخرج قنينتي الويسكي، وفتح إحداها بسرعة وتجرعها دفعة واحدة. . وأخذ الأخرى معه إلى الحمام حيث وقف أمام المرآة. . يحدق بانعكاسه الشارد.

لم يتردد قبل أن يمسك آلة الحلاقة ويحلق لحيته عن بَكرة أبيها.

وراح يغسل وجهه وكأنّه يغسل طُهره الأخير، قبل أن يفتح الزجاجة الثانية. . ويتجرعها دفعة واحدة. . وخلع الجلباب. . وخلع معه إيمانًا أخيرًا. .

ارتدى قميصًا وبِنطال، وخرج من مبنى منزله، ليدخل المبنى المقابل، الدور الثالث، شقة ٩. .

ودق الباب. .

وإذا بخمريةٍ تفتح له الباب. .

كانت عينيه تفوح بالكُفر قبل الشهوة. . وقفت سناء الجارة المجاورة تطالعه مستنكرة:

- "أفندم؟؟. ."

صمت قليلًا ثم ابتسم لها وهو يقول:

- "إيه. . معرفتنيش؟؟"

صمتـت قليـلًا وعيناهـا تتفـرس وجهـه الجميـل، قبـل أن تشـهق باسـمةً وتجـره إلى الداخـل:

- "هو أنت؟؟"

* * * * *

١٣

وعند الشّرقاوي. .

وحـين تجـردا مـن قلبيهـما قبـل مـا يسـترهما، كانـت ميرنـا تُغريـه بشـهيات القُبـل. . وتهـاوده باشـتهائها إليـه، وتشاكسـه.

لكن شيئًا بدا غريبًا.

وكأنّ رجولتـه الطاغيـة لا تسـعفه، وكأنـه فقـد شـهية الانصيـاع للشـهوة. . وفقـد مـع ذلـك. . ذكـورة. .

كان أشـبه بثـور سـبعيني، يحـرث في الأرض هبـاءً، وتخـور قـواه فيسـقط أرضًـا. رقـد إلى جوارهـا وهـو يتنهـد. ونظـر إلى سـقف الغرفـة وكأنّـه يحادثهـا بعينيـه الذاهلتـين، وقـال للراقـدة إلى جـواره:

- "أنـا مـش كويـس يـا ميرنـا. . أنـا حاسـس إني مـش طبيعـي، معرفـش مـالي!!"

نظرت إليه ميرنا باستياء وقالت:

- "حاسـة إنـك تايـه. . مالـك؟ في إيـه؟ إهـدى كـده؟ في مشـاكل في الشّركـة؟"

- "لأ. ."

- "اومال؟"

- "معرفش، حاسس إني مش طايق نفسي"

ومـد يـده ليأخـذ منشـفة مجـاورة، وراح يغطـي نفسـه بهـا، ليجلـس عـلى طـرف السريـر. لفّـت ميرنا غطـاء السريـر الأبيـض حولها. وراحـت تقـترب منـه وهـي تسـير بركبتيهـا عـلى السريـر لتجلـس إلى جـواره. وضعـت يدهـا عـلى كتفـه وبيدهـا الأخـرى أمسـكت بالغطـاء حـول صدرهـا:

- "اهدى يا حبيبي. ."

لم يجبها. .

وإذا بهـا تميـل برأسـها نحـوه لتقبـل عنقـه، لكنّـه نهـض فجـأة مـن قُربهـا وقـال بعنـف:

- "أنـا داخـل اسـتحمى، ولمـا تطلعيلهـم بـرا. أنـا قطعتـك النهاردة مـاشي؟؟ ومتقلقيـش ليـكي ٥٠٠ جنيـه زيادة"

صاحت به:

- "هـو انـت فاكـرني كـوكي ولا إيـه؟؟ فهمتـك ١٠٠ مـرة. . معـاك إنـت بالـذات أنـا مباخـدش فلـوس، هـو أنـت متعرفـش أنـا بحبـك قـد إيـه؟!"

أشاح بيده مستهزئًا. ودخل إلى الحمام.

وهنـاك، غمـر جسـده تحـت المياه. . لم يـرد لجسـده أن يغتسـل، ثمـة شيء روحـاني كان يدعـوه للإغتسـال داخليًـا. لكنّـه أبى الانصيـاع إليـه.

مـا الـذي أصابـه؟ ولم كل هـذا الغضـب؟ شـعر بقلبـه يتمـزق مـن ألم مجهـول الهـوى، هنـاك مـا يوجعـه، مـا يُبكيـه.

للحظـة مـرّ عليـه طيفهـا الجميـل. . أمعقـول أن تكـون "هـي"؟ تلـك التـي قدمـت مـن زمـن جميـل لا يـدري مـن أي كـون هـو. مـرّت بـه، لتحيـي في نفسـه نـارًا حارقـة، لتطفئهـا بابتسـامتها تلـك التـي رآهـا أول مـرّة حـين مـرّت أمامـه برفقـة الفتيـات. تلـك البسـمة التـي زلـزت روحـه، لكـن لم يسـمح لـذاك الزلـزال أن يكـون لـه أي آثـار جانبيـة، فـراح يقنـع نفسـه، أن كل الفتيـات سـواء. هُـنّ ثعابـين، هُـنّ مخادعـات، هُـنّ في العُهـر سـواء. يذكـر محادثتـه الأخـيرة معهـا وكـم بـدت بريئـة الطبـاع، أنيقـة المشـاعر. . يذكـر أنّهـا سـلبته روحـه. . لكنـه مُتيقـن أنـه قنـاع مـن العفـة والطّهـارة مُزيـف زائـف. ولأنّـه مُزيـف ارتبـك للحظـات. . قبـل أن يقفـل صنبـور الميـاه بغضـب، ويخـرج لميرنـا مُبلـلًا عاريًـا. . ويقـول:

- "إيه ده. . انتي لبستي؟؟ أنا فل خلاص. ."

فاسـتقبلته ميرنـا باسـمة، وهـي تخلـع مـا سـتر جسـدها وروحهـا. . وعيناهـا تغنـي: هيـت لـك. .

مضـت سـاعتان، وكان آنـذاك عبداللـه نائمًـا تحـت شمسـية كبـيرة ويجلـس إلى جـواره أمجـد صامتًـا ذاهـلًا يطالـع تلـك الأجسـاد الغربيـة، ويلعـن حظـه المـصري ألـف مـرّة. راح بطبيعـة الحـال يقـوم بمقارنـات قهريـة يهمـس عـلى أثرهـا:

- "يخربيت المحشي. ."

لكنّه ابتسم، فهو يحب جسد أميرة المُمتلئ عند الخصر. . ربما أميرة ليست بتلك المواصفات الألمانية أو الروسية الرائعة. لكنّها أميرة، فأدرك كم يحبها.

وإذا بهاتف له رنّة عقيمة يرن، أخرج أمجد هاتفه من جيب الشورت الذي لا يعكس سوى مجاعات الصومال، نظر في الشاشة، أميرة تتصل بك. .

- "هي مرقباني دي ولا إيه؟"

لفظها سريعًا قبل أن يجيب:

- "ألووو"

- "أيوة. . أنت فين كده؟ مكلمتنيش ليه أول ما وصلت؟"

- "لسة صاحي مليش ٣ ساعات، أول ما وصلت نمت على طووول"

- "أنت ع البحر؟"

- "آه، أنا ع الشط دلوقتي والجو تحفة لوووز مووووز لوووووووز. ."

- "والليلة دي دفعت فيها كام؟؟ دي شرم نار. ."

- "دفعت كام؟؟ هو أنا لاقي آكل؟؟ الشّرقاوي قام بالواجب!"

- "مش متطمنة"

- "رحلة لشرم وجتلي م السما. . أقولها لأ؟"

- "لاااا. . ازاااااي. . وأكيد مقضيها معاكسات ومسخرة في شرم. ."

- "يـا مـرار أمـي. . أعاكـس مـين؟ طـب بزمتـك أنـا منظـر حـد يعاكس؟ ده أنـا شـبه أبـوكي يـا بـت. . والـلي شـبه أبـوكي يجيلـو نفـس يعاكـس إزاي؟"

- "%*@*%@"

- "بس يا بذيئة. ."

- "#@%#*"

(طل الشّرقاوي ويزن)

- "سلام ناو"

قال له يزن وقد جلس على الكرسي وبجواره أحمد:

- "أخبارها إيه؟"

أجاب أمجد قائلًا:

- "هي مين؟؟"

أجاب يزن بثقة:

- "أميرة"

- "عرفت إزاي إني بكلمها؟"

- "عيب عليك!!"

ابتسم أمجد وقال:

- "أهي مطلعة ميتيني بس بحبها"

- "أخبار شقة السيدة زينب إيه؟"

- "لا تصلـح للاسـتخدام الآدمـي، وأبوهـا مـش عايـز إيجـار جديـد!!"

- "والعفش والأجهزة؟؟"

- " ولا أي بتنجان، عَمّال أشترلها في قمصان نوم لما قلت يا بس"

وراح يضحك عاليًا. . وقال:

- "أهو بنجيب حاجة في حاجة، بس اللي هو حاجات بسيطة قوي"

- "بتحبها؟"

سـأله يـزن فجـأة، كان لسـؤاله ظـل موجـوع وآخـر مُبهـم. سـؤال غريـب لصديـق يعلـم أن صديقـه خاطـب مُنْذُ خمـس سـنوات، وقـد عـاش الحيـاة بسرائهـا وضرائهـا مـع مَـن يحـب.

أجاب أمجد:

- "بحـب أمهـا، هـي ليّ وأنـا ليهـا، وهعمـل المسـتحيل عشـان نكـون تحـت سـقف واحـد، ربـك كريـم. ."

وأردف قائلًا بعد قليل من الصمت:

- "شكلكو اتزبطووا. . أصلي"

وغمز بعينيه لكليهما.

فأجاب الشّرقاوي سريعًا:

- "ميرنا متحملتنيش كالعادة. هو ماله عبدالله ميت كده ليه؟"

وأشار لعبدالله.

يـزن كان نبيهًـا بمـا يكفـي ليشـعر بخطـبٍ مـا، ردّ فعـل الشّرقـاوي السريــع واندفاعــه ليجيــب أولًا، ثــم تغيــيره للموضــوع وراءهــما الكثـير، لكنّـه لم يعقـب.

قال أمجد وهو ينظر لعبدالله:

- "مخموود أهو"

ومـا هــي إلا لحظـات حتَّـى ظهـرت ميرنـا وكـوكي، فنظـر إليهـما أمجـد وعينيـه تحتـار بينهـما. قـال الشّرقـاوي ضاحــكًا:

- "متقلقش يا ميجو، هتفضل عذراء معلش!!"

فضحك يزن، فقال أمجد ساخرًا:

- "حاسـس إن أنـا هفضـل عـذراء طـول عمـري، مبينلهـاش جـواز، اللـه يخربيتـك يـا الـلي في بـالي"

جلسـت كـوكي عـلى رجـل يـزن وكذلـك فعلـت ميرنـا مـع أحمـد، وقالـت الأخـيرة:

- "أنا جعانة قوي، أحمد هد حيلي"

فضحك أحمد باضطراب، وقال. . :

- "سمك يا شباب؟"

فوافـق الجميـع، ونظـر خمسـتهم إلى عبداللـه، وقـد عـلا شـخيره، فنهضــت كــوكي ضاحكــةً، وجلســت عــلى الرمــال إلى جــواره وهــي تكتـم ضحكتهـا، وراحـت تداعـب وجهـه بأظافرهـا. لكنـه بـدا في نـوم عميـق فلـم يهتـز لـه طـرف. فراحـت تدغدغـه علّـه يسـتيقظ. فـراح يتقلـب في نومـه بوجـهٍ مُنزعـج وحـين فتـح عينيـه وجدهـا بقُربـه،

وراح يحـدق بوجهها وعقلـه لا يسـتوعب المشـهد. وإذا بـه ينتفـض مجـددًا وهـو يقـول:

- "هـو في إيـه يـا سـت، ابعـدي عنـي يـا وليـة اللـه لا يسـيئك!!! هـو انتـي ورايـا ورايـا؟ جـرى ايـه يـا جدعـان، حـد فيكـو يلـم الوليـة السـعرانة دي"

وانسحب من بينهم وهو يولول متوعدًا. .

فضحـك الصبيـة. . في حـين وقـف بعيـدًا عنهـم يرمقهـم بأسـف، يدعـو لهـم بالهدايـة. .

"إنكَ لا تهدي من أحببتَ ولكنَّ اللهَ يهدي من يشاء"

*****

١٤

- "وبكـده تكـون خلصـت حلقـة النهـاردة، متنسـوش تشـاركونا بتعليقاتكـو عـلى الفيـس بـوك، وزي مـا عودتكـو دايمًـا البيـج ظاهـرة أسـفل الشاشـة أهـي، ياريـت نسـمع بعـض ونحـاول نلاقـي حلـول وأفـكار جديـدة"

وابتسمت قليلًا لتقول:

- " صباحكم ورد"

- "كاااااااااااااااااااات"

كان ذاك صوت كريم الذي يحب دومًا أن يعيش دور المخرج خلف الكاميرا، أخرج علكة من جيبه وجلس أمامها على الأريكة مستريحًا تمامًا في جلسته وقال:

- "هنتغدا فين؟"

- "مممممممم، ماك؟"

أجابته وهي تنزع الجهاز الموصل بالمايك حول خصرها

كل هذا وذاك الكريم يتفرس جسدها خفية، قال شاردًا:

- "وماله؟"

ثم نهض فجأة عن الأريكة وراح يفرد ذراعيه وجسده ويتأوّه تعبًا:

- "هشوف أيتن!!"

فأتى بسيرة القط، قام "ينط"، خرجت أيتن ضاحكةً من إحدى الغُرف الجانبية وخرج خلفها هشام أحد المصورين يعدل من بِنطاله وقميصه، وأيتن تعيد ترتيب خصلات شعرها وفتحة قميصها. كانت فرح تنظر إليهم متقززة وهي تقول لكريم محاولةً تجاهل ما رأت:

"الديكور المعفن ده هيتغير إمتى؟"

- "خشي بس إنتي ارتاحي في أوضتك واشربي أي حاجة سخنة وهنتكلم في الحوار ده على طول"

نظرت إليه باستياءٍ ولم تعقب وتوجهت إلى غرفتها. راحت تمسح مساحيق التجميل عن وجهها، كم تحب وجهها طفوليًا بعينيها الخضراوين.

أخرجـت سـيجارة بنكهـة الشـوكولا مـن ماكبيـث مـن حقيبتهـا إذ أنهـا أرادت أن تخفـف مـن أثـر النيكوتـين مـن وجههـا. . ولكنهـا لم تصـل إلى الكيـف المنشـود، فألقتهـا جانبًـا وهـي تخـرج أخـرى مـن معشـوقتها الحمـراء مارلبـورو، سـحبت نفسًـا آخـر، وراحـت تطلقـه بشـكل حلقـات دائريـة في الهـواء وتبتسـم لتذكرهـا عجـز أصدقائهـا عـن تقليدهـا.

أحيانًـا تتمنّـى لـو تصبـح دخانًـا كـذاك الـذي تنفثـه، ولكـن لا. . ليـس بعـد. . ثمّـة مـا يخبرهـا أن في الغـد مـا هـو أجمـل. ثمّـة أمـل في كيانهـا المُهشـم، يخبرهـا أن ستبتسـم يومًـا، وتتعـالى ضحكاتهـا فرحًـا. . . راحـت تحـرك فتيـل الشـاي بداخـل الكـوب، تراقبـه وهـو يـبرد تمامًـا وهـي لا تنـوي شربـه فعليًـا. .

خرجـت مـن الغُرفـة. . لتدخـل غرفـة الإعـدادات، هـي الغُرفـة المُشرقـة الوحيـدة التـي تُحـب أثاثهـا الرقيـق. كان البـاب مفتوحًـا. . وجـدت شـابًا يقـف قبالـة النافـذة الكبـيرة. بـدا مسـتغرقًا جـدًا في تأملاتـه، شـيئًا مـا أخبرهـا أنـه لا يحـدق بمـا وراء النّافـذة، هنـاك مـا هـو أكـبر، شيء يدعـوه للـشرود صامتًـا، والخـروج عـن هـذه الآفـة، المدعـوة بالواقـع.

قامـت بإصـدار حشرجـة بصوتهـا علّـه يتنبـه لوجودهـا، لكنّـه لم يلتفـت لهـا، أو بمعنـى أصـح ظـلّ غائبًـا بروحـه، حـاضرًا بجسـده.

رفعـت حاجبًـا وجلسـت عـلى الأريكـة الجلديـة بثِقـل، وكأنّهـا ترمـي بجسـدها عليـه ليسـمع الغريـب صـوت حركتهـا. لكنّـه ظـل صامتًـا جامـدًا، حتَّـى ظنتـه أصـم.

أثـار حفيظتهـا، إلى أن وجدتـه يشـعل سـيجارة مارلبـورو حمـراء، يسـحب منهـا نفسًـا عميقًـا ثـم يرفـع رأسـه عاليًـا وينفثهـا عـلى شـكل حلقـات دخانيـة.

تعجبـت في مكانهـا ولم تسـتطع كتـم ضحكتهـا، أخـيرًا ثمّـة مـن يسـتطيع فعلهـا أمامهـا. كانـت تأمـل بـأن يلتفـت لـترى وجهـه أكـثر مـن أن تعـرف مـاذا يفعـل في غرفـة الإعـدادات. ولكنّـه لم يتحـرك!

- "يا أستاذ"

انتابتهـا الحـيرة إثـرَ سـلبيته، ونهضـت عـن الأريكـة لتضـع يدهـا عـلى كتفـه علّـه يسـتيقظ مـن سُـباته. فالتفـت إليهـا سريعًـا وهـو ينـزع سـماعة الهاتـف عـن أذنـه وقـد بـدا أنـه يسـتمع إلى أغنيـة مـا.

لم ينطـق، كان وجههـا أجمـل مـن أن ينطـق، حتَّـى أنـه آمـن أنّ الشـمس أشرقـت هـذا اليـوم تحديـدًا وتلـك السَّـاعة لتـبرز جـمال عينيهـا، وذلـك النمـش الخفيـف عـلى أعـلى وجنتيهـا وأنفهـا. وتلـك الحُمـرة الطبيعيـة عـلى خديهـا، وشـفاهها الصغـيرة التـي تُغريـه لشـهيات القُبـل. .

- "يا كابتن"

نبَّهته مجددًا، فاستفاق، وقال:

- "أنـا آسـف، مخدتـش بـالي إنـك موجـودة. أنـا جـاي في شـغل مـن طـرف كريـم توفيـق"

- "آه، هو في الأستوديو غالبًا"

"يا ريت تبلغيه إني موجود، بتصل بيه مش بيرد!"

شعرت براحة إذ لم يتعرف عليها ويثير ضجة مهلهلة،

ابتسـمت لـه نصـف ابتسـامة، وأشـارت لـه أن يلحقهـا. دخـلا إلى الأسـتوديو حيـث أيـتن وكريـم، أمـا باقـي الفريـق فكانـوا يتناولـون الغـداء.

وما أن دخلا حتَّى هلل كريم قائلًا:

- "إيـه ده؟؟ إنتـو قابلتـوا بعـض؟ مـش تقـولي إنـك رجعـت مـن شرم يـا راجـل؟"

نظـرت فـرح لكريـم باسـتغراب وهـي لا تـدري مـا يقـول. اقـترب منهـا كريـم وراح يعرفهـما ببعـض:

"فرح عصام، مذيعتنا الصباحية الجميلة"

ثم نظر إلى الآخر وراح يعرفه لها:

- "يـزن عامـر، البشـمهندس يـزن عامـر، الـلي هيغيرلـك المـكان على ذوقك"

مد يزن يده يصافحها قائلًا:

- "قصدك على ذوقي!!"

وراحـت عينـاه تبتسـم لهـا. . لكنّهـا لم تشـاركه البسـمة. . تجاهـل كريـم مـا قالـه، أو لم يسـمعه مـن الأسـاس. أمـا هـي فسـحبت يديهـا مـن يديـه ببطء. وقالـت بسـادية:

- "الديكـور مـش عاجبنـي، حاسـاه كئيـب، وكأنـه بيدعـوك للانتحـار داخليًـا. عايـزه حاجـة كـده فرايحـي، وفي نفـس الوقـت شـيك وكلاسـيك"

- "الكحلي الغامق كارثة في التي في"

ابتعد عنهما كريم، فاسترسل يزن حديثه قائلًا:

- "عمره ما هيبرز لون عنيكي"

ظلّت تحدق به صامتةً ثم قالت:

- "حتَّى الكنبة اللي بقعد عليها سواء أنا أو ضيوفي، مش مُريحة. . ولونها بشع. . سمعت إنك برضو بتقدم مقترحات بالنسبة للأثاث؟"

نظر إلى الأثاث للحظات، ثم قال لها باسمًا:

- "مش حاسة إن دي مملكتك. . حاسة نفسك مسجونة"

نظرت إليه بامتعاض مجددًا وقالت:

- "الأرضية والستاير، ملهومش أي علاقة ببعض، بيزيدو المكان كآبة"

لحظتها لم ينظر للأرضية أو للستائر، بل نظر مباشرة في عينيها، وقال:

- "عنيكي وراهم حكاية حزن طويلة، تفتكري لو غيرنا الديكور والألوان، ده هيغير في عنيكي حاجة؟"

فرح لم تشعر بنفسها إلا وهي تقول:

- "قالولي إنك مهندس ديكور، مش مُحلل نفسي، لأنك لو مُحلل نفسي فملكش أكل عيش عندنا"

ابتسم لها، وهو يخرج سيجارة من جيبه ويشعلها. . وقال:

- "أنا مش مُحلل نفسي، بس حاولي متكونيش مفضوحة!!"

لم تستطع النطق، فأدارت ظهرها له. . وسارت خطوتين، ثم التفتت

إليه وقالت:

- "أنـت المفضـوح، سرحانـك قـدام الشـباك، ومازيكـة "يـانّي" الـلي كنـت بتسـمعها، والحـزن الـلي في عينيـك فاضحـك. . وبيحكـوا جنونـك الـلي لسـة مامتـش فيـك، وسـط حاجـات كتـير ماتـت وادفنـت مـن زمـان بعـد "

وأدارت ظهرهـا مجـددًا لـه، وقـد ضربتـه في الصميـم، نظـر لخطواتها مذهـولًا. . لم يتوقـع ذلـك التحليـل مطلقًـا. كيف اسـتطاعت قراءتـه؟؟ وقـد عاهـد رجولتـه ألا تقـرأه امـرأة قـط.

فرح. .

* * * * *

١٥

عـادت مـن المدرسـة بعـد يـوم شـاق تحمـل دفاتـر الفتيـات لتقـوم بتصحيحهـا لاحقًـا. ألقتهـا جانبًـا وهـي تقـول متأففـة لأختهـا الصغـرى شـمس:

- "هاتيلي كوباية ميه"

ركضـت شـمس في اتجـاه المطبـخ تلبيـة لطلـب أختهـا الكـبرى. عـادت إليهـا وقالـت بحـماس الطفولـة:

- "يـاااااه كل دي كشـاكيل هتصححيهـم؟ لمـا أكـبر إن شـاء اللـه هبقـا مدرسـة زيـك وأسـاعدك في تصحيـح الكشـاكيل."

وابتلعت ريقها وقالت بذات الحماس:

- "ومتقلقيش هدرّس في مدرسة للبنات زيك بالضبط، عشان ماما وبابا يرضوا عني"

نظرت إليها ليلى بشفقة، سرعان ما تحولت نظرتها إليها لنظرة حنان مُنكسرة، وقالت وهي تربت على كتفها:

- "إنْ شاء الله يا شمس"

ركضت الصغيرة نحو دفتر مُلقى تركته على الأرض، وراحت بقلم أحمر تصحح لنفسها ما كتبت، بل وتعطي نفسها درجات من عشرة أيضًا.

راحت ليلى تدعو الله بألّا يكون مصير شمس كمصيرها. ألّا تعيش بغوغائية الجهل، ألا تكون نسخة لمأساتها. راحت تذكر محمد، بنظرها محمد هو الحل، حتَّى لو كان قاسيًا، سيعيشان في القاهرة -أو هكذا تأمل- حيث التحضر والتفتح. وبذلك ستقلدها أختها لو كانت ذكية كفاية عندما تكبر.

جلست على الأريكة تطالع التلفاز حين خرجت أمها تقول لها:

- "ليلى. . تعالي هنا عايزاكي"

نهضت ليلى بتكاسل عن الأريكة، ودخلت خلف أمها إلى المطبخ. راحت تحضّر معها الغداء بصمت، بانتظار أن تنطق أمها. وقفت إلى جانبها تحضر السلطة. كانت تمسك الخضار وتقطعه قطعًا صغيرة جدًا، راحت تنظر إليها ليلى بانتظار أن تكشف عمّا تخبيه. كان يبدو عليها أنها تزن كلامها جيدًا، قبل أن تنطق به، وهكذا هي أمينة، من تقوم بالأعمال التجارية عوضًا عن زوجها،

العصاميـة، مـن تتصـدر مجالـس الرجـال حـين الحديـث عـن الأراضي والمـزارع، مـن لا تقـرأ ولا تكتـب، هـي ابنـة الرجـال، وذاك يكفيهـا. . .

خرجت عن صمتها أخيرًا:

- "أم بدوي جايه عندنا كمان نص ساعة"

نظرت إليها ليلى باستغراب وقالت:

- "أم بـدوي؟ يـااااااه هـي السـت دي لسـه عايشـه؟؟ خـير يـا أمـي في حاجـة؟"

- "هيكون في إيه يعني؟ جايه تطاهر أختك شمس"

نـزل الخـبر عليهـا كالصاعقـة حتَّـى ارتعشـت أناملهـا السـمراء، كتمـت بداخلهـا صرخـة مدويـة، وقالـت بصـوت يـئن ألمـًا:

-"تطاهـر شـمس؟؟ يـا خـبر أسـود يـا أمـي، انتـو لسـه بتعملـو الهبـاب ده؟؟ مـش كفايـة أنـا والعـذاب اللـي شـفته مـن عـشر سـنين وكنـت هـروح فيهـا بسـبب الجهـل والإمعيـة؟ تطاهـر شـمس ازاي؟ دي عندهـا ٩ سـنين يـا أمـي. .؟؟"

نظرت إليها أمها بغضبٍ وقالت:

- "جهـل وإيـه يـا ختـي؟؟ وآدي اللـي بناخـدو مـن العَـلَام. إحنـا رضينـا إنـك تكمـلي عَلَامِـك عشـان سي محمـد فـرض علينـا ده. إنمـا تيجـي تقوليـلي ع كلمتـين حافظاهـم فـده مـش عندنـا يـا حبـة عينـي. اتعـدلي بـدل مـا أعدلـك. أنـا قلـت أقولـك عشـان تبقـي معايـا في الأوضـة لمـا أم بـدوي تيجـي عشـان البـت متتصرعـش"

راحت ليلى تلطم على وجهها:

- "والـلي هيتعمـل فيهـا دي مـش هيصرعهـا؟؟ ده خطـر يـا أمـي. أبـوس إيـدك متعمـلي في بنتـك كـده" .

- "شوف البت. . هو أنا هقتلها؟؟؟"

وأردفت قائلةً بحسم:

- "ده شرع ربنا يا هبلة انتي وصون وحفظ للبنات. ."

أجابتها ليلى باكية:

- "صـون وحفـظ لشـمس مـن إيـه يـا أمـي؟ هـي ضنـاكي ليهـا ف المـشي البطـال؟ واللـه لـو عملتولهـا ألـف عمليـة ختـان ومصيرهـا كان فاجـر. . هتمـشي في الفُجـر."

تركـت أمينـة السـكينة مـن يدهـا، لتمسـك بشـعر ليـلى وتجـره إلى الأسـفل قائلـةً:

- "اخـرسي يـا قليلـة الحيـا. . صحيـح بنـت عايـزة رِبايـة، بيـكي ولا مـن غـيرك أم بـدوي جايـة يعنـي جايـة. ."

راحـت ليـلى تبـكي، وتبـكي بداخلهـا تلـك الطفلـة التـي حرقـوا طفولتهـا يومًـا باسـم العُـرف والعـادات. .

خرجـت أمهـا مـن المطبـخ، وكأنّهـا لا تـرى ابنتهـا تبـكي. توجهـت ليـلى بدورهـا إلى نافـذة المطبـخ. فوجـدت في الأسـفل قطـة تـأكل. راحـت تتمنّـى لـو كانـت مكانهـا، قطـة تـأكل مـن خَشـاش الأرض، تمنّـت لـو اكتفـت بفطـرة الحيوانـات التـي لا تتغـير، تلـك الفطـرة المحفوظـة التـي لا ريـب فيهـا، ولعـدل اللـه حكمـة مـع الحيوانـات، لأنـه لم يميزهـم بالعقـول، وتـرك رحمتـه أو جبروتـه مرهونًـا بمـا يرجـوه

عقـل الإنسـان. تمنّـت أن تمـوت ميتتهـم، حـين تصبـح نسـيًا منسـيًا، وحتَّـى حـين تبعـث، حـين يحـين لقائـه في عـلاه. . سـتكون ترابًـا؛

"يا ليتني كنتُ ترابًا". .

حكت دموعها.

خرجـت إلى الصالـة، وكانـت الشـمس لا تـزال تلعـب بـالأوراق والأقـلام، وحولهـا هالـة مـن الحلـم والصبـا. اقتربـت منهـا، وجلسـت إلى جوارهـا تكبـت قهرهـا ودموعهـا. . قالـت بصـوت بـاكٍ وهـي تتحـدث بالعربيـة كـما في قنـاة سبيسـتون التـي تحبهـا شـمس:

- "أأنهيتي يا أستاذة شمس؟"

نظـرت إليهـا الصغـيرة بعينـين تتسـلقان حلـمًا كـذاك الـذي عرفتـه مـن أختهـا الكـبرى، وقالـت بـذات اللهجـة:

- "لا. . هنـاك الكثـير مـن الواجبـات. . والفتيـات منهـنّ الشـاطرات ومنهـنّ الفاشـلات. . فأعطيهـن "كحكـة"

وراحـت تضحـك بأمـل، فربتـت ليـلى عـلى رأسـها، وراحـت تمـرر يديهـا عـلى ضفائرهـا، ثـم ظهرهـا، ووجـع بداخلهـا قـد بلـغ مبلغـه. .

- ستكونين أجمل أستاذة يا شمس، وستحبك الفتيات والفتيان.

فصاحت طفولتها وكأنّها أبت ما تقوله شفاه أختها، قالت:

- فتيان؟؟ أنا أدرس فتيان؟!

فأجابت ليلى باسمة:

- نعـم. . فتيـان، أليسـوا مخلوقـات اللـه؟ سـيكون مصـيرك يومًـا أن تتزوجـي أحـد الفتيـان. .

فراحت تشهق طفولتها فقالت بقلق:

- "بس إنتي بتدرسي بنات بس!! وأنا حابه أكون زيك"

نظرت إليها ليلى بعتب، وقالت آسفةً:

- "لا متكونيش زيي. . كوني الشمس. . كوني الهدى، زمنك غير زمني، وغير زمن أمي وجدتي. . خليكي أملي."

صمتت الصغيرة، في محاولة لاستيعاب ذاك العُمق، لكنها لم تستطع. قالت باسمة:

- "حاضر. ."

وعادت لصمتها مجددًا، ولكنها سرعان ما قالت:

- "بس أنا عايزة أطلع زيك. ."

ابتسمت ليلى بقهر، ولثمت رأسها بشفتيها، وخارت قواها. . وراحت تبكي وهي تأخذها بين ذراعيها. رفعت شمس رأسها إليها، وقالت:

- "بتعيطي ليه؟"

تنهدت ليلى بألم، وقالت:

- "أصبحتي عروس يا شمس. . وكم أحبك. ."

فعادت الصغيرة باسمة لأوراقها. . ترسم حُلمًا على رصيف صبا، وتلونه بضفائرها الصغيرة.

نهضت ليلى من قربها، وتوجهت نحو حقيبتها الملقاة بعد أن نزعت حجابها، وأخرجت هاتفها من داخله. . لتتصل بمحمد. .

راح الهاتـف يـرن، وطـال الصمـت اللاسـلكي، حتَّـى ظنتـه كعادتهـا لـن يجيـب. . وفي آخـر لحظـة، أجـاب أخـيرًا:

- "الو. ."

- "أيوة يا ابن عمي. . ازيك؟"

- "تمام، وانتي؟"

-. . . . . .

- "ألو؟؟"

- "معاك. ."

- "مالك؟ انتي بتعيطي؟"

ألقت ليلى نظرة حولها، ثم دخلت غرفتها سريعًا، قالت:

- "أختي شمس. ."

- "مالها؟؟"

- "مش. . عارفة أقولك إيه. ."

- "في إيه يا ليلى قلقتيني. ."

- "أنا بس عايزاك تقولي أعمل إيه. ."

- "هتنطقي وتقولي في إيه ولا أقفل؟ مبحبش الصداع ده. ."

- "في واحدة جاية تعمل لشمس ختان. ."

- "نعم؟!"

- "أعمل إيه؟"

- "ده ختان. . اللي هو ختان الإناث ولا قصدك إيه؟"

- "أيوة. . أومال ختان إيه يعني؟"

- "يا نهر أزرق؟ إيه الجهل والقرف ده؟؟"

- "والله قلت لأمي كده شدتني من شعري، أنا مش عايزة شمس يتعمل فيها زي ما اتعمل فيا"

-. . . . . . .

- "يا ابن عمي؟؟"

- "نعم؟! بتقولي إيه؟! ليه هو انتي. . . . . . ؟؟؟ . . يا نهار أسسسسسسود. . أمك مقلتليش الحوار ده. . انتو عيلة مجانين. سلام"

وأنهى المكالمة. .

راحت تلعن قرارها بمحادثته. . مرّت لحظات، وعاد يتصل بها مجددًا:

- "هاتي أمك. ."

- "لأ طبعًا، أمي لو عرفت إني قلتلك هتجيب رقبتي. ."

- "ليه إن شاء الله. .؟ طب هاتي أبوكي. ."

- "يا نهار أسود، أنت عارف لو أبويا عرف إننا بنتكلم تلفون هيعمل فينا إيه؟ . ."

- "أومال أعمل إيه؟ شمس في رقبتك. . امنعي القرف ده بأي شكل. انتو جايين القاهرة إمتى؟"

فانطلقت دموعها، وعلى بكاؤها:

- "معرفش. . معرفش، وأم بدوي كلها شوية وتيجي. ."

صمتت قليلًا. . وقد تجمّدت دماؤها، كان لا يزال محمدًا يهذي على الهاتف، قالت بقلق:

- "سلام دلوقتي. ."

وفرّت إلى الخارج. .

كانت سيدة في الخمسينات من العمر، سمراء بدينة، لا ملامح لها، وكأنّها كانت رجلًا في حياة أخرى، شعرها الأجعد متناثرٌ من تحت حجابها القاتم، وقرطيها الذهبيين يتدليان من أذنيها. كانت تتنفس بصعوبة لصعودها السلم، فلحمها الزائد يقسم ظهرها. بقربها كيس أسود متوسط الحجم. . تلك كانت أم بدوي، وتلك أدوات الجريمة.

- "والله وكبرتي وبقيتي عروسة. . إزيك يا بت يا ليلى؟"

كانت عينا ليلى تشعان غضبًا وقهر.

- "بخير"

- "هتتجوزي إمتى؟"

- "لسه بدري"

ثم نظرت لشمس. .

- "يا شمس. ."

كان ذلك صوت أمينة تناديها من الداخل

فرفعت الصغيرة ناظرها صوبَ الغرفة.

- "تعالي أقولك حاجة في الأوضة. ."

نهضت شمس، وتبعتها أم بدوي، تمشي بثقل وكيسها في يمناها.

لحقتها ليلى، ووقفت صوبَ الباب تسمع حديث أمها:

- "شـمس، النهـاردة هنحتفـل بيـكي، عشـان كـبرتي وبقيتـي عروسـة"

وراحت تضع يديها على كتفي ابنتها. . وتقول:

- "بـس عشـان تبقـي عروسـة بجـد وحقيقـي، في حاجـة لازم تعمليهـا، زي كل البنـات. . حتَّـى ليـلى عملتهـا وهـي صغـيرة"

راحـت ليـلى تجزّ عـلى أسنانها حتَّـى يخيـل إليـك أنهـا تتكـسر لشـد اصطكاكهـا.

نظـرت شـمس صـوبَ ليـلى، لكـن ليـلى ظلّـت صامتـة، جامـدة لا يهتـز لهـا طـرف.

العجـزُ يبقيـكَ مكانـك مبتـور الإرادة، ينهـش فيـك صـبرك، يجعلـك عاريًـا لا حـول لـك ولا قـوة، حتَّـى إذا جـاءك حلـم، قلـت لـه اِرحـل. . لأنّـك حينهـا بـدورك تـرضى عـلى نفسـك ميتَـة الأحـلام.

لحظـات وكانـت الصغـيرة مُمـدة عـلى ظهرهـا، بـدت واثقـة وهـي تتشـبه بأختهـا، لكنهـا بـدأت تنتفـض حـين اقتربـت منهـا أم بـدوي، نظـرت صـوبَ ليـلى. . ثـم إلى أمّهـا، ثـم إلى ذاك الشـبح الأسـود الـداني منهـا، ثـم عـادت تنظـر لليـلى:

- "ليلى. ."

لفظتها بصوت فزع.

- "افتحي رجليكي. ."

أمرتها أمها بلطف، لكن الصغيرة راحت تواري عورتها بيديها. .

- "ليلى. ."

نادتها مجددًا.

لكن ليلى وقفت كالمكلومة، أصابها الخرس.

كانت أم بدوي تعبث بأدواتها، مشرط، قطن، مُعقِّم، بَكرة خيط. وعلى وجهها ابتسامة سمجة الطلّة، تدعوك للنظر بعيدًا.

راحت تصب المعقِّم ببلاهة على المشرط، ثم على أسفل شمس، راحت تتشبث شمس بذراعي أمها وتقول:

- "ليلى. ."

ويل لذاك الجسد، الذي وقف مكتوفَ الروح، يطالع قهرًا آخرَ مبتور العنوان.

- "امسكيها. ."

نطقت المرأة وهي بصدد أن تبدأ جُرمًا آخر أسفل فتاة ريفية أخرى. أمّا أمينة، فلقد قيدت ابنتها بيديها. راحت الصغيرة تصرخ، ويتشنج جسدها الصغير. فانتفضت ليلى وقالت:

- "أبويا جه أهو ولازمن أقوله"

وخرجت من الغرفة مسرعة نحو أبيها.

ألقت بجثتها أسفل منه وهي ترجوه باكية:

- "بابـا. سـايق عليـك النبـي مـا تخليهـم يطاهـروا شـمس دلوقتـي"

نظر إليها الحاج عمران محاولًا استيعاب الموقف:

- "هي أم بدوي جوا؟؟"

- "أيـوه يابـاه. أبـوس إيـدك مـا تخليـش أمـي تعمـل حاجـة. اسـتنو عـلى البـت شـوية لمـا تكـبر"

- "أنا مليش دعوة بأمور الستات دي، بس الصح لازم يتم"

- "يبقى عشان خاطري استنى لما تكبر شوية، أبوس إيدك ياباه"

وهمّت تقبلها، لكنّه أبى. وقال:

- "نادي أمك"

فانتفضـت مجـددًا وركضـت نحـو الغرفـة حيـث وقفـت أمّهـا وأَمَـارات الغضـب باديـةً عـلى وجههـا وقالـت:

- "أنا غلطانة إني قلتلك يا وش الغراب"

ثم قالت لأم بدوي:

- "أم بدوي، إمشي انتي دلوقتي، وهكلمك بعدين"

نظرت أم بدوي لليلى بانزعاج، وقالت:

- "يرضيـكي يعنـي كـده يـا أم يـاسر آجـي ع الفـاضي؟ -يطلـق عـلى أمينـة بـأم يـاسر، عوضًـا عـن أم ليـلى وذلـك لأنهـا لم تنجـب صبيًـا-.

وأردفت قائلة:

- "ده أنا بيني وبينكو عشرة كيلو، يعني جايالكو من آخر الدنيا"

فأجابتها أمينة قائلة:

- "حقـك عليـا أنـا، المـرّة الجايـة هديـكي أجرتـين بـدل أجـرة. اتـوكلي عـلى اللـه دلوقتـي عشـان أشـوف الحـج"

فراحـت أم بـدوي تُهمهِـم بكلـمات غاضبـة وغـير مفهومـة وهـي تلـمّ حاجياتهـا. وفي هـذه الأثنـاء، اقتربـت ليـلى مـن شـمس وحضنتهـا حضنًـا عميقًـا وكأنّهـا تحضـن طفولتهـا أيضًـا التـي كانـت عـلى وشـك أن تمـوت.

لم تنطـق شـمس، عيناهـا المُبللتـان بالدّمـع، أغنتـا عـن الحديـث، لكنّهـا اسـتكانت بـين أحضـان ليـلى المتأخـرة.

- "أنا معاكي، متخافيش"

ولحظات، ثم أخرجت هاتفها من جيبها، وأرسلت:

- "البنـت بخـير، معملتهـاش. . انـت مصـدر قـوة ليَّ. ربنـا يخليـك ليـا يـا ابـن عمـي"

ويبقـى السـؤال. . أحقًـا محمـد هـو مصـدر قـوة لليـلى؟ أم أنّهـا أخـرى توهـم نفسـها أن لمحبوبهـا دور ملمـوس وفعـلي في تغيـير أفعالهـا؟ أم أنهـا تريـد تقريـب المسـافات البعيـدة والنائيـة؟ ليتـه يسـكنها، كـما تسـكنه.

* * * * *

١٦

المكان: كنتاكي ٢٦ يوليو

الزمان: ظهرًا أو عصرًا، فالعشاق لا يدرون بأي أرض هُم.

- "واحشني ياد"

- "وانتي كمان يا أميرة"

- "اسمريت قوي فوق سمارك، هو أنت ناقص يا أمجد؟ أنا بنت ويحقلي امتع نظري فيك يا نظري"

- "نظرك؟ هههههههههه. . بحبك يا هبلة"

- "وأنا بموت ف أمك"

- "هو انتي كل مرة تقبضي تأكليني هنا؟ يا بت خبي الفلوس يابت، بقولك إيه صحيح، عجبك قميص نوم الفزدقي اللي بعتهولك مع أمي؟"

- "يخربيت قمصان نومك. يا بني كفاية قمصان نوم، تلت تربع جهازي قمصان نوم. كفااااااااااية"

فراح أمجد يقهقه عاليًا وهو يقطع كيس الكاتشب بأسنانه حتَّى تظنه سيأكل الكيس أيضًا وهو يقول:

- "إيش فهمك انتي. ."

ثم صمت قليلًا وقد اعتلى فرحته شيئا من العجز، وقال وهو ينظر إلى النافذة صوبَ اللاشيء:

- "بس أتلم عليكي يا أميرة في حتة تتاوينا"

- "تفتكر؟"

وغاب بينهم الصمت.

الحبُّ يُلقي علينا بالأمنيات، الجميل منها. . لكن الأماني درجات، هناك أمنية بمثابة قمر، نحبها من بعيد دون أن تصل إليها تراتيلنا، دون حاسة اللمس الفعلية ولكنّنا مع هذا نُحب أن ننظر إليها من بعيد. وهناك أمنية بمثابة نيزك سريع خانته الجاذبية، إمّا أن تمسكه سريعًا. . وإمّا لا.

وهناك أُمنيةٌ موثوقةٌ بحبلٍ يجرهُ القدر، وعادة ما يجره عكس اتجاهك، كلما أمسكته جذبه القَدر من الطرف الآخر. فأي أمنية هي أمنية هذا الثنائي العاشق؟؟

قالت:

- "بدعيلها كل يوم من قلبي"

وراحت تقطع قطع الدجاج من أمامها وتضعها أمام شطيرته:

- "كل دي كمان"

فراح ينظر إليها بامتنان، وهو يدرك أنه لن يجد مثلها أبدًا. أميرة الصابرة المتصبرة، التي ترضى بالقليل.

لحظات ورنّ هاتفها فصاحت، وهي تنظر إلى الشاشة:

- "الحق، دي البت إيمان. ."

- "طب ردي عليها بسرعة. ."

أجابهـا أمجـد بشـغف، راحـت أمـيرة تمسـح يديهـا بسرعـة في المناديـل أمامهـا. ثـم تمـرّر إصبعهـا سريعًـا عـلى الهاتـف وتضعـه عـلى إذنهـا، ثـم تسـند رأسـها عـلى كتفهـا حتّـى لا يقـع منهـا الهاتـف:

- "أيـوة يـا إيمـان؟ . . . الحمـد للـه، وانتـي عاملـة إيـه؟ . . . أيـوه فاضيـة، أنـا بتغـدا مـع خطيبـي، أخـيرًا. . . الحمـد للـه، طـب انتـي فـين دلوقتـي؟ . . لا بكـرة إيـه، هجيلـك، هنزلـك البحـوث أنـا ف العتبـة، اسـتنيني باللـه عليـكي، وخـلي بالـك منهـم كويـس. . سـلام"

ثم نظرت لأمجد وفرحة تتراقص في عينيها:

- "هقوم استلم الجمعية. ."

ابتسم لها فرحًا وقال:

- "هو ده الكلام، أنا كنت خايف يتنصب علينا"

- لا يتنصـب علينـا إيـه؟ الحمـد للـه، صبرنـا ونولنـا. كمـل أكل عبـال مـا أجيلـك"

- "لأ أنا جاي معاكي. ."

- "لا يـا حبيبـي كل أنـت. . أنـت خاسـس وعدمـان، كلهـا كام محطـة وجايـة. وبالمـرة أجيبلـك تشـيز كيـك مـن سـلينترو معايـا. احتفـالًا بالمناسـبة دي. قـول عـاااااا بقـا. ."

- "عاااااا يا هبلة. . وربنا هبلة"

ثم صمت قليلًا وقال:

- "خـلي بالـك م الفلـوس، دول عشريـن ألـف جنيـه، نـص مرتبـي ومرتبـك العشريـن شـهر الـلي فاتـو دول"

- "متقلقش يا أمجد"

ثـم نهضت عـن الطاولـة، وهـي تتنـاول قطعـة دجـاج وتبلعهـا برشـفة بيبـسي سريعـة. قالـت:

- "هطير أنا. ."

- "طب إيه؟ . ."

- "طب إيه إيه؟"

-فيش قَطّة ع السريع كده من شفايفك المزيّتة م الفراخ دي؟"

نظـرت إليـه بـازدراء، وهــي تمسـح شـفتيها مـن آثـار الطعـام والـروج وقالـت باسـتنكار:

- "قَطّة في عينك. سلام ياد"

وتحركـت متمنعـة مـن أمامـه، راح يضحـك وهـو يشـاهد خطواتها الراحلـة عنـه، وقـال يحادث:

- "وجبتين كنتاكي في يوم واحد، يا فرج الله يا أم مسعد"

خرجـت أمـيرة مـن المطعـم بخطـوات سريعـة وهـي تضـع الـروج سريعًـا عـلى شـفاهها، وتخـرج معقـم اليديـن مـن يديهـا لتبعـد عنهـا رائحـة الدجـاج. وكعادتهـا أخرجـت ٤ حبـات كلوريتـس وتناولتهـن في عجالـة.

- "هاتلي معاك تذكرة والنبي يا كابتن"

قالتهـا وهــي تمـد شـابًا بجنيـه كي لا تقـف في الطابـور. أعطاهـا إيـاه وحلّقـت نحـو اتجـاه الجيـزة وهـي تحـشره في حجابهـا ناحيـة أذنهـا الأيمـن.

وقفت تنتظر المترو، ثم أخرجت هاتفها لتكتب:

- "كل كويس يا ميجو، أنت مش عارف إن أنت عنيا ولا إيه"

ومـن ثـم إرسـال. وراحـت تضحـك عاليًـا، وصـل المـترو مكتظًّـا بخلـق اللـه.

دخلته سريعًا.

ووقفـت قبالـة البـاب كعادتهـا لـكي تعـد المحطـات حتَّـى تصـل إلى البحـوث.

- "بـاكل أهـوو ياختـي. . انتـي عايـزاني اتخـن ويطلعـلي *جـزء مـن النـص مفقـود*"

كان هـذا نـص الرسـالة الـذي أرسـله لهـا أمجـد، ولكنـه لم يصـل كامـلا لضعـف الشـبكة في المـترو.

ابتسـمت للرسـالة، وراحـت تنظـر حولهـا بعفويـة. كان الرجـال ينظـرون لجسـدها وينهشـوه بـشررات الشـهوة. أدرات لهـم ظهرهـا وراحـت تراقـب الطريـق السريعـة، حتَّـى وصلـت إلى محطـة البحوث. خرجـت مـن المـترو. . و:

- "*جـزء مـن النـص مفقـود* مجانـص زيـك يـا ام مجانـص انتـي، بـس بمـوت في مجانـص أمـك D:"

راحـت تضحـك وهـي تصعـد السـلم الكهربـائي سريعًـا. أخرجـت التذكـرة الصفـراء مـن خلـف حجابهـا، ووضعتـه أمـام الموظـف الـذي راح يهمـس:

-يخربيت شفايفك

نظرت إليه بازدراء وقالت:

- "يخربيت سخافة أهلك. ."

- "إيه يا وحش بالراحة"

نظرت إليه كما كان ينظر محمد هنيدي في فيلم فول الصين العظيم لذاك الصيني الضاحك بجواره في الطائرة. "مُهييي". .

صعدت السلالم المؤدية لشارع التحرير في البحوث، وقامت بالاتصال بإيمان التي أخبرتها أنها تنتظرها أمام مقار إخوان للسيارات. عبرت الشارع لتجد إيمان أمامها، همّت تحتضنها وتُقبّلها وتُلقي عليها السلام، أخرجت الأخيرة مظروفًا من حقيبتها وأعطته لأميرة التي أمسكته بفرح وهي تقول:

- "ماله خفيف كده ليه؟"

وراحت تضحك، أجابتها إيمان ضاحكة:

- "ليه هما مليون جنيه؟ دول عشرين ألف جنيه خمسميات. . يعني أربعين ورقة بس"

راحت أميرة تُقبّل المظروف بعد أن تأكدت من محتواه بعينيها الثاقبة ووضعته في حقيبتها. وقالت:

- "الحمدلله. . المهم وصلوا"

ربتت إيمان على كتفها باسمة وقالت:

- "الحمد لله يا حبيبتي، إنتي وأمجد تستاهلو كل خير. ربنا يوفقكوا يارب"

- "يــارب يــا إيمــان يــارب. . يــلا هطــير أنــا عشــان مســتنيني في كنتــاكي. ."

- "أيوة بقا. ."

ثم غمزت لها بعينيها وقالت:

- "ماشي يا أميرة. واتساب بقا"

ثم تبادلتا قُبلًا سريعة وكأنّ بينهما دهور من السفر والرحيل.

وجــدت أمــيرة نفســها أمــام خياريــن. إمّــا أن تســتقل المــترو مجــددًا وتعــود للدقــي لتجلــب التشــيز كيــك مــن ســلنترو كــما وعــدت أمجــد، أو تســتقل ميكروباصًــا سريعًــا يأخذهــا إلى هنــاك. ولوجــود الميكروباصــات أمامهــا، اختــارت الخيــار الثــاني. .

- "سلنترو معك يا سطا. ."

البســمة لم تفــارق وجههــا، كانــت المناســبة تدعوهــا للذهــاب إلى الكوافــير آخــر اليــوم لحملــة تنظيــف شــاملة، ولإعــادة صبــغ شــعرها بــذاك الأصفــر الفاقــع. رُبمــا تصبغــه حــين تتــزوج أمجــد بلــون آخــر، فهــي ســتنزع الحجــاب في حفــل الزفــاف.

خرجــت مــن الميكروبــاص، كدمــة بســيطة، وشــعرت بخفــة مــن جانــب كتفهــا الأيمــن، وكأنّهــا كانــت ترتــدي عقــدًا انقطــع مــن رقبتهــا.

غريبــة هــي اللحظــات الصادمــة، التــي تحــدث ســهوة فــلا نــدري بــأي أرض نكــون.

نظــرت يمينهــا لتجــد حــزام الحقيبــة دون الحقيبــة. . الحقيبــة حلّقــت بعيــدًا مــع ســائقٍ لدراجــة ناريــة.

شعرت بدبة عنيفة في صدرها، وتزاحمت جميع الأصوات في أذنها. . صاحت بعدها بلحظات:

- "حرااااااااااامي. . الشنطة. . الحقوني حراااااامي"

وراحت تركض بهيستيريا نحوه وقد ابتعد عنها بأميال حتّى اختفى أثره.

- "يا ابن الكلب. . . حرااااااامي الحقوني. ."

الجميع من حولها راح ينظر إليها بسلبية، وكأنّهم يدرون مسبقًا بالنتائج، ويعلمون أنّ ما أُخِذَ قهرًا لا يعود أبدًا، ويدرون كامل الدراية أنّ أحدًا لن يُعيد لها ما أُخِذ، لا الأرض ولا الوطن، ولا مَن يحتمون في كنفهم. كانت عيونهم تصبرها، ولكن صمتًا. . دون ردودِ فعل فعليّة، نظرات بائسة من قلوب بائسة.

وقفت في منتصف الطريق وقد خارت قواها، وراحت تبكي عاليًا:

- "فلوس الشّقة. . الفلوس ضاعت. . أعمل إيه؟"

وألقت بجثتها على الرصيف وهي تحمل حزام الحقيبة بيدها. ألقته باكيةً وقد وضعت رأسها بين يديها.

اقتربت منها سيدة راقية، وقالت:

- "في إيه يا بنتي؟"

- "شنطتي اتسرقت مني وجواها فلوس الشّقة. . فلوس الشّقة. . أعمل إيه أعمل إيه؟"

- "قومي يا بنتي، عوضك على الله. انتي ساكنة فين؟"

لكن أميرة لم تجب. .

أخرجت هاتفها الذي يرن من جيبها ونهضت دون أن تجيب، وأغشي عليها.

* * * * *

١٧

فتحت عينيها ببطء، كانت الرائحة نفاذة، لكنّها لم تدرك أنّها في المستشفى فورًا، نظرت حولها لتجد أمجد ويزن ويسرا والشّرقاوي وعبدالله ووالديها ووالدي أمجد.

لحظات انقضت حين وجدت مَصل الجلوكوز في يديها، وعادت لبكائها وقد أوجعتها الذاكرة.

- "في إيه يا أميرة استهدي بالله؟ فداكِ يا بنتي. ."

قالها الشّرقاوي.

ألقى يزن عقب السجائر من النافذة إذ كان واقفًا قربها، وقال:

- "أعصابك يا أميرة، حالتك متستحملش عياط، جالك هبوط حاد من كتر الصدمة. اهدي كده بس وكل حاجة ليها حل"

قالت بصوت تعب:

- "حل إيه بس؟"

ثم نظرت لأمجد وقالت:

- "سامحني سايق عليك النبي"

أجاب محاولًا غلب الدمع:

- "أسامحك إيه يا هبلة أنتي. . فداكي كنوز الأرض، قوميلي بس انتي بالسلامة، ومتخضنيش عليكي تاني. مليش غيرك يا أميرة"

لكن دمعه خانه، فبكى وهو يُقبّل يديها. بكى لأنه شعر أنه كاد يخسرها، بكى لتلك الوريقات التي أذلتهما بضياعها.

قال عبدالله:

- "في إيه يا ميجو أمال، استهدى بالله كده ياعم. . أميرة زي الفل أهي. ."

اقتربت يسرا من أميرة:

- "حمدالله ع السلامة"

وراحت تُقبّلها على جبينها.

- "هات سيجارة يابني"

كان ذلك والد أمجد، الحج سامح، موجهًا طلبه ليزن. ثم اتجه نحو الشُّرفة حين أخذها منه بعد أن أشعلها له. اتقن الزمن رسم آثاره على جسده النحيل. كان غاضبًا، ولكن بصمت. وهكذا هو حين يغضب، يتوجه لأقرب نافذة مع سيجارة.

قالت أم أميرة، سوسن:

- "معلش، هو بس اتخض عليكي يا بنتي"

أعدلت أميرة من جلستها وقالت:

- "لو كنت ركبت مترو مكنش حصل اللي حصل"

- "مقولنا خلاص يا أميرة، المهم انتي يا عبيطة"

كان ذلـك عبداللـه مجـددًا، في حـين اتجـه يـزن للشُّرفـة، قـرب العجـوز، قـال:

- "مالك يا حج؟"

نظر إليه عم سامح وقال وهو ينفث دخانه:

- "هيكـون في إيـه يعنـي؟ البـت ضيعـت عشريـن ألـف جنيـه. . والاسـم عايـزة تتجـوز، كـده يبقى تسـتنى سـنتين كـمان على مـا تجمع زيهـم هـي والبغـل. البـت ليهـا أكـتر مـن خمـس سـنين مخطوبالـه، والعجلـة مـش عايـزة تـدور، وبيتقدملهـا عرسـان مسـتعدين يدفعـوا مـن ألـف لمية ألـف. بـس هـي خـلاص، حاكـم الحـب غـلاب، قافشـة في الـواد أمجـد. وإحنـا اتعودنـا عليهـا خـلاص، بـس العمـر بيضيـع يـا إبنـي، نفسـي أفـرح بيهـم قبـل مـا أمـوت، وأشـيل عيـل مـن عيالهـم عـلى رجـلي قبـل مـا ياكلهـا الـدود"

- "كله بأوانه يا حج. الموت والفرح، كله بأوانه"

نظر إليه العجوز وقال من خلف نظاراته:

- "عندك حق. ربنا يهدينا ويهديك"

- "آه. . بقولـك إيـه. . يـلا بقـا نخـش نطمـن عـلى أمـيرة وميبقـاش منظرنـا وحش".

- "يلا يا ابني. . يلا. . كله محصل بعضه"

وانضما إليهم، قال يزن في محاولة لتغيير الجو:

- "أميرة، الكيس اللي جامبك ده فيه لبان بخمسين جنيه، حاكم انتي بتعشقي اللبان. ."

وراح الجميع يضحكون وكأنّهم ينتظرون فرصة أن يغير مجرى الحديث أحدهم.

قالت يسرا ضاحكة:

- "أيوة، أخويا كان دايمًا يقولي إنك مُدمنة لبان من وانتي في ثانوي، بتحبيه قوي كده؟"

نظرت إليها أميرة مُرغمة على الابتسام حتَّى لا تحرجها، وقالت:

- "أيوة. . بحبه جدًا. . مصدر راحة بالنسبالي"

صمتت قليلًا حتَّى دوت منها آآآآه قاهرة، وراحت تبكي مُعلنة استسلامها للقهر، انتفض الموجودين في محاولة لتهدئتها، لكن دون جدوى.

- "حسبي الله ونعم الوكيل، حسبي الله ونعم الوكيل"

لفظتها باكية، فقال يزن:

- "يعني الحسبنة هتفيد بإيه دلوقتي، هتستفيدي إيه لو جرالك حاجة؟ يا أميرة اهدي مش كده"

- "خليها تطلع اللي جواها يا يزن، الكبت وحِش"

قالها عبدالله.

فأجاب الشّرقاوي:

- "نقطنا بسكاتك أنت بس يا عبدالله"

أما عن سوسن، فنهضت تنادي المُمرضة وقد علا بُكاء ابنتها. دخلت المُمرضة لتلقي نظرة على أميرة، ثم خرجت تنادي الدكتور المسؤول عن حالتها والذي أمر بإعطائها إبرة مهدئة حتَّى لا تسوء حالتها.

استكانت الأميرة، وعادت لسباتٍ مؤقت والألم لا يزال يمارس آثاره على وجهها.

- "طيب يا جماعة، أنا هستأذن عشان ورايا درس كمان نص ساعة"

كانت تلك يسرا مخاطبةً الجميع.

- "طيب، خلي بالك من نفسك"

أجابها يزن.

- "تحبي أوصلك؟؟"

سألها الشّرقاوي واثقًا، نظر إليه يزن ثم قال:

- "أيوة، خدها لو ينفع وصلها. أنا قاعد حبة مع أمجد وأميرة"

نظرت يسرا لأخيها تستنجده ألا يفعل، ففهم ما تقوله عيناها إلّا أنه قال:

- "روحي مع أحمد أحسن، انتي شايفة البلد عاملة إزاي"

تنهدت يسرا وقالت:

- "طيب"

ثم نظرت للشرقاوي بخجل وقالت:

- "يلا؟"

فاستعد أحمد لمرافقتها. .

خرجـا مـن الغرفـة ليسـيرا في ممـر ضيـق يـؤدي إلى الخـارج. لحظـات صمـت مُربكـة، هـي تطالـع الأرض وهـو يطالـع وجـوه البشر بثبـات مشـكوك في أمـره، لحظـات أخـرى مـرّت قبـل أن يقـول:

- "يعنـي أنـا مينفعـش أشـوفك إلا لمـا الكـوارث تحصـل؟ ده أنـا كنـت شـوية وهبـوس رجـل أمـيرة ع السرقـة الـلي حصلتلهـا وأقولهـا يـا شـيخة اتسرقـي كل يـوم"

نظـر إليهـا خلسـة، كان وجههـا بـدرًا مسـتترًا بخجـل الصَّبـا. لم تجبـه. فعـاد يطالـع وجـوه المـارّة، وقـال لهـا:

- "انتي متتخيليش أنا مبسوط إنك معايا إزاي"

شعر بها ترتبك أكثر، قالت:

- "هي العربية فين؟"

ابتسم مغلوبًا على أمره وقال:

- "نفـسي تكـوني جريئـة زي كتاباتـك الـلي بتبعتيهـالي ع الفيـس وال sms، كتاباتـك جميلـة قـوي"

- "هي البيضا اللي هناك دي؟"

عاد يبتسم وقال:

- "هي البيضا اللي هناك دي. ."

فراحـت تسـبقه إليهـا وهـو يطالـع خطواتهـا المشاكسـة أمامـه، قـام بفتـح البـاب لهـا مـن عـلى بُعـد عـن طريـق المفتـاح. فاقتربـت مـن البـاب الخلفـي تفتحـه، ثانيـة مضـت وكأنّهـا تحـادث نفسـها، ثـم توجهـت نحـو البـاب الأمامـي تفتحـه وتجلـس فيـه.

راح أحمـد يضحـك مـن أمرهـا، جلـس إلى جوارهـا باسـمًا. لم يفهـم سر سـعادته تلـك، لكنّـه لم يمانـع السـعادة عـلى الإطـلاق إلى جوارهـا، ثمّـة مـا يدعـوه للنقـاء والطُهـر حـين تطـوف خيالـه، ثمّـة مـا يدعـوه.. للحب. .

بدأ يقود بهدوء، والقلب يواري شوقًا لها، قال:

- "وأنـا في شرم، آخـر ليلـة تحديـدًا، مرتحتـش غـير لمّـا كتبتلـك حاجـة كـده، عـلى أدي، ومتتخيليـش لمـا كتبتهـا، ارتحـت أد إيـه، وأد أيـه كنـت مخنـوق قبلهـا. صدقينـي مكنتـش عـارف هشـوفك إزاي أو إمتـى، بـس كنـت متأكـد إني هشـوفك، عشـان كـده شـلتها معايـا. افتحـي الصنـدوق الـلي في النـص ده، وهتلاقيهـا جـواه"

لم تقـو عـلى ألّا تنظـر لوجهـه، للسـلام الـذي ظهـر فجـأة في قسـماته، ابتسـمت لـه دون أن يراهـا، وفتحـت الصنـدوق لتجـد ورقـة مطويـة.

أخذتها ووضعتها في حقيبتها. . فقال:

- "اقريها. ."

- "لما أروّح. ."

- "لأ دلوقتـي. . لـو ليـا عنـدك خاطـر، عايـز اسـمع إلقائـك، حتَّـى تراجعيـلي لغويـا ع الهبـل الـلي هتقريـه"

ابتسمت له، وقالت بخجل:

- "طيب يا أحمد. ."

ولـدى سـماعه اسـمه مـن شـفتيها، ارتعـدت روحـه حتَّـى ظـنّ أنـه يمـوت ويُبعـث مـن جديـد عـلى يديهـا. . .

فتحت الورقة باسمة. . قالت:

- "خطّك جميل. ."

صمتـت شـاردة، تطالـع السـطر الأول. . نظـرت إليـه، ثـم للورقـة، وراحـت تُرتّـل سـطوره بصـوت جهـوري رقيـق، صـوت ملائـكي لا يُشـبه غـيره، حتَّـى تظـن أن الملائكـة تخشـع إجـلالًا لـه حـين تسـمعها:

((هـا أنـا أمامـك. . عـارٍ كالحـب. . ومـن قبلـك كنـت لا أدرك أن الحـب قـد يكـون عاريًـا. . ظننتـه يرتدينـا. . كـما نرتديـه، ظننتـه يتخـذ منـا كِسـاء. . لكنّـه عـار. . ويظـل عاريًـا. . بنـا أو مـن دوننـا. . وإنْ كان طفـلًا. . ربيعًـا كان أم خريفًـا. . أو حتَّـى حـين يمـوت. . عاريًـا حتَّـى المَـمات ومـا بعـد المَـمات. . وهـا أنـا اليـوم. . أطالـب أن أرتديـك. . ولا يسـترني سـواك. . ولا يكسـيني إلاكِ. . فـإن رضيتـي بعُريـي هـذا المسـاء فأنـت حُـرة طليقـة. . وإن سـترتني كعاشـق فيـكِ. . فأنـا إلـه للحـب مكتمـلٌ بـكِ.))

❋❋❋❋❋

١٨

دخـل إلى شـقته الخاصـة، تلـك التـي لا يـدري عنهـا أحـد سـوى الخالـق الـذي لا يقـرّ بـه إلهًـا، وصديـق قديـم. شـقة في إحـدى ضواحـي مدينـة نـصر حيـث يقـدس الخلـوة، ويعشـق الوحـدة.

أخـرج لوحـة بيضـاء كبـيرة، مرسـوم بهـا تصميم مبـدأي للأسـتوديو، وعـلى طـرف اللوحـة مـن الأعـلى رسـمة صغـيرة لوجـه أنيـق وشـعر قُرمـزي وعينـين خضراويـن. .

نظر لوجهها الجميل، ثمّة ما يثير فضوله حولها.

وضـع اللوحـة جانبًـا وأخـرج هاتفـه، وجلـس عـلى الأريكـة. . . اسـمها عـلى هاتفـه، راح يغريـه بالاتصـال بهـا. لكنـه لم يسـتأذن منهـا حـين أخـذ رقـم هاتفهـا مـن كريـم.

"جامحـة". . هـذا كل مـا يعرفـه عنهـا، لكنّهـا لا تسـمح بالفـرس بداخلهـا بمسـابقة الريـح، بداخلهـا فـرس، أصابهـا وَهَـن اللاحيـاة. فآثـرت أن تخـرَّ سـجينة لهـا.

اتجـه نحـو مكتبـة جانبيـة، أخـرج مُفكـرة متوسـطة الحجـم، عـاد بهـا إلى الأريكـة وهـو يشـعل معشـوقته الدخانيـة، جلس وراح يتصفحهـا. .

الحالـة رقـم واحـد: سـناء هـادي، السـن ٥٥ سـنة، في تاريـخ ١٩ ديسـمبر ٢٠١٢

الحالـة رقـم اثنـان: إيمـي أكـرم، السـن ٢٤ سـنة، في تاريـخ ٢٣ مايـو ٢٠١٣

الحالـة رقـم ثلاثـة: كريمـة فتحـي "كـوكي" السـن ٢٦ سـنة، في تاريخ ٢ يناير ٢٠١٤

الحالـة رقـم أربعـة: سـلمى مختـار، السـن ٢٤ سـنة، في تاريـخ ١٥ مـارس ٢٠١٤

قرأ الأسماء سريعًا، ثم دوّن:

الحالة رقم خمسة:

ثـم راح يقلـب الصفحـات إلى أن وصـل إلى المنتصـف، وراح يكتـب اسـمًا جميـلًا مـن ٣ أحـرف، فـرح. . فـرح عصـام.

سيسـعى لتجنيدهـا بـلا شـك، وجعلهـا تكفـر بالإلـه كـما فعـل مـع الأُخريـات. . باسـم الحـب والجسـد، باسـم الجنـس والحريـة، باسـم المنطـق واللامنطـق.

راح يذكر ليلته الأولى مع سناء، من باعت قضايا الجسد مسبقًا.

"ذات أيام مُنْذُ عام،

وقبلها بأعوام. .

كان هنالك عاصيًّا مصريًّا

يُدعى يزن عامر. ."

"٢"

- "أنت شارب صح؟"

سألته سناء وهي تتفحص جسده المسلوب حديثًا.

- "آه. ."

أجابها وهو يرتدي قميصه. .

- "إيه اللي حصل يا سيدنا الشيخ؟"

سألته ضاحكة.

- "فُقت مش أكتر"

- "فُقت من إيه بالضبط؟ ده أنت فَجرت مش فُقت. ."

وعادت لضحكاتها السافرة.

صمتت قليلًا. . ثم قالت:

- "هتروح لبيتكو إزاي وأنت كده؟ أبوك هيقول عليك إيه؟"

ثم أخذت الروب من قربه وراحت تستر عُريها.

- "أبويا مات. . دفنته كانت النهاردة، أنا عايز سجاير عندك؟؟"

نظرت سناء إليه مذهولة في محاولة لاستيعاب ما قاله، قالت:

- "مش فاهمة. . أنت بتتكلم بجد؟"

- "ربنا بيمثلك إيه؟"

- "قصدك إيه؟"

- "ربنا. . بيمثلك إيه؟"

- "ربنا. . ربنا اللي خلقني"

- "آه. . إيه دليلك؟ إمتى آخر مرة صليتي فيها؟"

- "أنا بصلي. ."

- "وبتزني؟ تسمي إيه اللي عملتيه من شوية ده؟"

نهضت من جواره، وفتحت درجًا مجاورًا، لتخرج سيجارتين وكأنّها تعطي نفسها مزيدًا من الوقت لتفكر.

أمدته بواحدة، وعادت تجلس قبالته، قالت وهي تشعل سيجارتها وتلقي له القدّاحة ليشعل سيجارته هو الآخر التي كان يمسكها لأول مرة في حياته:

- "حرية شخصية. ."

أجابها واثقًا:

- "وإيه تعريفك للحرية الشخصية؟"

- "أعمل اللي أعمله من دون ما أعمل حساب لحد. . بس من دون ما أضر حد"

أجابته سريعًا وكأنّها تُسكته.

سحب نَفَسًا من الدخان وراح يرفع البخور للآلهة بتعسّر، لكنه قاوم حريقها في صدره، وراح يسحب أخرى وأخرى:

- "جميل، من دون ما تعملي حساب لحد، طب لمّا عملنا الزتونة حالًا. . عملتي حساب ليه؟ ربنا؟"

- "أنت أبوك مات وجاي تتجنن عليّا؟"

- "ردي ع السـؤال يـا. . مـش سـناء برضـو؟ تصدقـي مـش فاكـر اسـمك. ."

- "شكلك سكران بجد!"

- "مممممـم، لا. . أنـا كنـت سـكران ليـا سـنين، ودلوقتـي فُقـت. . خلينـا فيـكي انتـي يـا جميـل"

وراح ينفث الدخان عاليًا، وقد اعتادت عليه رئتاه.

- "أيوة، بعمل حساب ليه. ."

- "وبتعصيه؟"

- "ربك غفور رحيم. ."

- "لا يـا شـيخة، عـلى حسـب مـا كنـت حافـظ: "الـزاني لا ينكـحُ إلا زانيـةً أو مشركـةً والزانيـةُ لا ينكحُهـا إلا زانٍ أو مـشرك" وفي نفـس السـورة " الزانيـةُ والـزانِي فاجلـدِوا كلَّ واحـدٍ منهـما مئـةَ جلـدةٍ ولا تأخذْكـمْ بهـما رأفـةٌ". . يعنـي ١٠٠ جلـدة عـلى ظهـرك الملـبن ده"

- "أنت عايز إيه؟"

- "إحنا بنتناقش مش أكتر. ."

- "أيوة، برضو عايز إيه من ورا النقاش ده؟"

نهـض عـن السريـر، وراح في اتجـاه الشُّرفـة بعـد أن وضـع السـتائر جانبًـا ثـم ألقـى بالسـيجارة:

- "ما تيجي نلحد؟"

- "استغفر الله العظيم. ."

أجابها مستنكرًا:

- "لا يا شيخة؟ متعمليليش شريفة مكة"

- "شكلك اتهبلت فعقلك عشان أبوك مات ياد أنت"

- "تـوء، زي مـا قلتلـك. . أنـا فُقـت. صدقينـي مفيـش دليـل ملمـوس عـلى وجـود ربنـا. بجانـب قـراءاتي للفقـه والشريعـة، كنـت بقـرأ في الفلسـفة والعلـوم، حاجـة يخربيـت كـده، واكتشـفت حاجـات كتـير بـس كنـت بكـدب نفـسي. سـجاير LM معفنـة فعـلاً، عنـدك Marlboro؟ بيقولـو أنظـف"

أشـارت لـه صامتـة للخزانـة خلفـه، توجـه لهـا بثبـات وقـام بفتحهـا، وجـد خانـة مـلأى بالكيـف، كل مـا يدعـو لغيـاب العقـل، كل مـا يدعـو الـروح لتحلـق في ملكـوت الضيـاع والخفـة. وعـلى أقـى اليمـين، وجـد علـب مسـتطيلة لسـجائر مـن شـتى الأنـواع. . فأخـذ منهـا علبـة Marlboro حمـراء وقـال:

- "هاخد العلبة دي. ."

ونظـر إلى القدّاحـة، كانـت قدّاحـة فريـدة مـن نوعهـا، فضيـة، عـلى طولهـا أفعـى ينتهـى رأسـها عنـد الغطـاء أعـلى القدّاحـة. شـعر أنهـا تمثِّلـه. . قـال:

- "حلوة الولاعة دي. ."

- "خدها. ."

- "ده أساسي، على الأقل تمن عذريتي اللي راحت بسببك دي. ."

وراح يضحـك عاليًـا، كان ضحـكًا يدعـو للبـكاء. ظلّـت سـناء تحدق بـه آسـفةً. . ولا تـدري مـا يُقـال. لكنـه رفـع عنهـا حـرج الـكلام وقال:

- "نرجع لموضوعنا. ."

وجلس قبالتها، واسترسل في حديثه قائلًا:

- "انتي خريجة إيه لا مؤاخدة؟"

- "معايا دبلون تجارة. ."

- "دبلون. .؟ جميل، بتقرأي؟"

- "طبعا بعرف أقرأ"

- "بقولك إيه يا سوسو ركزي معايا. . بقولك بتقرأي؟ يعني قراءاتك إيه؟ بتحبي تقرأي لمين؟"

- "آآآآه. . لا مش بقرأ. . مليش خُلق"

- "أنا بقا يا ستي هنورك. ."

سحب نفسًا طويلًا، وقال:

- "بُصّي، في حاجات في الكون ده، ملهاش تفسير، حتَّى القرآن مجابلهاش تفسير، مجرد حاجات كونية موجودة عشان تحيرنا. . ومن الحيرة دي، كان عندنا فريقين، فريق مع وفريق ضد. فريق انصاع، وفريق خالف، بس اللي وحّد الفريقين دول. . إحساس بالمنطق واللامنطق"

كانت أمارات الحيرة بادية على وجهها، لكن أمرًا منعها من سؤاله عمّا يقصد فقالت:

- "هو أنت ألحدت بجد؟ وكل ده عشان قريتلك كلمتين هنا وهناك؟"

- "لا. . خالص. . . بُصي. ."

وراح يحـكي لهـا عـمّا تسـوّل لـه نفسـه، أخبرهـا أنّ الملحديـن لا يتخـذوا جميهـم الموقـف ذاتـه مـن وجـود الإلـه، بعـد أن أخبرهـا أنّ الإلحـاد مـا هـو إلا حركـة ظهـرت فيـما مـضى بسـبب غيـاب الأدلـة عـلى وجـوده في عُـلاه. وكانـت الحِجـج تختلـف باختـلاف حلقـة النقـاش، فهنالـك حُجـج لهـا بُعـد فلسـفي، وأُخـرى لهـا بُعـد علمـي واجتماعـي. . وتاريخـي. وراح يُلقـي عليهـا بالحجـج، ولا تنطـق. فـإذا بهـا شـاخصةً أبصارُهـا، مذهولـة. . أأقـوم بعـرض الحجـج عليـك عزيزي القـارئ؟ إذ أننـي أحـب تسـليط الضـوء عليـك بـين الحـين والآخـر، رغبـة منـي في إشـعال حـيرة أو إخمادهـا. فلنقـل، أن سـناء سـلّمت بأمرهـا، وأعلنـت عصيانًـا هـي الأُخـرى. . يختلـف منظـور العصيـان مـن شـخص لآخـر، قـد يفعـل أحدهـم أمـرًا مـا يكـون في نظـر آخـر عصيـان أو معصيـة، والعكـس صحيـح. . كلٌ بأمـره دارٍ. . كلٌ بأمـره مُلـم. لكنّهـا مسـألة الآخـر التـي تـؤرق الفكـر، وتجعلـه عبـدًا لمُراقبـة الآخريـن، متجاهـلًا نفسـه، سـواء أَكان عـلى صـواب أم خطـأ. الآخـر هـو المُعضلـة المجتمعيـة الآن. ولكـن إنْ وقفنـا عنـد كلمـة عِصيـان، أو معصيـة. . فبحـق مَـن يكـون ذاك العصيـان؟ أو لنقـل. . مـن المَعـصي؟ وباسـم مـاذا هـو هـذا التمـرد، هـذا الانقـلاب. . أو هـذه الثـورة. .؟

اسئلة عائمـة في فضـاء الشّـك واليقـين. . وللشّـك أهـل، كـما لليقـين أهـل. . فمـن أي الأهلـين أنـت؟؟

* * * * *

١٩

وصلت إلى سيارتها أمام مبنى الإذاعة والتلفزيون، وجلست في مقعدها مُحمّلة بشقائها وهي تنفث الوجع عاليًا بانتظار أيتن وكريم، نظرت يمينها سهوةً، لتجده يستند على سيارة مجاورة وهو ينظر إليها باسمًا.

شعرت بدقات قلبها تصيح نبضًا، كانت نبضات موجعة، قاتلة، مذعورة، خرجت من سيارتها.

فرح هي إحدى المؤمنات بأنّ الخوف قوة، كانت تعجب لأمر خوفها الذي يدفعها إلى هاوية الانتصار، وكيف يكون الانتصار هاوية؟؟ حين يقوده الخوف. وهاك خوفها يقودها إليه، ياسر. .

راحت خطواتها تتسارع نحوه، وهو لا يزال واقفًا بانتظار هجوم.

- "أنت بتعمل إيه هنا يا حيوان؟"

وراحت تشده من قميصه بغضب، فبادرها بضحكة فاجرة. انطلقت صرخاتها وهي تضربه بيديها وهو يتحاشاها حينًا وتمسه ضرباتها الموجوعة حينًا.

لحظات وأحاطهم رجال الأمن قُرب المبنى من كل جهة، وها هو كريم وأيتن يصلان، فاختطفاها من وسط الحشود التي تجمّعت حولهما وقد انهارت باكيةً وأدخلاها إلى سيارتها وقد جلست أيتن معها في المقاعد الخلفية وتولى كريم القيادة.

- "أنـا مـش فاهـم الحيـوان ده بيعمـل إيـه هنـا؟ انتـي مـش عايزة تبلغـي عنـه ليـه؟ أنـا أعـرف نـاس ممكـن يلبسـوه بلاوي سـودة"

لم تجبـه فــرح، واســتندت برأســها عــلى كتــف أيــتن القاســية، القاسـية روحًـا لا بنيانًـا. ولكـن لا مـأوى لفـرح، لا مـأوى تسـتظل بـه، وقـد أدركـت ذلـك مُنْذُ فقـدت والداهـا، وأحبّـت عمّتهـا لبنـى ذلـك الفاجـر، مـن يصغرهـا بعـشر أعـوام.

أخرجت هاتفها، وقامت بالاتصال عليها تطمئن:

- "انتي كويسة؟"

- "آه. . في إيه؟؟ قلقتيني؟؟"

- "شفت ياسر من شوية"

-. . . . . .

- "هو جالك يا لولو؟"

-. . . . . .

- "متردي عليا. . جااااالك؟؟"

- "ملكيش دعوة"

وأنهت المكالمة. .

وبعد لحظات شاردة، قال كريم:

- "أنـا مـش فاهـم عمّتـك بصراحـة، بـس مليـش دعـوة بيهـا، أنـا ليـا دعـوة بيـكي انتـي، انتـي النجمـة وأي حاجـة بتعمليهـا دلوقتـي إنتـي محاسـبة عليهـا، ومحـدش هيتحاسـب عليهـا غـيرك"

لكن فرح لم تجبه. . فقالت أيتن:

- "كريم، خدنا لأي حتة نقعد فيها ونغير جو"

خرج ثلاثتهم من السّيارة، كان جسد فرح لا يزال يرتجف ألمًا. كانت لا تزال تستند على أيتن وكأنّ ما يُعيق سيرها بمفردها هو قلبها المبتور ذاك.

- "اقفلي شنطتك يا آنسة. ."

نظرت أيتن وفرح صوبَ امرأة وجّهت كلامها لأيتن. أقفلت أيتن حقيبتها وقالت للمرأة:

-"شكرًا. ."

فأجابت المرأة قبل أن تتابع المسير:

- "في نفس المكان ده من يومين، بنت اتسرقت شنطتها وكان جواها ٢٠ ألف جنيه"

ثم تابعت مسيرها صامتة دون أن تنظر للفتاتين. انضم إليهما كريم وقد قام بصفِّ السّيارة في مكان مناسب يبعد مسافة ٣ دقائق عن سلنترو فرع الدقي.

قالت أيتن لفرح:

- "يا عيني. . يا ترى البنت دي جرالها إيه دلوقتي؟"

أجاب كريم:

- "بنت مين؟"

ودخل ثلاثتهم إلى سلنترو.

استكانت فرح، لكن روحها ظلت عالقة في انتظار تحرير يليق بصبرها.

إنَّ ياسرًا لم يكن بإنسيًّا، بل كان جنيًّا أقرب إلى الأبالسة، بل إنَّ إبليس مقارنة به هو مخلوق ربيعي، جميل الأوصاف.

- "٣ تشيز كيك، و٣ موكا لو سمحت"

قالها كريم للنادِل الذي انسحب من بينهم باسمًا ليحضر الطلب، ثم أردف قائلًا:

- "ما تروق بقا يا جميل، ليه يوم ابن الواطي ده. فُكيها بقى"

أومأت فرح برأسها باسمة، لكن الوجع يحكي حكاياه. يحكى أن ياسرًا أوهمها يومًا بالحب، حين كان قلبها في المهد صبيًا. . ولكنه كان يريد جسدًا في المُقابل، فأبت على ذلك الجسد، من تلك الشّفاه والجسد. . ياسر هو الآخر لا يشتهي سوى الجسد، ملعون أمره هو ذاك القلب.

- "روقي بقا يا فوفي. . هو بيستفزك مش أكتر"

- "محدش فيكو فاهم حاجة"

أجابته فرح باستياء. .

- "طب ما تفهمينا؟"

أجابتها أيتن في حين رن هاتف كريم بأغنية شعبية صاخبة:

هاتي بوسة يا بت. . هاتي حتة يا بت. .

فلمعت عينا كريم وهو يجيب:

- "برنس البرانيس. . وحشتنا القعدة معاك يا كبير. ."

وراح يقهقه بصوت مرتفع ويجلل حتَّى تظنه يحادث قديسًا.

تعجبت أيتن وفرح منه، ولكنّه هكذا دومًا.

- "مممممممم إحنا في سلنترو الدقي. مستشفى إيه دي؟ آه. . دي جمبنا هنا في الدقي. . طب يلا مستنيينك"

وأنهى المكالمة، لكن الفتاتان لم يثر فضولهما القادم، فأصدقاء كريم على حد سواء.

قال كريم:

- "هيجيلكو اللي هيزبطلكو الجو، إنتو شفتوه مرة واحدة قبل كده بس أنا مكنتش فايق الصراحة أقعد اعرفكوا ببعض قوي"

نظرت فرح صوبه، وبدأ فضولها الأنيق يمشي على استحياء. قالت:

- "يزن؟"

- "إيه ده؟ عرفتي ازاي؟"

- "واضح قوي من كلامك"

والحقُّ أنَّها ألقتْ بشباكِ الشك، فصادتْ يقين.

قال:

- "مممممممم. . أيوة. . صديقي الصدوق جاي"

أجابت فرح مستنكرة:

- "إزاي مجبتش سيرته قبل كده ولا مرة؟"

- "لا. . دي قصة طويلة قوي. بس اللي لازم تعرفيه، إني أفديه بدمي. تعرفي، هو السبب في تنويري"

- "تنويرك؟"

- "آه. . أنا والمدعوقة اللي جمبك دي. زي ما تقولي نورني، وبعد كده أنا نورت أيتن"

لحظات مرّت بعقلها الجميل ليدرك معنى "التنوير". .

شهقت بخفة:

- "يااااه. . هو يزن مُلحد؟"

- "لو قصدك باللفظ "مُلحد" إنه مش مؤمن بربنا. . ف آه"

- "أومال هيكون قصدي إي يعني بملحد؟"

سألته بسخرية.

فقالت أيتن وهي تطالع هاتفها بعد أن أخذت صورة "سيلفي" لها ومطت شفتيها أمام الكاميرا كامرأة تحتاج التأديب والتهذيب:

- "انتي فاهمة الدنيا غلط يا فرح. ."

- "بلاش انتي والنبي يا أيتن، متكلمنيش عن الصح والغلط"

أسكتتها فرح، فقال كريم:

- "يزن هو أعظم مُلحد مُمكن تقابليه، إنسان متعلم، قارئ، فيلسوف، مفكر، وحافظ للقرآن الكريم"

فراحت فرح تضحك بسخرية غير مصدقة ما يتلى على أذنيها من عبث الحديث، قالت:

- "حافظ للقرآن ومُلحد؟ ينفع أشتم؟؟"

فقال كريم محاولاً تهدئتها:

- "يـزن كان أزهـري، وطبعًـا انتـي عارفـة خريجـي الأزهـر حافظـين القرآن"

- "عارفة إيه وقرف إيه؟ وألحد ليه إن شاء الله؟"

- "مُمكـن تقـولي، سرح في الملكـوت ووصـل لإدراك معـين خـلاه يوصـل لحقيقـة ثابتـة، إن مفيـش إلـه. زي فريدريـك نشـته. قريتـي كتابـه ومهاجمتـه للكيـان المسـيحي؟"

فأجابت فرح بسخرية:

- "نشـته؟ نشـته برضـو؟؟ اسـمه نيتشـه يـا جاهـل. عـارف يـا كريـم، طـول عمـري عارفـة إنـك مُلحـد موضـة، بـس كنـت بكـدّب نفـسي"

- "يعني إيه مُلحد موضة لا مؤاخذة؟"

- "يعنـي مُلحـد عشـان يتقـال عليـك مُلحـد وتعمـل بروباجنـدا وشـو حوالـين نفسـك. عشـان تنفـش ريشـك زي الطـاووس وكأن إلحـادك فخـر ليـك ولمظهـرك قـدام النـاس"

ثم نظرت لأيتن وقالت:

- "إحنـا أصحـاب آه، بـس انتـي بتقـولي إنـك مُلحـدة عشـان محـدش يحاسـبك ع الـلي بتعمليـه مـن خطايـا، عشـان تعومـي في الغلـط براحتـك، إلحـادك سـتر لخطايـاكي. ومتقوليـش عكـس ده"

نظـرت لهـا أيـتن باسـمةً وهــي تشـعل سـيجارة دون أن تنبـس بحــرف.

وصــل النــادِل بالحلــوى والمــشروب السّــاخن، حــين أعلــن يــزن حضــوره الطاغــي.

وهــا هــو يعــاود إشــعال حيرتهــا، جلــس بينهــم بعــد أن ألقــى الســلام. .

- "إزيك يا فرح؟"

كان وقــع اســمها عذبًــا مــن بــين شــفاهه حتَّــى تظنــه يُنــادي حوريــة مــن قلــب البحــار الســبع. كانــت عيناهــا تلاحقانــه سرًا، لكنهما لا تكشــفان بــوح الشــوق.

كانــت تصيبهــا حــيرةً اســمها "يــزن"، وحــيرةً أخــرى اســمها "قلبهــا"، وكأنّهــما يتحالفــان سرًا لإيقــاع كبريائهــا المصــون، ولاحتــواء طفولتهــا المنســية التــي عفــا عليهــا الأمــل.

يقــال أن الحــب يبــدأ مشاكسًــا مســتعدًا للربيــع، وحــين يصبــح ربيعيًــا كفايــة، فإمــا أنْ يشــتد عــوده بمــا يكفــي ليصــارع الحيــاة، أو يخــرّ صريعًــا مهزومًــا تغلبــه الحيــاة.

فما ذاك الشيء الذي بدأ يشاكسها؟؟

أخــرج علبــة ســجائره، وقبــل أن يُشــعلها أمــد كريــم وأيــتن بواحــدة لكنهــما شــكراه باســمين، كان يتعمّــد أن يمــد العلبــة لفــرح أخــيرًا لــكي يدرســها بصمــت، لــكي يهنــأ بتفاصيلهــا بحريــة.

- "سيجارة؟"

أخـذت فـرح واحـدة بأناملهـا الصغـيرة، ووضعتهـا في فمهـا بانتظار أن يُشـعلها لهـا. أخـرج لهـا إثمـه القديـم، تلـك القدّاحـة الفضيـة، ونهـض عـن مقعـده ليشـعلها لهـا.

أخـذت نفسًـا عميقًـا وهـي تطالعـه، ونفثتـه عاليًـا وهـي تُديـر برأسـها عنـه وكأنّ عينيهـا تصرخـان: أنْ كفـاك اقتحـام.

- "إيه الدنيا؟"

اطلـق سـؤاله في الفضـاء في انتظـار مُجيـب، أجابـت أيـتن وهـي تتفحصـه:

- "ليك وحشة والله يا يويو"

- "وانتي كمان يا أيتن، إيه جديدك؟"

- "مفيش، زي ما أنا. ماما بس بعافية شوية"

- "سلامتها"

- "الله يسلمك"

صمت قليلًا ثم قال. . :

- "آه. وأنت يا كريم أخبارك إيه؟"

- "أنا زي الفل، بحب جديد"

وراح ينظر إلى فرح بشوق. لاحظ يزن نظراته لها وقال:

- "لا بجـد؟ مـن إمتـى ده؟ أنـت تحـب؟ قـول كلام غـير ده يـا كوكـو"

- "ومحبش ليه؟ أخيرًا جت اللي تذهلني"

كان يجيبه وعيناه لا تفارق فرح.

نظر يزن إلى فرح وقال:

- "مممممممم جميل. بتاع مين التشيز كيك ده؟"

وكان يشير إلى طبق فرح، لكن أحدًا لم يجبه.

فأمال إلى الأمام قليلًا ووقف النّصف وهو يميل ليأخذ طبقها من أمامها عِنوة ليضعه أمامه. صمت قليلًا ثم قال:

- "عايز شوكة"

ابتسمت فرح وهي تحارب ضحكاتها ألَّا تتعالى، ووضعت أصابعها الأربع على الشوكة وراحت تدفعها باتجاه يزن إلى أن وصلت لمنتصف الطاولة. نظر إليها يزن باسمًا، لكنّه لم يأخذها، بل أخذ الشوكة الخاصة بكريم، وراح يأكل بنَهم. رفعت أيتن حاجبًا، في حين توقفت فرح عن الابتسام. أمّا كريم فكان مغتاظًا كفاية ليقول:

- "منور وربنا"

أجابه وهو يطالع فرح باسمًا:

- "منورة بيكو يا صاحبي"

لحظات مضت، ثم قال كريم موجهًا كلامه ليزن:

- "أخبار تصميم الديكور إيه؟"

فإذا بيزن يجيبه قائلًا:

- "هيبهرك يا فرح "

كم بدا واثقًا وهو يتحدث.

شـعرت أيـتن أخـيرًا بخطـبٍ مـا، ثـم قالـت في محاولـة لتغيـير مسـار الحديـث:

- "الله. . التشيز كيك تحفة"

"هاتي بوسة يا بت. . هاتي حتة يا بت"

نظر كريم لشاشة هاتفه بضجر، ثم قام بالرد.

تعالى صوته، وغضبه وهو على الهاتف، وسرعان ما أغلقه.

نظر لأيتن وقال غاضبًا:

- "عايزني في الأستوديو أنا وإنتي يا أيتن"

ثم نظر لفرح وقال سريعًا:

- "وانتـي يـا فـرح أكيـد هتروّحـي، انتـي أحسـن دلوقتـي صـح؟ روّحـي بقـا، متقعديـش لوحـدك"

أجابته فورًا:

- "لا أنا قاعدة هنا شوية"

نظر إليها ثم إلى يزن، وفهم ما في الأمر، وقال:

- "انتي تعبانة ولازم تريحي"

فأجاب يزن:

- "يلا يا شباب. . عايزين حاجة؟ أنا ماشي"

ونهـض عـن مقعـده، فتهللـت أسـارير كريـم، في حـين امتقـع وجـه فـرح واشـتعلت غيظًـا عـلى مقعدهـا دون أن تنبـس بحـرف.

ألقى سلام عليهم، وانصرف.

- "متيلا. ."

وجه كريم حديثه لفرح التي لا تزال غاضبة، وقالت:

- "مقولتلك أنا قاعدة هنا شوية"

أشاح كريم لها بيده غاضبًا وقال:

- "يلا يا أيتن"

وانصرفا.

ظلّت فرح تفكر بأمر ذلك اليزن الذي لم يفهم مكرها الأنثوي. وراحت تشعل سيجارة أخرى لشد ما هي غاضبة.

مضت خمسة عشر دقيقة، وهمّت بالنهوض، قبل أن تنظر لصحن التشيز كيك، لترسم على وجهها بسمة سريعة وقد تذكّرت جنونه. أخذت الصحن أمامها، وراحت تُكمل النّصف المُتبقي منه باسمة.

ثم نهضت عن مقعدها، وهمّت بالرحيل.

راحت تسير باتجاه سيارتها تفكر بأمره، حين وجدته فجأة يسير إلى جوارها دون أن ينظر إليها قائلًا:

- "إيه يا فرح؟ كل ده عشان تخرجي. .؟ اتأخرتي عليًّا"

ثم نظر إليها في حين ذهولها، وابتسم لها برقة، ثم عاد ينظر للطريق أمامه.

قالت فرحة:

- "أنت شكلك مجنون رسمي"

* * * * *

٢٠

كان يجلس خلف مكتبه، يطالع الأعمال حينًا، ويرد على الهاتف حينًا. لكنّه ظل شاردًا يشتهي فرحًا، فراح بخياله يدق أبوابها تلك الجميلة، لتطلّ عليه بدرًا منيرًا، فبحبها هو يسير على صراط فرح مستقيم.

أدرك متأخرًا كم يحبها، وكم روحه تتوق لنقاء كي تلائم روحها الصبية، تلك الطفلة. . يسرا.

- "أستاذ أحمد. ."

لكنه يخشى أن تكشف أمره، وماضيه المضرّج بالنّساء. .

- "أستاذ أحمد. .؟؟"

ولكنه سرعان ما عاد يبتسم وهو يكتب لها على الفيس بوك يشاكسها:

- ((إنني للنّساء عاشق، والنّساء في عرفي فواكه. . أحبهن أصناف. . فوارق. .

تلك مانجا. . وتلك موزة. . وتلك عنقود عنب شهي، وتلك رمانة تقتني صبري. .

لا أميلُ لفاكهةٍ كلَّ الميل، فيصيبني كللُ الرتابة. . .))

- "أستاذ أحمد؟ أنت سامعني؟"

والحـق أنـه أرسـل لهـا مـا أرسـل وهـو متـألم، حتَّـى وإنْ كان مزاحًا فحديثـه يحتمـل معنيـين، المعنـى القبيـح منهـا لـن تدركـه طفولتها. .

أجابت:

- ((هــنَّ هكــذا النّســاء في عينيــك يــا مشــاكس، وأنــا "تفاحتــك المحرمــة"، نــارك وجنتــك. . فاخــتر مــا يليــق بــك. . مــا أنــت بنــاج منــي. . فأنــت هالــكٌ هالــك))

فراح يضحك عاليًا، كعاشق أحمق لا يبالي بحماقته.

- "يا أستاذ أحمد؟؟؟؟ حضرتك مش سامعني؟!"

تنبّـه فجـأة لوجودهـا وكأنّـه غـارق في حلـم وقـد اسـتفاق، كانـت تلـك سـارة. . سـارة التـي أوجعهـا لأشـهر. .

- "إيـه ده؟ معلـش يـا سـارة، مـا اخدتـش بـالي إنـك هنـا، ملخـوم والله"

- "آدي الأوراق اللي حضرتك طلبتها مني. ."

قال لها وهو ينظر في شاشة الحاسوب أمامه:

- "ماشي، حطيها هنا. . شكرًا"

وضعتهـا أمامـه، بصمـت، وعـلى شـفاهها كلام لا يُقـال. كانـت خرسـاء، تحـاول أن تزيـل خيـوط الوجـع عـن شـفاهها، لكـن خشـيت عـلى ألمهـا أن يسـيل.

بقيـت واقفـة أمامـه للحظـات، وهـو لا يُـدرك وجودهـا، ثـم قالـت أخيرًا:

- "أحمـد. . ممكـن أعـرف بعـدت عنـي ليـه؟ أنـت لا بـترد عـلى مكالمـاتي، ولا عامـلي اعتبـار، أنـت قلـت إنـك بتحبنـي"

رفع ناظره إليها، وشعر بأسف ينحر كيانه.

وراح يحادث نفسه:

- "يـا لي مـن مجـرم، أحلـم بيـسرا، وكأني قديـس، وعمـري كلـه خطايـا. . يـا ويـلي لـو عرفـت بأمـري"

ثم قال بصوت مرتفع:

- "اقعدي يا سارة. ."

جلست سارة، لكن وجعها ظل واقفًا أمامها، لم يهدأ.

- "أنـا عـارف إني كنـت حقـير معـاكي. وإني مهـما اعتذرتلـك، مـش هقـدر أخفـف عنـك أي ألم شـفتيه بسـببي"

كانـت تنظـر إليـه سـارة، وهـى مذهولـة، إذ أنّهـا لم تعتقـد أن جبروتـه قـد يتحـوّل لطفـل صغـير قـد أجـرم في حقهـا.

وراح يسترسل في حديثه قائلًا:

- "صدقينـي أنـا متعـذب دلوقتـي بقصـة تانيـة، وخايـف ربنـا ينتقـم منـي فيهـا"

- "بتحبها؟؟"

لم يكـن متفاجئًـا حـين سـألته، فهـو يـدري كـم هـو عـارٍ مـن حبهـا، ولا شيء يستره:

- "ولا عمري هحب حد زيها، حاسس إن هي نصي النّظيف. أنا آسف يا سارة. سامحيني بالله عليكي"

نهضت عن مقعدها باكيةً:

- "أسامحك على إيه ولا إيه، أنا حبيتك بجد وقدمت لك كل غالي، وكان تمني رخيص عندك"

- "أنا ممكن أحطلك اللي إنتي عايزاه في حسابك بالبنك، بس تسامحيني"

- "بقولك حبيتك تقولي فلوس؟ أعمل إيه أنا بالفلوس؟ حسبي الله ونعم الوكيل"

وخرجت من المكتب تجر خطيئتها.

أما هو، فنهض عن مقعده، وراح يلف أرجاء المكتب. ثم توجه لمكتب والده. وَجَده يُلاطف أخرى، ثم استقبله باسمًا، في حين خرجت تلك الغزالة من المكتب.

- "إزيك يا بوب؟"

- "أهلاً أهلاً. ."

- "هو أنت مش ناوي تعتزل ولا إيه يا بابا؟"

فراح والده يقهقه عاليًا، ثم قال:

- "لمَّا تعتزل أنت الأول يا عيون بابا. ."

- "بفكر والله يا بوب. ."

ثم جلس أمامه، نظر إليه والده مستعجبًا وقال:

- "بتفكر ف إيه؟ هو أنت لقيت مزة جديدة ولا إيه؟"

- "لا يا بوب. . المرادي بجد. ."

- "إيه ده. . مزة بجد؟!"

- "لأ. . حبيت بجد"

نظر إليه والده باسمًا، تلك البسمة التي لا تدرك معناها، ثم أخرج سيجارًا وراح يشعله وينفث دخانه عاليًا. وقال:

- "مين؟ استحالة تكون بنت من الشّركة"

- "لأ. . مش من الشّركة يا بوب"

- "عرفتها فين؟"

- "مش مهم دلوقتي. . هي السّاعة عندك كام ؟"

- "١٢ وربع"

- "حلو. . يا دوب اطلع المقطم"

- "هي هناك. . ؟"

أجابه وفرحة عشق في عينيه:

- "مدرستها هناك، هي هتتخرج من الثانوية السنادي"

- "كتكوتة قوي، ثانوية. .؟!"

- "آه يا بوب"

- "هي السنارة غمزت ولا إيه؟"

- "غمزت جدًا يا بوب، وجابتني الأرض"

أجابه أحمد باسمًا، وهو يهم بالرحيل.

خـرج مـن الشّركـة، تحملـه عنايـة الملائكـة، واسـتقلّ سـيارته، وراح يقـود باتجـاه المقطـم، وبـه شـوقٌ لهـا، تلـك الجميلـة.

وهـا هـو يصـل أمـام مدرسـتها في مجمَّـع المـدراس، في المقطـم، كان يفعلهـا للمـرة الثانيـة، ولكنّـه قـرر أن يفاجئهـا هـذه المـرة ويعلـن عـن وجـوده.

ظـل ينتظـر وهـو يحـدق صـوبَ البـاب خروجهـا. . لحظـات انقضـت، ثـم وجدهـا تخـرج مـن البـاب برفقـة صديقاتهـا. ابتسـم فـور رؤياهـا. ثـم رنّ هاتفـه.

يزن يتصل بك. .

وإذا بروحـه تنقبـض فجـأة، وضـع الهاتـف جانبًـا، ثـم خـرج مـن السّـيارة، متوجهًـا نحوهـا. ومعـه باقـة ورد أنيقـة، وعلبـة مـن الشـوكولا الفاخـرة.

راحـت تـودع البنـات، إذ كُـنّ مشـتركات في الحافلـة المدرسـية عكسـها. وإذا بهـا تجـده أمامهـا واقفًـا، وخجـل العشـاق باديًـا عـلى قسـمات وجهـه الأنيقـة.

تجمّدت مكانها للحظات، ثم قالت:

- "إنت. . إنت بتعمل إيه هنا؟"

وراحـت تنظـر حولهـا وهـي تُهـذّب خصلات شـعرها بخجـل، وإذا بـه يقـول:

- "ال uniform هياكل منك حتة، شكلك قمر وأنتي بالضفاير"

فإذا بها تبتسم. . لكنها سرعان ما قالت:

- "امشي من هنا. . جايبلي شوكليطة؟!"

فراح يضحك عاليًا وهو يمدها بالورد والشوكولا. وقال:

- "تعالي أوصلك. ."

- "لا مينفعش"

- "ليه؟!"

- "عشان أخويا ميعرفش إنك هنا!"

- "طب وإيه يعني؟ ما أنا وصلتك ساعة لما كنا في المستشفى"

- "بالضبط، وهو كان عارف. . بس دلوقتي. . . . ."

- "بحبك. ."

قاطعها فجأة. .

فغرقت في عينيه سهوة، وهو يشتعل عنوة.

- "أنا لازم أمشي. . مبسوطة إني شفتك. ."

- "بحبك. ."

- "وخلي بالك من نفسك، هبقا أكلمك فيس. ."

- "بحبك. ."

- "شكرًا على الشوكولاتة، الورد تحفة. ."

- "بحبك. ."

نظرت إليه مغلوبةً على عشقها. . :

- "وأنا كمان. ."

ثـم تركتـه وسـارت مسرعـة بعيـدًا عنـه، لتتركـه باسـمًا، يتمنّـى لـو يخطفهـا إلى قلبـه.

*****

٢١

وقـف قبالـة بـاب الشّـقة وبيـده طبـق حلويـات. . "بسبوسـة، وكنافـة، وهريسـة، وصوابـع زينـب وزلابيـا".

وراح يـدق عـلى البـاب، ففتحـت لـه امـرأة خمسـينية سـمحة الوجـه والطلّـة، وكانـت تلـك كعادتهـا، سوسـن، والـدة أمـيرة.

- "ساموعليكو. ."

- "وعليكم السلام ياخويا. . اتفضل"

دخل أمجد، ووضع طبق الحلويات جانبًا وقال:

- "واحشني السمك بتاعك يا حجة"

- "هي الريحة باينة قوي كده؟"

- "من أول الشارع وربنا. ."

- "جعان؟"

- "سامعة عصافير بطني؟ أهي بتزكزك"

فأجابته بضحكة طيبة، وقالت:

- "بتزكزك برضو؟ خش. . خُش يا مدعوق، أقعد على بال ما أخلص"

- "أميرة عاملة إيه؟"

تنهدت سوسن تنهيدة طويلة ثم قالت:

- "أهي الحمد لله، أحسن من الأول. خش اقعد في الصالون على بال ما اندهالك"

فتوجّه بدوره حيث الصالون المتواضع جدًا. كم يعشق أركان ذلك البيت ويحفظه شبرًا شبرًا. نظر إلى الطاولة أمامه فوجد صحن به جزر، يدري أن من عادة سوسن حين تطبخ أن تضع صحن به خضراوات على الطاولة في الصالون ليأكل منها الداخل والخارج.

- "ميجو. ."

نظر صوبَ الصوت ليجد أميرة وهي ترتدي عباءة الصلاة متوجهة نحوه باسمة.

- "يا عيون روح ميجو. . إيه القمر ده؟ بس وشك خاسس. ."

- "بس يا بكاش، عامل إيه؟"

- "وحشاني جدًا والله تعالي اقعدي أحب فيكي شوية. ."

- "ولد!!!"

ثم جلست جواره باسمة. . وسرعان ما اختفت بسماتها إذ قالت:

- "متأكـد إنـك مـش زعـلان منـي عشـان الفلـوس الـلي اتسرقـت دي؟"

- "يـووووه. . لزمتهـا إيـه السـيرة دي دلوقتـي؟ الدنيـا كلهـا فـداكِ يـا أمـيرة، وربنـا هيعوضنـا إن شـاء اللـه. ."

أجابته بانكسار:

- "إن شاء الله. ."

وأردفت قائلةً:

- "صحابـك بأمانـة وقفـوا معايـا وقفـة رجالـة، وكل يـوم مكالمـات بيطمنـوا عليّـا ويـزن كـتّر خـيره هـو الـلي خرّجنـي مـن المستشـفى وأنـت في الشـغل"

- "طبعًـا. . إحنـا عـشرة عمـر يـا بنتـي. . وانتـي غاليـة عندهـم زي مـا انتـي غاليـة عنـدي بالضبـط"

- "ادوني فلوس. ."

أجابها مدهوشًا:

- "نعم؟؟! إزاي وإمتى ده؟!"

- "عبداللـه ويـزن جمّعـوا مـن بعـض، وادوني ٥٠٠٠ جنيـه. والـدة عبداللـه جـت ادتهومـلي الصبـح، واقعـدت تحلفنـي، ومرضيتـش تمـشي إلا لمـا اخدهـا منهـا"

صمـت أمجـد للحظـات، وانسـابت مـن بـين شـفاهه بسـمة لا تعكـس سـوى قهـر الحـال، وقـال:

- "ربنا يجزيهم الخير، إنْ شاء الله نعوضهالهم لما ربنا يفرجها"

- "واللي عرفته إن الشّرقاوي هيساهم بحاجة هو كمان بس لسة معرفش إيه هي"

- "مجابوليش سيرة ولاد الإيه!!"

لحظات وانضم إليهم شادي شقيق أميرة وراح يشد طرف روب أميرة قائلًا:

- "تلفونك فين أنا عايز العب كاندي كلاش، عايز العب كاندي كلاش"

- "يا خلاثي. . كاندي كلاش. . بس كده؟ حاضر. ."

ثم أعطته هاتفها الذي التقطه منها سريعًا وطار بعيدًا.

- "إيه كاندي كلاش دي؟"

- "ههههههههه. . كاندي كراش دي لعبة مصر كلها بتلعبها. مش ناوي تجيب تلفون محترم كده عشان تواكب العصر كده وتفهم الدنيا فيها إيه؟"

- "لأ. . مش بحب التكنولوجيا، وانتي عارفة كده كويس. ."

أجابته وهي تأخذ جزرة لتقرضها، وقالت وهي تمضغها سريعة وتصدر أصواتًا غريبة:

- "بس ده لازم يا حبيبي، دلوقتي كله معاه سمارت فونز"

- "حد بياكل جزر بالمنظر ده؟ استخدمي أنوثتك شوية، ده الأرنب مبياكلش الجزر كده بالمنظر الشنيع اللي بتاكلي بيه ده. ارحميني. ."

- "الجزر بيقوي النظر. ."

- "طـب مـا تـاكلي مـن طبـق الحلويـات الـلي جبتـه، اسـتني أجبهولـك"

ونهـض عـن مقعـده باتجـاه طبـق الحلويـات ليجلبـه إليهـا، في حـين سـمع صرخـة تصـدر عنهـا، نظـر إليهـا مذعـورًا فوجدهـا تولـول قائلـةً:

- "آآآآآه. ."

ثـم بصقـت مـا في فمهـا سريعًـا في منديـل، لتـصرخ مجـددًا وهـي تنظـر صـوبَ المنديـل:

- "آآآآه، سنتي اتكسرت. . سنتي اتكسرت"

توجه إليها مذعورًا وقال:

- "أنهي سنة؟؟"

- "معرفش. ."

قالت باكية. .

ثم فتحت له فمها لتُريه أسنانها وقالت:

- "أنهي سنة؟"

أجابها قائلًا:

- "أحيييييييييييه. ."

- "أنهي سنة متخضنيش"

- "دي الـلي في الـوش يـا أمـيرة، ده نصهـا طـار. . بتـاكلي جـزر ليييييييييييـه؟ قلتلـك بتاكليـه بغبـاء مصدقتنيـش. ."

قفزت أميرة صوب المرآه، لتفزع من هول المنظر:

- "أروح الشغل إزاي أنا دلوقت؟"

- "شـغل إيـه؟ وأنـا خطيبـك ذنـب أمـي إيـه؟ بقيتـي شـبه أم مسـعد بسـنتك المكسـورة دي"

خرجت أمها على جدالهم:

- "في إيه بس؟ دوشتوني. ."

- "بنتك كلت الجزرة وكسرت سنتها. ."

- "يا خرابي. . وريني يا موكوسة. ."

ففتحت أميرة لها فمها فشهقت أمها مذهولة:

- "يا نهار أزرق. ."

- "اعمل إيه يا ماما دلوقتي؟ أروح الشغل إزاي بمنظري ده؟"

أجابها أمجد قائلًا:

- "برضـو شـغل؟ يـا بنتـي أنـا عايـز آخـد قطـع الغيـار سـليمة، يـا أم سـنة وربـع انتـي"

- "مش وقتك خالص دلوقتي يا أمجد. ."

أجابته سوسن.

- "الأكل جهز؟ جعااااان وطالع ميتين أهلي"

- "خش كل يلا ونقطنا بسكاتك"

وإذا بأميرة تقول:

- "تاكل إيه يا مفجوع وتسيبني وأنا كده؟"

- "محـدش قالـك تفـترسي الجـزرة كأنـك عمـرك مـا كلتـي قبـل كـده"

وتركهم وتوجه إلى المبطخ ليأكل. . سمكة. في حين صياح أميرة:

- "آآآآآآآآآآه سنتي. ."

* * * * *

٢٢

كان يسـير قرابـة النيـل، يـسرد إليـه وجعًـا، وشرودًا قـد مسّـهُ الشـوق. الشـوق لِـمَ تحديـدًا؟ لا يـدري، لكنـه آخـر، عابـر سـبيل، يتـوق ربمـا لراحـة. . أو هـلاك. . فـلا يوجـد بـين البـين. . إمـا شـمسٌ مشرقـة وسـط سـماء، أو سـيف قاطـع، يقطـع مواصيـل الفـرح والشَّـقاء، فتتسـاوى كل الأشـياء.

وجـد شـيخًا يسير في اتجاهـه يحمـل مسـبحة عـدد حباتهـا يبـدو تسعة وتسـعون حبـة وذلـك نظـرًا لطولهـا، في الوجـه سـماحة، وعـلى الجبـين طاعـة، وعـلى الشـفاه رضًـا. وجـد روحـه تسـتكين إليـه، إلى طيفـه المُسـالِم. . وكأنّـه فـاقَ السَّـماء والنيـلَ نقـاءًا.

راح يقـترب إليـه ذات الشـيخ، وينظـر إليـه صـوبَ العـين وكأنّـه لا يُبـصر سـواه، وكأنّـه خُلِـقَ لكيـلا يبـصر سـواه، فاقتربـت المسـافات، وزادت السّـكينة في روح يـزن العائِمـة في بحـور اللاهويـة، اللاديـن، اللامنطـق.

وحـين أصبـح عـلى بعـد خطوتـين، امتـلأت السـماوات غربانًـا تنعـق كالمـوت المُبـين، فنظـر إلى الشـيخ يتـوق لسـلام يـراه في قَسَـمات وجهـه ليسـتكين، لكـن الشـيخ تحـوّل وجهـه إلى خنزيـر بغيـض يرتـدي جلبابًـا قـذرًا فاقـع لونـه. وإذا بالمسـبحة تتحـوّل لأفعـى صغـيرة يسـبح بهـا لمعبـود غـير اللـه.

انتفـض، وهـو يركـض عكـس اتجاهـه وهـو يخلـع ملابسـه كلهـا ليصبـح عاريًـا تمامًـا كـما ولدتـه أمـه، شـعر بنفسـه لا يهمـه سـوى الخـلاص مـن ذلـك الشـبح ولم يبـال لِعُريـه، وفجـأة قفـز هربًـا للنيـل المجـاور الـذي تلقفـه وهـو مـليء بأفـاعٍ تحـترق بنـارٍ ظنّهـا جهنّـم الأشـدّ حـرًا. .

عـاد ينتفـض مجـددًا، ليجـد نفسـه في المـترو، نظـر حولـه فوجـد شـيخًا يطالعـه يسـير في اتجاهـه يحمـل مسـبحة عـدد حباتهـا يبـدو تسـعة وتسـعون حبّـة وذلـك نظـرًا لطولهـا، في الوجـه سـماحة، وعـلى الجبـين طاعـة، وعـلى الشـفاه رضًـا، وجلـس إلى جـواره.

ارتعـدت أنفاسـه، وشـعر أنّ هـلاكًا جلـس إلى جـواره، فخـرج مـن المـترو فـور وقوفـه قبـل شـبرًا بمحطتـين.

خرج يعانق أي هواء ستتلقفه رئتاه الموؤدة وجعًا.

خـرج ليجلـس حيـث ينتظـر الـركاب المـترو، وأشـعل سـيجارة. كان قـد مـضى مـن الوقـت مـا مـضى مُنْذُ آخـر مـرة تواجـد فيهـا في منزلـه حيـث أمـه وأختـه. لكنـه شـعر بشـوق حـين قابلتـه يـسرا في المشـفى حـين زاروا أمـيرة. شـعر بحنـين للديـار، فهـمَّ يشـدُّ الرّحـال نحـوه.

لكنّـه شَرد عـلى مجلسـه للحظـات، يذكرهـا. . فـرح، علّهـا تنسـيه حلمـه المزعـج.

مُنْذُ ساعة. . أو أكثر بقليل، كان برفقتها يمتطي حلمًا مشاكسًا. . . .

وجدته فجأة يسير إلى جوارها دون أن ينظر إليها قائلًا:

- "إيه يا فرح؟ كل ده عشان تخرجي. . ؟ اتأخرتي عليَّا"

ثم نظر إليها في حين ذهولها، وابتسم لها برقة، ثم عاد ينظر للطريق أمامه.

قالت فرحة:

- "أنت شكلك مجنون رسمي"

ابتسم ضاحكًا من قولها:

- "ده أساسي، مولود على جبيني مجنون"

- "أنا مش مصدقة نفسي. ."

- "مش مصدقة إيه؟"

- "الهبل اللي أنا بعمله ده. ."

- "هبل إيه؟"

- "نعم؟ كل ده ومش حاسس بهبل؟ أنا معاك بعمل إيه دلوقتي ورايحين على فين؟ أنت مييين أصلا؟"

- "أنا يزن. . بتعرفي تجري؟"

- "إيه؟"

ودون سابق إنذار، أمسك يدها يجرها ليسابقا ريحًا عاشقة.

- "أنت بتعمل إيه؟!"

لكنّـه لم يجبهـا، وظـلّ يسـحبها وهـي تلحـق خطواتـه بصعوبـة. في البدايـة كان وجهها متجهـمًا لا تشـقُّه بسـمة، لكنّهـا لم تسـتطع، فابتسـمت، فـإذا بوجههـا بـدرًا منـيرًا.

كانـا يعـبران الشـوارع كالمجانـين، حتَّـى إنّ يـزن كادت أنْ تدهسـه سـيارة وهـو يعـبر أحـد الشـوارع وفـرح مذهولـة مـن أمرهـا. وقفـا بعدهـا بدقائـق. .

- "حا. . حاسة. . ب. . إيه؟"

سألها يزن بنفس متقطع، فأجابته بصعوبة:

- "مش قا. . درة، آخ. . آخد نفَسي. ."

وراحـت تسـند بيديهـا عـلى ركبتيهـا ترجـو هـواء اللـه أن يـرأف بهـا ويعانـق رئتيهـا.

أما يزن، فاستند على سيارة وراح يطالع تفاصيلها:

- "دلوقتـي انتـي انسـانة، بتعافـر عشـان تتنفـس. كان نفـسي مـن زمـان أشـوف أي ملامـح انسـانية فيـكي. بحسـك جـماد، آلـة، آلـة رافضـة إنهـا تعيـش"

نظرت صوبه وقد أعدلت من وقوفها، وقالت:

- "ملامـح إنسـانية؟ مـين قالـك اني جـماد أو آلـة؟ قصـدك إني مـش سـعيدة؟ لا يـا بابـا. . انـت تبطـل خالـص أسـلوب المحللـين النفسـينين، النفسـنين. . ال نـف سـان. ."

- "هههههههههـه وكـمان مـش عارفـة تنطقـي الحـروف؟ اسـمها. . المحللـين النفسـيين. . يـا جاهلـة"

نظرت صوبه غاضبة. . وقالت تصيح به:

- "أيًا كان. . أنا بسافر وبروح بلاد عمرك ما شفتها، وبعرف أسعد نفسي وأضحك وأسهر مع صحابي. ."

- "قوليها تاني كده. . محللين نفسيين"

- "لأ. ."

- "يلا ورايا. . ز. . ر. . ع. ."

وأطلق ضحكة عالية عانقت السّحاب. فنظرت إليه بغضب مجددًا، وقالت تحارب نفسها:

- "محللين نف. . ."

ووقفت للحظات وهي تنظر أعلى اليمين تفكر. . :

- "نفسانيين"

فعاد لضحكاته العالية. . :

- "نفسانيين آه. ."

عقدت حاجبيها، لكنّها سرعان ما أطلقت ضحكاتها الغجرية، حتَّى تظنها موناليزا قد كفرت ببسمتها الصامتة لتسحر العالم أجمع بضحكة جميلة يظهر فيها جميل ثغرها حتَّى يظن ليوناردوا دافينشي أنه لم يرسم قط شيئًا.

وقف يطالع ضحكاتها التي آمن أنها منسية، هو الذي لا يؤمن بشيء، وأحب أن يكفر بالأشياء. لكنّه. . مع ذلك. . أحبَّ الإيمان بها، والخشوع أمام عينيها. . ليسمع تراتيل قلبه، وقد أحسنَ قلبه الترتيلا.

- "ضحكتك. . حلوة. ."

صمتت فجأة وهي تمسح عن عينيها دمع الضحك، لتغرق في عينيه. . ثم قالت:

- "أنا لازم أمشي. ."

- "متهربيش. ."

- "كفاية جنان يا يزن"

كان لوقع اسمه نغم جميل على مسامعه، لكنّه لم يجرؤ ليطلب منها أن تكرر اسمه مجددًا. فهو بوضع لا يسمح له أن يكون بموقف ضعيف، هو هكذا يحب أن يكون متحكمًا، قال:

- "براحتك. ."

شعرت بنفسها المنتصرة. لكنه قال:

- "فين أقرب مترو؟"

- "تقريبًا خطوتين من هنا. امشي قدام حبة"

- "عايزة حاجة؟"

- "لأ"

- "سلام"

شعرت بجدية الأمر حين أدار وجهه عنها وسار بعيدًا، قالت بعد قليل من الصمت:

- "تحب أوصلك؟"

- "لأ. ."

. . . . .

- "يزن"

فأغمـض عينيـه وقـد عشـق اسـمه فعـلًا مـن شـفاهها الجميلـة، التفـت إليهـا:

- "نعم؟"

- "هشوفك تاني؟"

- "آه. . طبعًا"

فاستكانت لرده، لكنه سرعان ما قال:

- "في الأستوديو طبعا. . متأكد إن شغلي هيعجبك"

وانطلق يسير بعيدًا عنها، تاركًا إياها في جعبة الشّوق.

راح يعانـق الشـوارع يحـكي يُتـمًا شـديدًا باسـم الحـب، شـيئًا بداخلـه كان جارفًـا، قويًـا، جبـارًا.

#جبابرة. .

الجـبروت صفـة إلهيـة نعـم. . ولكـن حـين يصبـح الإنسـان جبـارًا ذات يـوم، فإنـه يصبـح جبـارًا بعـد حـروب طاحنـة، لم يكـن في معظمهـا بمنتـصر. . بـل خائـب الرجـاء، مقتـول. . يُعربـد ألمـًا.

إلى أن تتساوى كل الأشـياء. . الحـب والحـرب. . الضحـكات والدمـوع، الحيـاة والمـوت. . فـلا يكـون هنـاك مناصًـا. . إلا للجـبروت. .

الجبابـرة، كانـوا فيـما مـضى أحـن خلـق اللـه، ولكنّهـم ذاقـوا الوجـع، فلـم يعرفـوا غـيره. الجبابـرة يكرهـون الاحـتراق قربًـا، فيأثـرون البُعـد، حيـث أن الأشـياء مـن بعيـد أجمـل.

يعشـقون الوحـدة، والليـل، وشرود الليـل. . لهـم طقوسـهم الخاصـة، "ممنـوع الاقـتراب يـا هـذا". .

نحـن لا نمـوت حـين يخذلنـا الحـب، بـل إنّـا نبقـى أحيـاء بمـا فيـه الكفايـة ليمسـنا طاغـوت الوجـع خلـف سـتار الخـذلان، أحيـاء بمـا يكفـي لتمـر الدقيقـة كألـف سـنة مـما نَعُـد.

فتحـت يـسرا البـاب لـترى مـن الطـارق، وجدتـه أمامهـا مبتسـمًا، عاتبتـه قائلـةً:

- "ينفع كده؟ ماما كل يوم بتنام معيطة"

ثم تركته وذهبت إلى غرفتها.

- "جايلك"

أجابها، ثم توجه ينادي أمه:

- "يا أمي. ."

لحظات ليسمع صوتها:

- "ااااابني. . حبيبي"

وخرجـت مـن غرفتهـا تحضنـه، وتُقبّلـه وكأنّـه عـاد مـن سـفر أعـوام.

- "أهون عليك؟"

- "يا ماما أنا سافرت يومين ورجعت"

- "بس مشيت غضبان من البيت يا قلب أمك. . حصل إيه بس؟"

أجابها باسمًا:

- "محصلش حاجة يا ست الكل"

وراح يُقبّل رأسها، ثم قال:

- "جعان يا أمي"

أجابته بشغف أم تهوى إطعام طفلها:

- "حاااضر. ."

وطارت إلى المطبخ.

في حين توجه يزن لغرفة يسرا ليصالحها. كانت تجلس على طرف السرير تطالع كتاب شعرٍ لفاروق جويدة، جلس بجوارها، في حين لم يهتز لها طرف. لحظات ثم كسرت الصمت قائلة:

- "أنا محبتش أحرجك ساعة المستشفى وحبيت أبين أن الأمور ميه ميه"

- "عارفة ليه؟"

نظرت إليه ثم أدارت وجهها، فقال:

- "عشان أنا أكبر منك سنًا. ."

فعادت تنظر إليه بحدّة، لكنّه استطرد حديثه قائلًا:

- "بس انتي دايمًا أكبر مني بقلبك وطيبتك"

فإذا بها تبتسم. . فقالت وهي تضع يدها على كتفه:

- "طول عمرك بكاش. . يا بكاش"

فأجابها بضحكة غلبت الخصام بينهما، وإذا بهاتفها يرن:

"رجعوني عنيك لأيامي اللي راحوا

علموني أندم على الماضي وجراحه

اللي شفته. . قبل ما تشوفك عنيه،

عمر ضايع يحسبوه إزاي عليا؟؟"

فقال يزن:

- "إيه مش هتردي ولا إيه؟ ده حتَّى الست تزعل. ."

- "لأ، هـي صاحبتـي، اتصلـت مـن شـوية، وعايـزاني اشرحلهـا حاجـة كـده في الفلسـفة بـس أنـا مـش فاضيـة نـاو وعنـدي صـداع"

- "الأكل جاااهز يا عيون ماما"

كان ذلك صوت الأم تنادي من الخارج.

- "مممممم. . ماشي يا يسرا. هقوم آكل أنا. . جعان"

وربت على رأسها، ثم خرج.

في حـين توجهـت يـسرا إلى هاتفهـا ودقـات قلبهـا تنبـض رعبًـا وخوفًـا. كانـت تلـك هيـام، أو لنقـل. . أحمـد العاشـق، مـن هيّمهـا وهيّمتـه.

أرسلت له:

- "أخويا رجع النهاردة، وكان قاعد معايا وكنت هروح فيها. والنبي خلي بالك"

في حين على الطرف الآخر، تلقى أحمد الرسالة مذعورًا، وراح يفكر مليًا: "يا ترى هيحصل إيه لو يزن عرف؟"

*****

٢٣

- "خلصنا يا ميس. ."

رفعت ليلى ناظرها إلى إحدى الطالبات وهي تنبهها بانتهائها وزميلاتها من نقل الدرس من على السبورة. نهضت ليلى عن الكرسي.

نظرت صوبَ السبورة، وكأنهّا تسترجع ماضيًا ليس ببعيد:

- "أنا هبدأ بشرح آخر بيت من القصيدة دي، وبعدها هنرجع لأول بيت ونمشي بالتدريج، لحد ما نوصل لآخر بيت من تاني. هعمل كده ليه؟ ممكن نقول يا بنات، إن ملخص القصيدة دي كلها. أو فكرتها الجوهرية. . تكمن في البيت الأخير ده: "أيها الشاكي وما بك داءُ. . كن جميلًا ترَ الوجود جميلًا"

وأردفت قائلةً:

- "إزاي قدر إيليا أبو ماضي تلخيص فلسفة الحياة في البيت الجميل ده. . لو قدرنا نفهم البيت فهم كلّي، ممكن نوصل

لأسباب السعادة بمنتهى السهولة. بس الأول. . واحدة فيكو تقولي. . فهمت إيه من البيت ده؟"

ثم نظرت صوبَ البنات بشغف. . وجدت قليلًات يرفعنَ أيديهنّ، منهنّ من فعلنها بعدم ثقة. . فقالت:

- "طيب، هديكوا دقيقتين، تفكروا، واللي هتبهرني إجابتها، ليها خمس درجات ضامناهم في أعمال السنة"

ثم توجهت نحو النافذة، تطالع اللاشيء، لحظات وسمعت إحدى الطالبات تهمس لصديقتها:

- "وكان منزل صورته على الفيس بوك، قمر قمر قمر. ."

نظرت ليلى صوبَها وقالت بصوت مرتفع:

- "هو انتي فاكرة نفسك في ملهى ليلي؟؟ انتي نسيتي إنك في مدرسة وفي حصة يا بنت انتي؟ فيس بوك إيه وزفت إيه؟ اتفضلي قومي اقعدي ورا وإياك تكلمي حد. قال فيس بوك قال"

نهضت التلميذة بخوف، وتوجهت بخطى قلقة نحو المقعد الخلفي حيث تعاقب ليلى طالباتها حين يضايقنها في الفصل. وصلت إليه وقامت بالاعتذار قائلةً:

- "أنا آسفة يا ميس ليلى مش هتتكرر تاني. بلاش تقولي لماما والنبي"

ثم جلست على مقعدها بعينين دامعتين، ولم يهتز لليلى طرف من أمرها، وقالت:

- "ها يا بنات. . إيه شرح البيت اللي ع السبورة؟"

فوجـدت أن معظـم الفتيـات تشـجعنّ ورفعـنَ أيديهـنّ، عـدا ثلاثـة، منهـن آلاء، مـن تجلـس في المقعـد الخلفـي.

- "آلاء. . قومي اشرحي"

فتنبهـت آلاء لصوت أسـتاذتها الصارم، ونهضـت وهـي تـدري أنهـا مُلاقيـة هلاكهـا إنْ لم تُحسـن التعبـير. فسـارت بخطـوات مُتباطئـة، حتَّـى ظنّـت نفسـها عـلى الـصراط وأنّهـا مُلاقيـةٌ حسـابها. ووصلـت إلى السـبورة، الفتيـات ينتظـرنَ سـخطًا عليهـا أو رضى. فقالـت الفتـاة بقلـق تـردد البيـت:

-"أيهـا الشـاكي ومـا بـك داء. . كـن جميـلًا تَـر الوجـود جميـلًا. . يعنـي يـا شـاكي. ."

وإذا بالطالبـات ينفجـرنَ ضاحـكات مـن قولهـا. وظلّـت ليـلى تطالعهـا بصرامـة، فالتفتـت آلاء نحوهـا وقالـت:

- "طيـب ممكـن يـا ميـس تسـمحيلي متكلمـش وأنـا بـشرح بصيغـة الغائـب، وأوجـه لحضرتـك الـكلام كأنّـه ليـكي؟"

- "أي حاجة، خلصيني يا بتاعة الفيس بوك انتي. ."

- "حضرتـك بتشـتكي ليـه؟ إيـه أكـبر مأسـاة في حياتـك الـلي تمنعـك مـن إنّـك تفرحـي وتنبسـطي وتعيـشي سـنك؟ وانتـي عارفـة إنّ الحيـاة يومـين، وإنّ العمـر الـلي راح، هيوصـل لمرحلـة ويكـون أكـتر بكتـير مـن الـلي جـاي؟ أسـباب السّـعادة كلهـا في إيـدك إنتـي، ضحكتـك في إيـدك إنتـي، زي مـا حلمـك في إيـدك إنتـي. ومُمكـن يكـون البيـت ده تفكـير بنعـم ربنـا عليـكي، طالمـا مفيـش داء يسـتلزم دواء؟ يبقـى ليـه تكـدري عمـرك بنفسـك وتعيـشي محبوسـة جـوا سـجن إنتـي صنعتيـه

بنفسـك؟ الحيـاة جميلـة، فكـوني جميلـة عشـان تشـوفي كل حاجـة جميلـة حواليـكي. . وبيـكي"

كانـت ليـلى تقـف مذهولـة بـلا حِـراك، وهـي لا تسـتوعب، أتقـوم آلاء بـشرح البيـت أم أنّهـا أزاحـت مـا يسـترها عنهـا لتتركهـا تقـف عاريـةً مـن أمرهـا. .؟

لحظـاتٍ أخـرى مُربكـة مضـتْ، قبـل أن تطلـب ليـلى منهـا العـودة لمقعدهـا. توجهـت الفتـاة بصمـت نحـو المقعـد الأخـير، لكـن ليـلى قالـت:

- "ارجعي مكانك خلاص يا آلاء"

ثـم نظـرت إلى الفتيـات نظـرة شـابهت الانكسـار في عزلتـه، والوحـدة في انكسـارها. كانـت عيـون الفتيـات مليئـة بالحـيرة وكأنّهـا تسـألها عـن أمرهـا؟ أو مـا هـو مصـير آلاء مـن إجابتهـا. لحظـات صامتـة أخـرى مضـت. . ثـم قالـت:

- "ممتـازة يـا آلاء، بـس مكنـش في داعـي تشرحـي وكأنّـك بتوجهـي كلامـك لحـد بشـكل مباشر، اشرحـي المـرة الجايـة بصيغـة المجهـول، أو ممكـن وكأنّنـا بنتكلـم عـن الإنسـان نفسـه. . فهـماني؟"

فأومـأت آلاء برأسـها في حـين دقَّ الجـرس، وانتهـت حصـة اللغـة العربيـة.

فنهضـنَ الفتيـات بنشـاط صـوبَ البـاب ليسـتغللنَ الخمسـة عـشرة دقيقـة في النميمـة، والوقـوف أمـام المـرآة، وليأكلـنَ وكأنهـنّ يأكلـنَ مشـاعرهنّ.

- "تعالي يا آلاء. ."

استوقفتها ليلى قبل خروجها مناديةً. . فتوجهت صوبَها تمشي على استحياء:

- "أيوه يا ميس؟"

- "بلاش يا بنتي الكسوف المُصطنع ده مهو كان منزل صورته على الفيس بوك وكان قمر قمر قمر. ."

ثم راقصت ليلى حاجبيها لها بمرح، فقالت آلاء آسفةً:

- "والله يا ميس، معلش يا ميس. . والله. . . ."

فقاطعتها ليلى قائلةً:

- "قوليلي بقا، هو إيه الفيس بوك ده بالضبط عشان محسوبتك بطاطاااا في البرامج دي. .؟"

فرفعت آلاء ناظرها إليها بذهول وهي لا تصدق ما تتلوه عليها آذانها وقالت:

- "مش فاهمة حضرتك. ."

- "مش فاهمة إيه بس. .؟"

ثم أخرجت هاتفها وأعطته إياها وقالت:

- "بصي، موبايل حديث زي ما إنتي شايفة أهو، بس لا أفقه فيه سوى إني أتصل، أو أبعت مسج، بس. حاسة إن أنا من أهل الكهف، علميني أفتح الفيس بوك إزاي، بس فهميني هو عبارة عن إيه الأول؟ أصل كله بيتكلم عنه"

وحين تأكدت آلاء أنها تحادث أستاذة عشرينية، هي في الأصل طفلة قد ضلّت الطريق، جلبت مقعدًا وجلست إلى جوارها تشرح لها وتعلمها ما لا تعلم.

- "يعني ممكن أكتب آرائي بمنتهى الصراحة وكده ع الفيس ده؟"

- "آه. . بس بلاش آراء سياسية وكده. ."

فضحكت ليلى وقالت:

- "لأ. سياسية إيه، محسوبتك ليلى. . ملحدة بالسياسة"

ثم تنهدت قليلًا. . وقالت:

- "ماشي. . يا لوئة. . صحيح، كنت عايزة أقولك، متزعليش عشان شخطت فيكي قدام البنات، بس انتي عارفة إني مش بحب الهرج والمرج خالص. يلا روحي قبل ما الجرس يرن، وياريت كلامي معاكي يكون سر بينا"

- "حاضر يا ميس. ."

وانصرفت. .

في حين توجهت ليلى للإدارة توقع انصرافها باكرًا لاستئذانها بالرحيل قبل انتهاء الدوام المدرسي بساعتين لتذهب إلى السوق، فلقد اقترب لقاء الحبيبِ. . محمدًّا. وحَريٌ بها أن تَبْتَاع لبسًا جديدًا أو اثنين.

-"أنا في السوق"

أرسـلت لـه مكانهـا، فهـو الآمـر، الناهـي، وحتَّـى مـن بعيـد. . حتَّـى لـو كان يعلـم مُسـبقًا أيـن وجهتهـا. يجـب أن يعلـم بأمـر هـذه التقاريـر أولًا بـأول. وإلا فكيـف سيسـتحق لقـب "رجـل" في البطاقـة؟

- "متتأخريـش. . ولـو إني شـايف إن الخروجـة دي ملهـاش أي تلاتـين لزمـة، بـس مـاشي. ."

قـرأت رسـالته، ثـم وضعـت الهاتـف في حقيبتهـا. واسـتقلّت سـيارة أجـرة تأخذهـا للسـوق. كانـت تطالـع الشـوارع بـلا حنـين، وكأنّهـا تنتظـر الخـروج مـن جـدران المدينـة، لتفـر إلى كوكـب القاهـرة، برفقـة. . الحبيـب. . محمـدًا.

* * * * *

٢٤

- "ناوليني الطفاية دي يا أما. ."

نظـرت إليـه والدتـه بامتعـاض وهـي تنهـال عـلى "اللـب السـوبر" أكلًا حتَّـى تظنّهـا سـتلاقي ربهـا إنْ لم تأكلـه، قالـت:

- "آدي الـلي أنـت فالـح فيـه، سـجاير ولـب وسـوداني ومرقعـة مـع الشـلّة الفاسـدة الـلي انـت مـاشي معاهـا مـا عـدا عبداللـه طبعًـا.

والاسـم خاطـب ليـك خمـس سـنين، وعايـز تتجـوز؟ جاتـك وكسـة تاخـدك"

فأجابها أمجد بزمجرة:

- "في إيـه يـا أمـا؟ هـو الواحـد مـش عـارف يرتـاح حتَّـى في بيتـو يـا جدعـان؟ اسـتكنيص فـين أنـا لـو ملقتـش الاسـتكنياص هنا؟"

أجابته وهي تمده بما طلب:

- "تسـت إيـه؟ أخلاقـك ليـه مـش زي الـواد عبداللـه؟ واد محـترم وذوق وعـارف ربنـا وبيـبر أمـه وأبـوه. ."

- "بيـبر. .؟ أهـو بعـد بيـبر دي متتكلميـش تـاني يـا أمـا. أنـا خرمـااااان"

- "أنـا بـس نفـسي أعـرف البـت أمـيرة بصتلـك إزاي؟ هـي بـت شـلق آه.. بـس تسـتاهل أحسـن مـن كـده. ."

وراحت تضحك بمرح. .

فأجابها بحس مسرحي حتَّى تظنه يتأوّه وجعًا:

- "اعـترفي يـا أمـا. أنـا ابنـك ولا ابـن مصيلحـي البـواب. . إهـيء إهـيء إهـيء"

- "اتوكـس يـا موكـوس. كنـا هنخلـص منـك لـولا ولاد الحـرام الـلي سرقـوا شـقاك أنـت وأمـيرة. . وربي. . وربي ومـا أعبـد قلبـي مقهـور"

- "والنبـي حاسـس إنـك مقهـورة، انتـي بتقزقـزي اللـب كـده ليـه؟ عملـك إيـه؟ ربنـا رازقنـي بولايـا متوحشـين. البـت أكلـت الجـزرة كـسرت سـنتها، وأمـي بتـاكل اللـب كأنّهـا فـار متوحـش"

وإذا بها تمسك نعلها لترميه به قائلة:

- "أنا فار يا كلب. . فار أما يقرقضك حي يا بعيد"

لكنـه تداركـه وبحركـة سريعـة حـين قفـز مـن جوارهـا نحـو التلفـاز:

- "والنعمة أنا ابن مصيلحي البواب. تعال احضرنا ياباااااا"

وإذا بصوت من الداخل يقول:

- "معاك سجاير يا فاشل؟"

- "معايا يابا. ."

ثم نظر لأمه وقال:

- "هروح لبابا. . وهقوله على مصيلحي. ."

وأدار ظهـره لهـا وإذا بنعـل طائـر يُلقـى عـلى رأسـه مـن حيـث لا يـدري. فنظـر إليهـا قائـلًا:

- "هتروحـي مـن ربنـا فيييييييييـين. .؟ ربنـا ع الظـالم. . قزقـزي لـب قبـل مـا تمـوتي يـلا"

ثـم فـرّ إلى حيـث يتواجـد أبيـه قبـل أن تتهـور أمـه وترميـه بـأي شيء آخـر يقسـم رأسـه نصفـين.

- "منور يا حج. ."

قالهـا لأبـاه الـذي يقـف عـلى الشُّرفـة وهـو يمـده بسـيجارة، ثـم قـال:

- "آآآباه. ."

- "معييش"

- "معكش إيه؟"

- "معييش فلوس. ."

- "يـا سـاتر يـارب. . أنـا جـاي أقـف مـع أبويـا مـن دون أي مصالح، الأبوبـة يـا حـج. . الأبوبة. ."

- "أبوبـة؟ أبوبـة برضـو يـا حـمار يـا ابـن الحـمار؟ اسـمها أبـوة يـا جاهـل"

- "معلـش يـا بابـا. . وأهـو عـلى رأي الشّرقـاوي، التعليـم المجـاني في دمي"

- "ياريتك فلحت. . مكنش ده بقا حالنا. ."

- "إيـه يـا حـج الـكلام ده. . ؟ مـا الـلي متخـرج مـن تـب مـا هـو حالـو واقـف برضـك. ."

- "تـب؟ أعـوذ باللـه مـن غضـب اللـه. . يـا ابنـي أنـا عنـدي السـكر والضغـط"

- "ارضى بيا يا حج زي ما أنا راضي بيك. . ده أنا وحيد العائلة يابا"

ثم صمت قليلًا وقال:

- "آباااا. . أنا عايز عِدّة حديثة عشان أواكب العصر"

- "أقسـم باللـه. . قلبـي كان حاسـس إنـك بسـحنة أمـك دي عايـز منـي حاجـة"

- "مقدرش أسحب من مرتبي، منتا عارف اللي فيها، وعايز اتجوز يابا. . ومتشتمش سحنة أمي يا حج ولا عشان أيام الشقاوة خلصت خلاص؟"

- "يا بني أنا معايا قرشين لليوم الأسود. ."

فأجابه أمجد مستنكرًا:

- "هو في أسود من اللي إحنا فيها؟ محنا فيها ياحج. اديني ألف جنيه بس يا حج"

- "ألف عفريت أما يركبوك. ."

- "اعترف يابا. . هو أنا ابن بتعة شعراوي؟ أنا ابن مين؟ أنا ابن ميييييييين؟؟"

- "أيوة يعني أنت عايز فين دلوقتي. .؟"

وإذا بأمجد يقهقه عاليًا حتَّى أسمع الجيران وقال:

- "حلوة الألشة دي يا حج. . لا وإيه ع الموضة. ."

- "هات سجارة تانية"

- "ده أنا عنيا ليك يا حج. . يا سلام. ."

- "برضو معييش فلوس. ."

- "يا حج. ."

- "برا يا انتهازي يا فاشل يا عديم الرباية. ."

- "يااا حج. ."

- "برااااا. ."

- "طب وديني لقول لمي عن بتعة شعراوي وتبقى جلاجلكو بفضيحة "

ثم خرج من الشُّرفة مُمتعضًا، ولكنّه مُتقبلًا لتلك الحال إذ اعتاد على قصر قامة أحلامه. كان متوجهًا لغُرفته حين نادته أمه:

- "تعالا. ."

- "عايزة إيه يا أما. .؟"

- "بقولك تعالا. ."

فاقترب منها وكلمة "أف" على وشك أن تعانق الأجواء.

- "خد. ."

- "إيه دول؟"

- "٧٠٠ جنيه. . اجري هات العدّة اللي أنت عايزها. ."

وإذا بوجهه ينقلب طفلًا صغيرًا أهداه الزمن سهوةً "دُمية". أخذها منها ولثم يديها بشفتيه وقال:

- "مش مصدق نفسي يا أم ميجو. . ربنا يخليكي ليَّا وما يحرمني منك أبدًا. أخيرًا هيبقى عندي واستاب، مع إني مش بحبه"

- "هيبقى عندك إيه؟!"

- "واستاب يا أما. . وبي إم إم وهقب على وش الدنيا"

- "طيب. ."

وراح يُقبّل رأسها ووجنتيها. . وهو يقول:

- "ريحتك لب آه بس بعشقك يا أما. ."

فقالت ضاحكة:

- "ربنـا يهديلـك الحـال يـا ابنـي. . الفلـوس دي محوشـاها عـلى جمـب ومهنـش عـليَّ تكـون أقـل مـن صحابـك يـا حبيبـي"

- "ربنـا مـا يحرمنـي منـك يـا أحـن أم في الدنيـا. . قـولي عـاااااااااا يـا أمـا. ."

- "عااااااااااااا يا موكوس يا ابن الموكوسة"

- "هروح أفرّح أميرة، يارب متكونش نايمة"

دخـل إلى غرفتـه، ثـم إلى الشُّرفـة، وأمسـك حَجـرة صغـيرة، وألقـى بهـا عـلى نافـذة الشُّرفـة المقابلـة:

- "أميرة. ."

قـال هامسًـا. . لكـن أحـدًا لم يجـب، فأمسـك حَجـرة أخـرى وألقـى بهـا مجـددًا. فخـرج لـه ظـلٌ بطـيء الحركـة منكـوشَ الشـعر:

- "سلامٌ قولاً من ربٍ رحيم"

- "عايز إيه يا ميجو؟"

- "مش عايز حاجة. خُشي كملي نوم بشعرك ده"

نظـرت أمـيرة لـه للحظـات، قبـل أن تسـتوعب أنهـا مكشـوفة الـرأس، انتفضـت فجـأة وفـرّت إلى الداخـل مجـددًا وهـي تقـول:

- "شعري. . . ."

- "لا حاسبي ع الحرير يقع منك"

قال لنفسه بزمجرة.

خرجت إليه مجددًا وقد غطّت شعرها:

- "خير يا ميجو. ."

- "كنت عايز أقولك إني هبقا معاكي في الواست آب يا بت"

- "بجد؟ ؟ جبت موبايل جديد؟"

- "لا هجيب. . بس وأنا معاكي يا بت. عايزين نخرج خروجة من بتاعت زمان دي"

- "لما نفسيتي تتحسن"

- "تتحسن إيه بس ما انتي زي القرد اهو. . بحبك أمك يا بت. . ما تبعتي قَطّة ع الهوا كده"

- "اتعدل ياد"

- "البجامة هتاكل من أفاكي حتة"

- "وأنت شفت قفايا فين إن شاء الله؟"

- "من شوية وإنتي داخلة تجيبي الطرحة"

ثم ضحك بسعادة، في حين ضحكت هي بحب. قال:

- "هاتي بوسة يا بت. . لابسة إيه تحت البجامة يا قلبي؟"

ابتسمت له بحنان، ثم قالت:

- "هقولك لابسة إيه. ."

وبحركة سريعة صفعهُ نعلٌ على وجهه ألقته عليه من حيث لا يدري.

- "آآآآآآآه. . مراخيري يا مجنونة. وديني مانا جايبلك قمصان نوم تاني"

ثم خرج من الشرفة غاضبًا، في حين تعالت ضحكاتها. . بشغفٍ لغدٍ سيجمعها به في الحلال، ذات يوم.

*****

٢٥

عادت لشقتها، والفرح أنيسٌ لها. لم تذهب للبنى تعاتبها اتصالها بياسر، لم تشعل الحرائق، لم تقم الدنيا وتقعدها، بل استسلمت. . استسلمت للفرح. . فرح.

- "أخلي أنيتا تحضرلك الغدا؟"

سألت لبنى فرح التي أجابتها بنظرة عابرة تليها:

- "لأ. . مش جعانة"

- "إنتي كويسة؟"

فأجابتها قبل لحظتي صمت مقلق:

- "أها"

وانسحبت لغرفتها، ومن هناك نادت على أنيتا بأن تعد لها القهوة، ففهمت لبنى من الخارج أن فرح لا تريد أي شيء قد يأتي

عـن طريقهـا. والحـق أن فـرح لم تـرد سـوى السـلام، السـلام عـلى أرض ذاق الوجـع بمـا يكفـي، ليذيـب الفـرح.

هـا هـو يـزن ينبـش إنسـانيتها الراكـدة، ويحيـي أنوثـةً عهدتهـا مجـرد جسـد جميـل تملكـه، لكنّـه بمـا يفعـل يُحيـي أنوثـة قلبهـا خـالي النبـض والـروح، فيبعـث فيـه النبـض، وترقـص عـلى نبضاتـه الـروح.

أمسـكت هاتفهـا، وقـد تبـادلا أرقـام الهواتـف رسـميًا. . . وجدتـه عـلى برنامـج الواتـس آب، يضـع صـورة لفتـاة شـعرها قرمـزي اللـون، وعينيهـا خضراويـن، وعـلى وجنتيهـا نمـش نـثره الحُسـن بـدلال هنـا وهنـاك عـلى امتـداد وجههـا عرضيًـا. بـدا وجههـا قريبًـا جـدًا منهـا، احتفظـت بالصـورة عندهـا باسـمة. . ثـم أرسـلت لـه:

- "حلوة الصورة دي. ."

- "شبهك صح؟"

- "بصراحة. . آه. ."

- "بس هي أحلى. ."

قـرأت الرسـالة مـرارًا وتكـرارًا، وقبـل أن تُجيـب، وجدتـه يتصـل بهـا، فأجابـت سريعًـا:

- "آلو. ."

- "وحشتيني. ."

فقالت تغيّر مجرى الحديث:

"There is no God؟" -وكاتبها ع الواتس بصراحة كده؟"

- "وفيها إيه؟ أنا إنسان صريح. ."

- "هو أنت بجد مُلحد؟"

- "اشمعنا؟"

- "رد على سؤالي. ."

- "مش هتحبيني لو مُلحد؟"

- "إيه؟"

- "إلحادي هيكون سبب في إنكارك إنك بتحبيني؟"

- "بحبك؟ أنت أكيد اتهبلت. . أنا معرفكش عشان أحبك. ."

- "وده اللي مجننك. . متعرفنيش. . بس حبيتيني. . اعترفي، الإنكار مش هيفيدك"

- "النهاردة كان جميل. ."

فابتسم من قولها، وقد أدرك كم هي عاشقة هاربة، فقال:

- "أشكرك لأنّك كنتي سبب في سعادتي النهاردة، خرجتيني من قرف كتير"

والحق أنها كانت تريد أن تقول له المثل، وربما أكثر، لكنّها آثرت أن تقول:

- "قرف كتير؟ قرف إيه وأنت مُلحد ومكبر دماغك من كل حاجة حواليك"

- "طيب طالما عارفة إني مُلحد، ومتأكدة. . بتسألي ليه؟"

والحق أنه لم يدر أنها أرادت أن تتعلق بقشة أمل تخبرها أنه موحّد بالله. . وحين سفك بريق ذلك الأمل قالت:

- "كنت بتأكد بس، أصل شكلك مش مُلحد"

وإذا به يضحك عاليًا ثم يقول:

- "ليه هو الملحدين لازم يكونلهم شكل معين؟ إحنا بشر زينا زيكو مش فضائيين ولا حاجة"

- "مش القصد، أصلي عندي حاسة كده، بتخليني أحس بأحاسيس معينة من ناحية كل حد ملحد بعرفوا"

- "مممممممم. . بمعنى. ."

- "يعني مثلًا، كريم، مُلحد موضة. عشان يتقال عليه مُلحد، هو لا قارئ ولا مثقف ولا حاجة. يعني أي بطيخ"

- "جميل. . وأيتن؟"

- "والله كنت قايلالها تحليلي ده قبل ما شوفك النهاردة، أيتن بتنام مع ولاد كتير، وإلحادها ستر ليها، عشان محدش يتكلم عليها، وأقرب كلمة تتقال (مُلحدة)"

- "تحليلك مُقنع، وبشكل أو بآخر، بوافقك عليه. . طب وأنا؟"

- "مممممممم. ."

ثم صمتت قليلًا، وقالت:

- "سيبها للأيام، لسة مكونتش فكرة عنك"

- "هشوفك تاني إمتى؟"

- "في الأستوديو"

فابتسم لمكرها وقال:

- "بشوقك. . فرح"

- "نعم؟"

- "هبعتلك صورة ع الواتس بعد ما نقفل"

- "صورة إيه. . ؟"

- "هتعـرفي لمَّـا تشـوفيها. . وبجـد، وشـك أجمـل ميـة مـرة مـن دون مكيـاج، عارفـة ليـه؟"

فظنته سيقول شعرًا في عينيها وجمال طلّتها، لكنّه قال:

- "عشان مش بيستر ألمك، بشوف ألمك وهو عريان"

فاضطربـت أطرافهـا، وشـعرت بلسـعة خفيفـة خلـف رقبتهـا لشـد مـا بعـثر أعصابهـا، لأنـه قـاب قوسـين أو أدنى مـن كشـف السـتر عـن الوجـع. . حقًـا. قالـت:

- "أنا لازم أقفل دلوقتي. ."

- "بتهربي مني ليه؟"

- "مش بهرب. . لازم أقفل"

- "ليه؟"

- "مشغولة. ."

- "مممممممم. . طيب. . سلام"

- "سلام"

وألقت بالهاتف جانبًا، ودارت في أرجاء الغرفة، في حين وصول أنيتا والقهوة والتي أخذتها منها على عجل، وأخذت رشفة سريعة فأحرقت شفتيها ولسانها وكاد أن يسقط الفنجان من بين يديها.

فوضعته جانبًا حين استمعت لنغمة الواتساب تنبئها بوصول رسالة من يزن:

- "الصورة ع الباب. . مش هنا"

ظلّت تحدق في الرسالة غير مستوعبة لفحواها، ورنّ جرس الباب، وظلّت واقفة لا يهتز لها طرف، في حين انتفضت فجأة وحلّقت نحو الباب. فتحته سريعًا، لكنّها لم تجد طيفًا لأحد. ووجدت قرب الباب، جسم مستطيل، كبير الحجم، مُغلف بأوراق زينة أنيقة. ففهمت فورًا ولو متأخرًا، أنّها لوحة.

حملتها ودخلت إلى الداخل في حين لحقتها عينا لبنى ولكنّها لم تعقب. دخلت إلى غرفتها، ووضعت اللوحة على السرير وقامت بإزالة غلاف الزينة عنها، فوجدت أن اللوحة مُغلفة بورق أبيض مكتوب أعلاه بخط ملائكي:

- "هتعجبك. . لو كنتي مجنونة كفاية"

وجدت نفسها تأخذ نفسًا عميقًا وهي تقرأ هذه الجملة، وراحت تسمع ضجيج قلبها قبيل أن تزيل الورق الأبيض عن اللوحة. . . لتجد جنونًا، شابه العشق، واللذة:

وجدت نفسها تقف قرب شجرةٍ تستند بيدها اليمنى عليها، ملائكية، لا يستر جزئها السفلي سوى قماشة بدت على ما يبدو حريرية، وجزئها العلوي بدا نجمًا لا يخشَ الليالي. وشعرها

القرمـزي يغطـي كتفيهـا القمريـين. . بـدا هنالـك ألم صـارخ عـلى قسـمات وجهها الجميـل، ففهمـت مـاذا يعنـي بـالألم العـاري.

وعينيهـا يشـعان اخـضرارًا كزمـردةٍ نـادرة، كانـت عينيهـا الناعسـتين في اللوحــة تدعــوك للهيـام في ملكوتِهـا، لكـن عينيهـا عـلى أرض الواقـع آنــذاك كانتـا ذاهلتـين وقـد شـاهدتا كيـف رسـم نهديهـا بتلـك الاحترافيـة حتَّـى تسـاءلت مـا إذا رآهـا عاريـة الصـدر يومـا في حيـاة سـابقة، أو في كـون مـوازٍ لا تـدري عنـه. . كان نهديهـا الشـمس والقمـر، فوجـدت حولهـا وعـلى جانبهـا الأيـسر نجومًـا وليـلًا. . وعـلى جانبهـا الأيمـن، وجـدت شمسًـا وطيـورًا تحلّـق في سـماءات. وكأنّهـا إلهـة للشـمس والقمـر معًـا. . وهكـذا جمـع الشـمس والقمـر، الليـل والصبـاح. . في نهديهـا، وبهـذا هـي الكـون كلّـه!

شـعرت برجفـة، ورغبـة عارمـة في الـصراخ. أخـذت اللوحـة ووضعتهـا أسـفل خزانتهـا، وأمسـكت الهاتـف ترسـل لـه:

- "أنت قليل الأدب وحيوان، إزاي ترسمني وأنا كده؟؟"

ليأتيها رده سريعًا:

- "يبقى مش مجنونة كفاية"

*****

٢٦

تناول مضرب الجولف، وأخذ قسطًا مناسبًا من الهواء، وتموضع جيدًا ليسقط الكرة الصغيرة في الفوهة وسط الحشائش الخضراء في منتزه خلف الفيلا خاصته. كان يرتدي قميصًا أحمرًا، و "شورتًا" قصيرًا أبيض اللون، وقبعةً بيضاء. أنيقًا أَسَرَهُ الهمّ، فأصبحت أناقتَه حدادًا، لحظات حاسمة. . وضربها ضربة خفيفة تظنها القاضية، ولكنّها لم تكن بقاضية، فتركيزه لم يسعفه كفاية، فتجاوزت الكرة الفوهة، ومرّت قربها تغيظها عدم سقوطها فيها. فركل الهواء بقدمه. وأعطى المضرب لحامله بغضب، وأخرج هاتفه يتصل بها علّه يهدأ ويستكين:

- "يسرا. . يا ترى أخوكي هيرضى بيّ لو اتقدمت لك؟"

وإذا به يسمع ضحكاتها وهي تقول:

- "أنت على طول حامي كده؟ مفيش إزيك عاملة إيه؟"

- "معلش يا يسرا، جاوبيني على سؤالي، أخوكي هيرضى بيّا؟"

- "وميرضاش بيك ليه؟ أنتو عشرة عمر. . وهو بيحبك قوي زي أخوه، أنا عارفة ده كويس، أنت أقرب الناس ليه والله يا أحمد، بس الموضوع عايز تخطيط كويس قوي"

- "يا يسرا. . في حاجات كتير إنتي متعرفيهاش عني. ."

- "عشان كنت بتعرف بنات كتير؟ طب وإيه يعني؟"

والحـق أن طفولتهـا لم تتجـاوز أكـبر مـن تلـك الفكـرة، ظنتـه كان يحـادث الكثـيرات، ويخـرج برفقتهـن، وضحـك وسـهر وصخـب فقـط، لكنّهـا لم يمـر بخاطرهـا مطلقًـا أنـه نازلهـنَّ عـلى الأسرّة، والمضاجِـع.

- "انتي مش فاهمة يا يسرا. . أصل. ."

- "لا أصـل ولا فصـل، أنـا قابـلاك زي مـا أنـت. . ده أنـت منّـي يـا أحمد"

فصمـت قليـلًا أمـام هـذا العبـارة، واسـتوقفته بعشـقها، فأجابهـا خاشـعًا لحبهـا:

- " ربنـا يخليـكي ليّـا يـا يـسرا، ويجمعنـا في الحـلال يـارب. إنتـي غـّيرتي فيّـا كتـير"

عجيـب أمـرٌ هـذا الحـب، وكـما جـرّه للحـرام ذات يـوم، هـا هـو يقـوده للحـلال مُغمـض العينـين، خاشـع الـروح والبصـيرة، حتَّـى ظـنّ نفسـه تائبًـا باسـمه، كـما كان عابثًـا باسـمه فيـما مـضى. أصبـح الآن سـجينًا للأمـس والحـاضر والغـد. فأمسـه مُـضرج بخطايـاه، وحـاضره يتـوق لمغفـرة وبدايـة جديـدة معًـا، وأمّـا غـدهُ، فقـد ارتـدى رداء رمـادي اللـون وراح يتبختـر أمـام ماضيـه وحـاضره، ليتركهـم حيـارى. .

فيـما مـضى كان يحـب أن يحتـسي الخمـر، ولكنّـه لم يدعهـا أبـدًا أن تسـكره، يحبهـا عابـرة، كَرَشـة عطـر أنيقـة، ولكنّـه اليـوم يحتسـيها قلقًـا حتَّـى تذهـب بكامـل عقلـه وروحـه، فقـال فجـأة:

- "أنـا بـشرب. . وكتـير كـمان لدرجـة إني مـش بكـون حاسـس بنفـسي"

لفظهـا سريعًـا وقـد أثقلـت فـاه، ألقاهـا كقنبلـة اعترافيـة وكأنّـه جنـدي خائـب الرجـاء يلقيهـا قـرب الحبيـب وهـو لا يـدري إن كانـت سـتنفجر أم لا. لحظـات صمـتٍ مدويّـة، وصـبر مُـراق عـلى أعتـاب قلـق، حـين لفظـت أخـيرًا:

- "هتبطـل شرب، ومـن النهـاردة أنـا معـاك لحـد مـا تسـيبه خالـص، وأنـا عارفـة إنـك قدهـا وقـدود. مهـما قلـت يـا أحمـد مـش هسـيبك"

لم يكـن عنـده ردًّا مناسـبًا يُجيـب بـه، شـعر بدمـوع تنسـاب مـن عينيـه، هـو الـذي لا يبـكي قـط. ذهـل مـن قواهـا السـحرية عـلى وجـوده وكيانـه، أدرك كـم يحبهـا، أدرك أنّهـا رئـة ثالثـة، أدرك أنّهـا الحيـاة.

- "ساكت ليه؟"

- "أنـا بحبـك قـوي يـا يـسرا. . مـش هعـرف أعيـش مـن غـيرك، احتماليـة إن أخـوكي يقـف في طريقنـا مجننـاني. ."

- "متقلقش. . مش هسيبك. ."

فاطمئنت نفسه، وهدأت صراعاته، فقال:

- "عايز بنوتة شبهك. ."

صمتت قليلًا ليسمعها تقول لاحقًا بمرح:

- "بتكسف. ."

- "بعشق كسوفك. ."

فأجابته سريعًا وقد خطف أريج صوتها القلق:

- "بقولك إيه. . سلام ناو. . أخويا جه. . "

وانقطع الحلم الجميل فجأة، كان يشعر أحمد بمرارة الحب حين يكون مختبئًا خلف خوف وظلمة، لكن ذلك لم يزده إلا إصرارًا للاستعداد لمواجهة الحياة. . معها. . تلك الجميلة.

أما تلك الجميلة. .

فتوجهت لمفكرتها وقد غابت عنها، لتسرد حبها:

((إلى من يريق صبري، ليعود يجمعه إلي حبًا، ثم يعود ينثره علي أمنية. .

إليك هذا السطر المعطَر بالهوى، هاكَ ترتيلي وشوقي، وهاكَ طفولتي.

قلبي منك يغتاب الشوق، وروحي من أمركَ غائبة في انتظار أن تهتدي، فتعال اهدني خير الحياة فالهدى كله أنت.

أقف قبالتك، ولا يسعني إلا البوح سراً، كم أشتاقك وكم تشتاق إليك خطوط يدي، وأصابعي الصغيرة لتعانق أصابعك الكبيرة التي أحب. . ورائحتك الزكية تلك التي تزيد اشتياقي، ولا تمدني سوى بالحنين. . لكنني مهما اختبأت خلف البوح، فعيناي وضحكاتك يتحالفون معك ضدي. فأرفع رايات الشوق كطفلة أحبّت الاستسلام، والانهزام حبًا. وآه من أمرك. . خشيت التوحد فيك مسبقًا، ولكني توحدت فيك حد الالتصاق، وما عدت أبصر يومًا لا أجد فيه طيفك يمرح والهوى. فماذا فعلت بي؟ وأي لعنة تلوتها في الأسحار لكي تأسرني؟

أسيرتك. . وكم أحب أسرك لي. . سيدي. .

لا أقولها "سيدي" إجلالًا. . ولا تكريمًا لمقامك دون مقامي، ولا أقولها ضعفًا، ولا أقولها هيبة. . ولا أقولها انكسارًا أو ذلًا، أقولها حبًا. . وكُلي حب، لشخصك الذي لا ينفك يذهلني.

أنت. .

أيها الكائن الأروع،

يا سيدي في الحب

كما الهوى. .

أود حفظك، في كتاب مقدس. . ليتلوه العشاق يومًا، ويحسنوا مع حروفي الترتيلا))

نظرت لما كتبته لتوها باسمة، في حين دخل يزن غرفتها إذ كان الباب مواربًا، قال لها باسمًا:

- "بتذاكري؟"

- "لأ"

- "أومال بتعملي إيه؟"

- "كنت بكتب. ."

- "خواطر برضو؟"

فضحكت باضطراب وقالت:

- "خواطر برضو. ."

فاقترب منها وقال باسمًا:

- "أشوف كده. ."

وإذا بها تنتفض من خوفها وقالت وهي تأخذ مفكرتها قبل أن يأخذها:

- "لا. . مينفعش. . دي كتابات خاصة، وأتكسف أوريهالك جدًا"

فتعجب من أمرها ومن ردّ فعلها الهجومي القلق. فقال لها باسمًا:

- "ماشي يا خاصة"

قالت في محاولة لتغيير مسار الحديث:

- "أميرة عاملة إيه؟"

- "متقلقيش عليها زي القرد، كويسة وزي الفل، ونزلت شغلها كمان"

- "طيب الحمدلله. ."

- "هروح آكل أنا بقى"

ثم استدار ليخرج من الغرفة قبل أن تستوقفه علبة شوكولا على المنضدة، أخذ منها قطعة كبيرة وقال لها وفمه مليء بها:

-" مممممم، لذيذة قوي الشوكولاته دي. . جايباها منين؟ ."

- "دي صاحبتي جايباهالي من سويسرا، باباها باعتهالها من سويسرا. . وادتهالي"

- "مممممم أنا برضو بقول الحاجات النظيفة دي مش من عندنا. ."

وراح يضحك بمرح، وخرج من الغرفة. وسار في الصالة لعدة خطوات ثم عاد إليها وكأنّه استذكر أمرًا ليقوله لها ووقف قرب الباب حين سمعها تهمس على الهاتف:

- "هكلمك بعدين. . . كنت هروح في داهية"

توقف عقله لبرهة، ثم انقسمت خواطره قسمين، ولكل قسم حديث وحدث:

القسم الأول: "يا ترى بتكلم مين؟ اللي أعرفه أنها أحيانًا بتكلم زمايلها عادي من المدرسة. . . تلاقيه أي عيل رزل من مدرستها"

القسم الثاني: "إيه كنت هروح في داهية دي؟ يسرا ليها فترة مش مضبوطة. . وحركاتها غريبة. ."

وإذا بخواطره تنجبُ له قسما ثالثًا: "طب وأنا مالي؟ هي عارفة الصح من الغلط، وكل واحد حر في تصرفاته"

واستدار ليعطي غرفتها ظهره ولامبالاته، وذهب ليتناول الطعام.

*****

٢٧

جلست أسفل قدميه بعد أن وضعت وعاءً كبيرًا مربع الحجم مليء بالماء المالح على الأرض. . خلعت حذاءه وجواربه، وحملت قدمه ووضعتها في الماء، ثم الأخرى وضعتها كذلك وكأنّها تحمل قدمًا كريستالية تخشى عليها من الكسر والخدش، قالت بصوت يسترضي مسامعه:

- "عـارف يـا حـج. . لـو خدمتـك مـن هنـا لمـية سـنة قـدام، مـا هعـرف أعبرلـك عـن مكانـك الكبـير في قلبـي"

نظر أبو ليلى إلى قسمات وجهها الخمسينية. وقال لها باسمًا:

- "انتي قدم السعد عليّا"

فراحـت تفـرك قدميـه بإخـلاص، وتمسـك كل إصبـع عـلى حِـدة، تضغـط بحـب عليـه وكأنّهـا تزيـل عنـه آثـار الجهـد والتعـب، ثـم تضغـط عـلى أصابعـه بإبهامهـا، ثـم تـأتي وتفعـل المثـل بإبهاميهـا مـن منتصـف قدمـه مـن الأسـفل وصـولًا إلى الكعـب، ثـم أمسـكت قدحًـا بـه مـاء سـاخن، وراحـت تسـكب منـه بحـذر في الوعـاء، إلى أن تعتـاد قدميـه عـلى درجـة الحـرارة المرتفعـة، شـيئًا فشـيئًا، ثـم قاسـت درجـة حـرارة المـاء بذراعهـا، ووضعـت القـدح جانبًـا حـين تأكـدت مـن ملائمـة درجـة حـرارة الميـاه لقدميـه.

وفي حـين انهماكهـا بإرضائـه كـما اعتـادت دومًـا وأبـدًا، رنّ هاتفـه فأجـاب عليـه كالجبابـرة:

- "أيـوة. . أيـوة. . يـاا ألـف نهـار أبيـض. . الحمدللـه الحمدللـه. . سـاعة وأكـون عندكـو"

رفعت أمينة ناظرها إليه باسمة:

- "خير يا حج. . وشك جه عليه النور. . بشرني. ."

أجابها راضيًا مرضيًا:

- "مـش بقولـك إنتـي قـدم السـعد عـليّ. . ؟ جـالي ولـد. . جـالي ولـد. . هكـون أبـو يـاسر بجـد يـا أم ليـلى. ."

لحظات ظلّت تنظر إليه غير مستوعبة لما تلاه على مسامعها، تنظر إليه كطفلة بلهاء لا تدرك حالها أمرها. قالت كأنّها تسأله كيف الحال:

- "ليه هو أنت كنت اتجوزت عليّا يا حج؟"

يا للمفارقة. . ناداها بأم ليلى حين أتاه الولد، ناداها بوصمها، وعارها، حين ظنّ أن رجولته اسعفته أخيرًا في رحمِ أخرى. نهض بنشاط، وأخرج قدميه بسعادة من الماء، قال:

- "أيوة، من تسع شهور، لازم يكون عندي ولد يا مَره. . وانتي شايلة معايا شغلي وشايفة إن الراجل اللي معندوش ولد، بيعيش ظهره مقسوم، وأنا عشت بظهر مقسوم ٢٢ سنة يا أم ليلى. ."

فقالت تكتم الدمع:

- "أنا اسمي أم ياسر يا حج وهفضل طول عمري أم ياسر"

- "انتي أم الهنا كله، أنا لازم أمشي حالًا"

وراح يرفع يديه مهللًا:

- "يا فرج الله، يا فرج الله. ."

وخرج.

ألقت أمينة بجثتها على الأريكة، وكانت ليلى تنظر صوبها ودمعٌ يخرسها، ثم سرعان ما ركضت نحوها تُقبّل يدها باكيةً:

- "سـامحيني يامّـا. . سـامحيني. . ياريتنـي كنـت واد ولا شـفت كـسرة نفسـك دي. بكـرة تشـوفي ولادي، هملالـك البيـت ده كلـه صبيـان مـن محمـد. وهجيبلـك يـاسر يـا أم يـاسر"

نظـرت أمينـة صـوبَ ابنتهـا بجمـود، وسـحبت يدهـا بقسـوة مـن بـين يديهـا وشـفتيها الباكيـة، وقالـت:

- "جيبي واد، وإلّا هيدفنوكي حية، زي ما دفننوني حية ٢٢ سنة"

ثم نهضت عن مقعدها، وقالت تحادث نفسها بصوت مرتفع:

- "بـس أنـا مقصرتـش في حاجـة، أنـا كنـت زاي الراجـل في مجالـس الرجالـة وأنـا بقضيلـه شـغل الأراضي والفداديـن. أنـا عوضتـه عـن يـاسر لمـا جبتـك. وحلفـت مـا أحسسـوا بنقـص ولا حاجـة، وصبرت واتصـبرت. . أنـا مقصرتـش في حاجـة"

ودخلـت الأم غرفتهـا في حـين اعـترى فـؤاد ليـلى قبـح الأزمنـة، وحماقـة الغايـات.

وعـادت ليـلى لسـجن جـدران أربـع، ولم يكـن لهـا ونيـس ولا صديـق. أتتصـل بمحمـد؟ . . لا. . لـن يجيبهـا، وإن فعـل فصوتـه جـاف كخريـف بائِـس. لم تشـعر يومًـا أنـه سـند لهـا، ومـع ذلـك تحبـه حبًـا جهنميًـا خالصًـا، حبًـا لم يكـن بالنسـبة لهـا مفهومًـا كليًـا، إلا أنّهـا متيقنـة أنـه قـدريّ مصـيريّ حـدّ الحقيقـة حينـما لا يُعـرف غيرهـا.

دخلـت غرفتهـا، حاولـت أن تشـغل نفسـها بتصحيـح دفاتـر الطالبـات، لكنّهـا لم تسـتطع، وتركتهـم جانبًـا. اسـتلقت عـلى السريـر تسـترجي النـوم، لكنّـه لم يشـفع لهـا وطـار. فأمسـكت الهاتـف تقلّـب

برامجـه بضجـر، إلى أن تذكّـرت حديثهـا مـع طالبتهـا آلاء عـن ذاك العـالم الأزرق.

ولم يكـن صعبًـا عليهـا اتبـاع الخطـوات اللازمـة لإنشـاء حسـاب جديـد، ولأنّهـا تشرّبـت العـادات والتقاليـد وتعلمـت أن اسـم ليـلى لا يـزال بعضـه "عـورة"، فأنشـأت حسـابًا باسـم "حوريـة بحـر". . فالحوريـات يسـبحن بحريـة، دون قلـق. . في قلـب البحـور الزرقـاء وقـد عشـقن جموحـه وأسراره.

"محمـد الشـيخ"، كتبـت اسـم خطيبهـا في خانـة البحـث، لكنّهـا لم تكـن لترسـل لـه طلـب صداقـة مطلقًـا، فـإن عـرف أنهـا أصبحـت مسـتخدمة فيـس بـوك، لرمـى عليهـا يمـين الهجـر قبـل أن تصبـح ملكـه. كانـت تريـد أن تـرى نشـاطه خلـف الشاشـات فقـط، مـن بعيـد. . كـما تحبـه. . مـن بعيـد. فالأشـياء دومًـا مـن بعيـد أجمـل. .

لكنّهـا لم تجـده، ولأنّ حسـابها كان خاويًـا. راحـت تتصفـح صفحـات الفيـس بـوك بضجـر، وتُبـدي إعجابهـا هنـا وهنـاك. وإذا بمحمـد يتصـل. .

ارتعـد قلبهـا مـن هـول المفاجـأة، فهـو نـادرا مـا يتصـل. . وشـعرت بحنـين إلى صوتـه:

- "الو"

- "أيوه. . خليكي معايا ثانية"

- "حاضر"

وبقيـت صامتـة عـلى الهاتـف تتنفـس بحـذر وشـوق عـلى مقربـة مـن أنفاسـه القاسـية.

- "حورية بحر. . ."

لفظها كأمين شرطة، في حين فقدت ليلى قدرتها على الكلام، وظلّت صامتة في انتظار بطشه، وإنّ بطشه لشديد. استكمل حديثه قائلًا، وهو يسألها ويجيب عن سؤاله في نفس الوقت:

- "استأذنتيني إنك تعملي أكاونت على الفيس بوك؟ لأ. . اتكلمتي أصلًا معايا في الموضوع ده قبل كده؟ لأ. ."

-. . . . . . .

- "طبعًا حضرتك عملتي الأكاونت برقم موبايلك فظهرلي، وبالصدفة عرفت إنك عملتيه من. ."

ثم صمت قليلًا وقال:

- "ساعة إلا ربع. . وسبتك تعملي اللي تعمليه لأني دخلت على الأكاونت بسهولة لما توقعت إنك عملتي كلمة السر عيد ميلادي. ."

-. . . . . .

- "حورية بحر، والصورة الشخصية بنت بتبص للسما. . بداية مبشرة فعلًا. الأكاونت يتقفل حالًا وإلا هتشوفي اللي عمرك ما شفتيه. على آخر الزمن الاقيكي ع الفيس. انتي تخليكي في بيتك وشغلك في المدرسة وبس"

- "حاضر. . حاضر. . أنا آسفة"

- "أسفك مرفوض، عملتيه ليه؟"

-. . . .

- "ردّي"

- "أصلي كنت قاعدة وملّانة، وقلت أشوف الدنيا فيها إيه."

- "تشوفي الدنيا فيها إيه؟؟ جميل. . إنتي شكلك مش هتعمري معايا"

- "لا. . لا والنبي يا ابن عمي. . توبة، والله ما هتحصل تاني، ولا هعمل أي حاجة من وراك تاني"

- "اللي يعمل حاجة من ورايا مرة، يعملها مية مرة"

- "أنا آسفة، كنت مضغوطة. . أبويا طلع متجوز على أمي ومراته التانية خلفت"

- "إيه ده هي انتصار لحقت؟"

- "انتصار؟؟ هو أنت كنت عارف يا ابن عمي؟"

- "طبعًا. . مش أبوكي حمايا؟"

- "ومقولتليش؟"

- "بنت انتي. . اتعدلي معايا. أقولك بأمارة إيه؟ إيه شغل النسوان ده؟ . أنا بتصل عشان أقولك إنك تراقبي تصرفاتك ومتستهبليش. ورقك كله مكشوف قدامي"

صمتت قليلًا ثم قالت بانكسار:

- "حاضر يا ابن عمي"

- "انتو جايين إمتى؟"

- "قريب إن شاء الله"

- "طيب. . سلام"

وأنهى المكالمة. .

هــي الآن قــاب قوســين أو أدنى مــن أن تكــره جنــس الرجــال، ولكــن. .

كيف تكره محمدًّا؟؟ وقد شغفها حبًا؟

* * * * *

٢٨

- "أنا تحت. ."

- "تحت فين؟"

كان ذلك أمجد يجيب الشّرقاوي الذي قال له بحدة:

- "هيكون فين يعني. . ؟ تحت عمارتكو على أول الحارة. انزل"

- "مين مات؟"

- "يا ساتر يارب. . ليه بتقول كده؟"

- "أصلــك جيتــلي مرتــين قبــل كــده، مــرّة لمـّـا ســتي ماتــت، ومــرّة لمـّـا رحنــا نعــزي في الشــيخ عامــر أبــو الملحــد وجيتــلي أنــت والــواد عبداللــه عشــان نروحلــو"

- "محـدش مـات. . انـزلي وانجـز يـا أمجـد. . عايـزك في مشـوار. أمـيرة وعبداللـه معايـا"

- "معاك فين عدم اللامؤاخذة. ."

- "في العربية يا باي ع الغباء"

أربـع ثـواني مضـت، لينتفـض أمجـد عـن مقعـده، ويهـرول سريعًـا إلى الأسـفل وشـيطانه قـد أتقـن رسـم مخططاتـه في عقلـه وروحـه. فـماذا تفعـل أمـيرة برفقـة الكازانوفـا. يثـق بشـيطانها نعـم، ولكنّـه لا يثـق بشـيطان الشّرقـاوي المُبجـل. ونـسى لشـدّ مـا هـو قلـق وجـود عبداللـه كمحـرمٍ بينهـما.

كان يركـض في الحـارة كالمجانـين، وهـو يرتـدي ثوبًـا رياضيًـا و "شبشـب". إلى أن وصـل إلى السّـيارة وهـو يلهـث، في حـين خـرج الأنيـق أحمـد مـن السّـيارة وقـال باسـمًا:

- "اركب ورا جمب أميرة"

نظـر أمجـد صـوب مقاعـد السّـيارة فوجـد بالفعـل أمـيرة تجلـس في الخلـف وعبداللـه يجلـس قـرب الشّرقـاوي. أخـذ نفسًـا عميقًـا وراح يجلـس قـرب الأمـيرة، قـال لهـا:

- "كنت هفجرك. ."

فأجابت تهمس:

- "اسـتحالة كنـت اركـب معـاه لوحـدي. . وبعديـن الشّرقـاوي محـترم"

نظر إليها باستنكار وقال:

- "محترم ده يبقى خالتك، ما انتي مشفتيش ميرنا وكوكي."

- "مين. .؟"

وإذا به يوجه حديثه للشرقاوي قائلًا:

- "خـير يـا أحمـد. . جايبنـا عـلى مـلا وشـنا ليـه؟ وفـين يـزن صحيـح؟"

فأجاب أحمد وهو يدير مقود السّيارة:

- "يـزن بالـذات ميعرفـش إننـا متجمعـين النهـاردة. . محـدش يتكلـم عـن النهـاردة بتاتًـا"

- "أحيه. . خير. .؟"

فقال عبدالله:

- "أدينا مستنيين زيّنا زيّك. الصبر يا ميجو. . الصبر"

- "طب رايحين فين؟"

فأجاب الشّرقاوي:

- "على شقة كده من عماير بابا في التجمع. ."

فقال أمجد مذهولًا:

- "شـقة؟ شـقة إيـه؟ لاااااااااااااااااااا.. أنـا هدخـل عـلى أمـيرة بالحـلال يـا شرقـاوي. يـلا اركـن عـلى جنـب"

- "يااااااااا ربيييييييي. . حد يفهموا يا خوانا"

فقالت أميرة:

- "هــو بــس عايزنــا نتقابــل في مــكان خــاص عشــان يكلمنــا في موضــوع مهــم"

- "طــب ومالهــا الأماكــن العامــة؟ بقولــك إيــه يــا شرقــاوي وربنــا مــا مســتريحلك"

فأجابه الشّرقاوي قائلًا:

- "اصبر على رزقك"

وراح يســتكمل القيــادة باســمًا، وهــو يخــرج علبــة ســجائر ويعطيها لأمجــد الــذي أخذهــا بــسرور وقال:

- "أجنبي ده؟"

فضحك الشّرقاوي وقال:

- "أجنبي ده. ."

وإذا بأميرة توجّه حديثها لعبدالله قائلةً:

- "سامحنا يا سيدنا الشيخ"

فأدار عبدالله وجهه لها باسمًا ثم قال:

- "إنتــو ليــه فاكــرني متشــدد قــوي كــده؟ أنــا شــيخ كــول واللــه وإلا مكنتــش صاحبــت الشّرقــاوي ويــزن وأمجد. ."

فأجابته مستنكرة:

- "ماله أمجد؟ بتاع بنات؟ بزمتكو عملتوا إيه في شرم؟"

فأدار عبدالله وجهه لأمجد مجددًا وقال بمكر:

- "أأقول؟"

وفي لحظة اشتعلت أميرة غضبًا وقامت بلكم أمجد على كتفه قائلة:

- "والمصحف أنا ما كنت مرتاحة لخروجة شرم دي، انطق عملت إيه؟"

- "والمصحف ما عملت حاجة. . ما توحد الله يا عبدالله، وعدي الليلة دي على خير"

فأجابه عبدالله بضحكة ماكرة، وقال أحمد وهو ينظر لأميرة وأمجد من خلال المرآة:

- "انتو لازقين في بعض كده ليه؟ العربية دي طاهرة وهتفضل طول عمرها طاهرة"

أجابه أمجد قائلًا:

- "لا كده كتير. . انتو جايين تتسلّوا على دماغ أمي النهادرة، والمصحف مش مستريحلكو. ."

لكن الشّرقاوي لم يجب. . وقام بتشغيل nostalgia لياني. . ضاحكًا.

وأخيرًا، وصل الأصدقاء إلى المكان المنشود. وترجل جميعهم من السّيارة، في حين ترأسهم الشّرقاوي الذي ألقى السلام على حارس المبنى. أما أمجد فكانت الحيرة تأكل خلايا دماغه، حين اقترب من الحارس، فما الذي سيظنه الحارس عنهما هو وأميرة .؟ وما إنْ اقترب من الحارس حتّى قال وهو يشير لأميرة:

- "خطيبتي وربنا"

فأجابه الحارس باسمًا:

- "تنورونا يا بيه"

واستقل الأصدقاء المصعد الكهربائي، إلى أن وصلوا للطابق الخامس.

وكانت شقة أنيقة مفرطة الترتيب، غرفة معيشة كبيرة، وألوان عاجية، وأخرى بنكهة الشوكولا. . وأرضية تلمع إشراقًا. . أما الأثاث، فكان حلمًا آخر. .

كانت الأماني تتراقص على أنغام حسرة بداخل أميرة، أما أمجد، فشعر كم أن رجولته ضئيلة، كم أنه عاجز، كم أن أحلامه جميعها مبتورة الأمل.

وجلس قربها مطأطئ الحلم، وقال:

- "الشّقة فخيمة آخر حاجة. ."

فأجاب الشّرقاوي وهو يخرج لهم مشروبات غازية من البراد:

- "ذوقي. . إيه رأيكو؟"

فأجابت أميرة:

- "تحفة يخرب عقلك"

أما عبدالله فقال:

- "ربنا يزيدك يا شرقاوي"

فقال أمجد:

- "أهو الحقد اشتغل"

فألقى عبدالله وسادة الأريكة على أمجد الذي تلقّفها ضاحكًا.

انضم إليهم الشّرقاوي وقال:

- "منورين. ."

- "ده نور الشّقة بصراحة. ."

أجابه أمجد، فقال الشّرقاوي:

- "طيب هخش في الموضوع على طول"

لم يجبه أحد، كانت أعينهم تتوق إلى الحقيقة. فقال باسمًا:

- "مبدئيًا كده. . أنا بحب. . ومحتاج مساعدتكم في إني أتقدم للبنت اللي بحبها"

فرفع ثلاثتهم حاجبًا، وقالت أميرة ضاحكة:

- "معايا ربع جنيه في البنك وميجو خمسة وسبعين قرش وموبايلين سامسونج اتنين شريحة، وعبود معاه مصاحف وسبحة. . اؤمر. ."

فقال أمجد:

- "تتجوز؟ يا بني أنا أصدق إن فرعون اتقلب موسى ولا أصدق إنك تتجوز بجد. ."

أما عبدالله فقال:

- "استنوا بس يا جماعة. . الموضوع شكله بجد. ."

فقال الشّرقاوي:

- "أنا مش هعرف أعمل حاجة من غيركم، ولا ليّا حد استشيروا غيركم. ."

أجاب أمجد:

- "لـو الخـبر ده بجـد. . أنـك بتحـب بجـد ونـاوي تتجـوز. . هدبـح أرنـب وأفرقـوا في الحـارة. ."

- "بس يا ابني. . خلينا نسمعه. ."

كان ذلك عبدالله ينهره. .

تنهد الشّرقاوي، كان يسحب ما يكفيه من الهواء ليسرد حيرته:

- "أنـا عـارف إنكـم فاكريـن إني شـخص سيء. . وفاكريـن ليـه؟ أنـا فعـلًا شـخص سيء وعملـت كل حاجـة غلـط في الدنيـا، بـس بتغـير، وبتغـير علشـانها للأفضـل. البنـت دي قـدرت تغـيرني بطريقـة سـحرية. . أنـا بحبهـا بجنـون. . ونـاوي اتجوزهـا. . أنـا تبـت عـلى إيديهـا، زي مـا حييـت عـلى إيديهـا"

اعتنق الجميع الصمت، في انتظار اعترافاته:

- "طبعًـا أنـا مـن السـهل أتجـوز أي بنـت أنـا عايزاهـا. . وده طبعًـا في دماغكـوا. . لأني غنـي وبتـاع، بـس صدقـوني المـرادي الموضـوع مـش سـهل ولـو بفلـوس الدنيـا كلهـا. عشـان كـده أنـا جمعتكـو النهـارده"

- "إيه الصعب طيب. .؟"

سألته أميرة. .

فأجابها:

- "أخوهـا مسـتحيل يوافـق عليّـا. . أنـا عـارف ده مـن قبـل مـا اعترفلـه. ."

فقال عبدالله:

- "يا ابني اتوكل على الله، ومتبقاش رهينة الممكن. ."

وقال أمجد:

- "أنا رأيي من رأي عبدالله. هو يزن ليه مش معانا صحيح؟ الواد تفكيره جن وهيساعدك جدًا في الموضوع ده"

فوافقه عبدالله وأميرة قوله، فقال الشّرقاوي:

- "أنتو أغبيا فعلًا. . مع احترامي. . اشربوا. . اشربو الحاجة الساقعة"

قال أمجد:

- "أحيييييييييييه. ."

فقال الشّرقاوي:

- "Big" أحيه"

- "أنت بتتكلم بجد؟"

- "وعمري ما كنت جد زي النهاردة. ."

فقالت أميرة:

- "أنا مش فاهمة حاجة"

وقال عبدالله:

- "ولا أنا. ."

فنهض الشّرقاوي عن مقعده، وقال:

- "أنا ناوي اتجوز يسرا عامر. أخت يزن عامر. ."

وساد صمت المفاجئات. .

ثم بعدها قال أمجد:

- "والله مش عارف يا أحمد، يزن حبيبك وكل حاجة، بس تفتكر هيوافق إنك تتجوز أخته؟"

أجاب عبدالله:

- "مظنش. . الصاحب حاجة، وإنه يوافق إنه يتجوز أخته حاجة تانية خالص."

قالت أميرة:

- "ليه إن شاء الله. .؟ وماله الشّرقاوي. .؟"

التفت إليها الأخير باسمًا:

- "قلبك أبيض يا أميرة. . يا أميرة أنا كنت بروح عند الغلط وأقوله شبيك لبيك كياني بين إيديك. ويزن عارف كل حاجة عني. أكيد مش هيرضى لأخته بحد قذر زيي. ."

فقال عبدالله:

- "يا أخي عفا الله عما سلف، وبعدين مش هو عاملي فيها مُلحد ومُتحرر وبتاع، هيكون فيها إيه لو يسرا ارتبطت بواحد زيك. .؟"

كان تصريحًا قاسيًا جدًا. . فأدرك عبدالله قسوته، وقال سريعًا:

- "مش قصدي والله. . أنا آسف. ."

قال الشّرقاوي منكسرًا:

- "مفيش داعي للأسف والله. . عندك حق. . بس يا ترى هيعفو يزن عمّا سلف معايا؟ ويديني فرصة تانية؟؟"

قالت أميرة:

- "أيـوة. . وبعديـن بايـن مـن كلامـك إنـك فعـلًا بتحبهـا بجـد. . فحـارب علشـانها يـا أحمـد، ومتفرطـش فيهـا. . يـسرا بنـت جدعـة وتتحـب الصراحـة. . وأنتـو الإتنـين لايقـين عـلى بعـض"

عـاد الشّرقـاوي يجلـس بينهـم وعقلـه يسـافر في الدقيقـة ألـف سـنة. قـال:

- "مش عارف الصراحة، أنا تعبت. ومحدش هيساعدني زيكو."

فقال أمجد:

- "نسـاعدك ونقـف جمبـك ونظبطـك آخـر حاجـة، انـت بـس قـول يـارب. ."

أجاب الشّرقاوي وقد تسللت أطياف أمل لصوته:

- "يارب. ."

ثم نهض مجددًا بنشاط عن مقعده، وقال:

- "عجبتكو الشّقة؟"

قال أمجد:

- "ما قلنا تحفة. . هو إحنا اللي هنعيده نزيده؟"

- "دي هدية جوازكوا. . اعتبروها مني ومن يسرا. ."

فضحكت أميرة وأمجد في نفس واحد، أمجد الذي قال:

- "لا حلوة النكتة دي. ."

فأخــرج الشّرقــاوي مفاتيــح الشّــقة مــن جيبــه وألقاهــا سريعًــا لأمجــد وقــال:

- "مبروك عليكو. . بتمنالكو كل خير"

تلقف أمجد المفاتيح مذهولًا. . وقال:

- "إيه؟ أنت بتتكلم بجد؟"

أما أميرة فكانت عينيها ذاهلتين تطالعان الشّرقاوي بدهشة.

قال أمجد:

- "أنت بتقول إيه؟ مفيش حد بيدي حد شقق مجانًا. ."

فأجاب الشّرقاوي ضاحكًا:

- "هــي مــش مجانًــا عشــان رجولتــك متنقحــش عليــك، أنــا مــش عايــز مقــدم. . ادفعــلي أي مبلــغ أنــت عايــزه كل شــهر. . واعتبرهــا ليــك.. أمــا العفــش، فــده هديــة منــي ليــك ومــش هاخــد مليــم بجد.."

وإذا بأميرة تصرخ عاليًا من هول الدهشة:

- "آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه"

فأسكتها أمجد بيده وقد وضعها على فمها:

- "اسكتي يا ولية"

- "أنــا مــش مصدقــة نفــسي، ولــولا العيــب أنــا كنــت قمــت حضنتــك يــا شرقــاوي"

- "تحضنــي مــين يــا بنــت ســلطح ملطــح؟ ، هــو أنــا مــش مــالي عينــك ولا إيــه. . ؟ وأنــت يــا أخ. ."

ثم وجه حديثه للشرقاوي وقال:

- "الكلام ده حقيقي ولا بجد؟"

- "حقيقي وبجد"

أجابه الشّرقاوي ضاحكًا، ثم قال:

- "أنـا عايـز ربنـا يكرمنـي. . ربنـا يوفقـوا يـارب. . ويكرمكـوا بالذريــة الصالحــة"

فقال عبدالله ضاحكًا:

- "أنـت قلبـت شـيخ ولا إيـه يـا مشـخية. . ؟ بـس بصراحـة. . ربنـا يجزيـك كل خـير يـا أحمـد. . بجـد أنـت أذهلتنـي. . "

أمـا أمـيرة، فراحـت تبـكي فرحًـا، وتشـكر اللـه، أمـا أمجـد، فنهـض عـن مقعـده نحـو أحمـد، وابتسـم لـه ممتنًـا وقـام بحضنـه فرحًـا وهمـس في أذنـه:

- "ربنـا يسـترك زي مـا سـترتني أنـا وأمـيرة. . ربنـا يكـرم أصلـك يـا أحمـد. . "

فأجابه أحمد قائلًا:

- "آمين. . تستاهلوا كل خير. . "

ومن الحب ما يجعلنا قديسين، ومن الحب ما أحيا. .

* * * * *

٢٩

- "إيه يا نجمة مين اللي مزعلك بس؟"

كان ذلك محيي يخاطب فرح وهو يضع لها مستحضرات التجميل المناسبة لحلقة اليوم.

- "مفيش. . القهوة بتاعتي فين؟"

- "دقايق وتكون عندك يا جميل. . في إيه بس مالك؟"

- "ما قلنا مفيش حاجة يا محيي. . هتزعلني بالعافية. . مش زعلانة يا سيدي مش زعلانة!!"

والحق أنها كانت تشتعل من حيرة اسمها يزن، إذ لم يتصل بها مُنْذُ أن أرسل لها اللوحة، وحتَّى لم يكلف نفسه عناء إرسال رسالة واحدة، يسأل عنها أو يهاودها فيها. ولكنّه لو اتصل بها فعليًا لكانت ألقت عليه يمين الغضب والسخط، وأخرجته من عصمة رضاها.

وأما تلك اللوحة الكارثية، فظلّت مدفونة أسفل الخزانة تنتظر أن تشهد شمسًا وقمرًا، ولكن الظلمة كانت مأواها.

شعرتها تطاولًا على أنوثتها وكبريائها. ولكن غضبها كان جائعًا إليه، ذلك اليزن، من تجاوز الحدود بآلاف الأميال، وتركها مُعلّقة. . بين غضب وحيرة، بين غضب وآلافٍ من الأسئلة التي لم تجد لها إجابات شافية، وهي بدورها تكره أنصاف الأشياء، والحقائق.

انضـم إليهـما كريـم باسـمًا، وقـد وضـع قبلتيـه عـلى خديهـا القمريـين وقـال في حـين انـصراف محيـي:

- "عامل إيه يا جميل. .؟"

فأجابته باستنكار:

- "هـو أنـا عشـان سـمحتلك مـرة ولا اتنـين إنـك تسـلم عليّـا بالشـكل ده، فخـلاص كل مـرة لازم تعمـل كـده؟"

- "في إيـه يـا مـوز؟ بطـلي رجعيـة بقـى. . وفيهـا إيـه لمّـا أعمـل كـده؟ بعاملـك زي مـا الفرنسـيين بيعاملـوا بعـض. . أشـيك أنـواع السـلام، بـوس الخديـن ع السريـع"

فأجابته بتعال:

"Et qu'est ce que vous connaissez de la France et leur mode de vie?" -

فأجابها بعد لحظةٍ صمت أدرك على أثرها كم جاهل هو:

- "هاااااه؟!"

- "بقولك وأنت تعرف إيه عن فرنسا والعيشة فيها؟"

- "هو أنتي نسيتي سفريتنا آخر مرة مع بعض ولا إيه؟"

نعـم سـافرا معًـا ذات شـتاء، وهـرب هـو إلى أحضانهـن الفرنسـية، وفـرّت هـي لـذاك المقهـى أسـفل بـرج إيفـل. . لتتنعـم بالسـلام البارـيسي عـلى نخـب الشـوكولا الدافئـة.

- "لا منستش. . بأمارة إنك سبتني ورحت لبيوت الإحم إحم ."

- "بزمتك حد يروح فرنسا وميجربش الصنف الفرنسي؟؟"

فنهضت عن مقعدها وقالت له وهي تعيد تهذيب خصلات شعرها:

- "لأ إزاااااااي؟! . . ورق النهاردة فين؟"

فأجابها وهو يخاصرها:

- "أهو يا برنس. ."

- "كريم!!"

نهرته بغضب. . وأخذت الأوراق وانصرفت إلى الأستوديو. في حين اشتعال كريم، الذي راح يُسائل نفسه: أيزن هو السبب؟؟

هو لا يدري أنها مسألة رفض كلية لشخصه، لكنّه راح يعلّق خيبته الذكورية على كتف من ينافسه عشقًا. . يزن، وكأنّه السبب الوحيد في انشغال دقات قلبها. . عنه.

توجهت فرح إلى الأستوديو، في حين قابلتها أيتن بقهوتها، قالت فرح غاضبة:

- "أومال فين سي عم مؤمن من الصبح يجيبلي القهوة بتاعتي. ؟"

فقالت أيتن:

- "إيه ده هو إنتي معرفتيش؟؟"

- "لأ. . معرفتش إيه؟؟"

فتنهدت أيتن بضجر وقد أيقنت أن كريم بالفعل أوكل لها تلك المهمة. .

- "عم مؤمن. ."

ثم صمتت قليلًا وكأنّها تفكر بكذبة ما، فقالت:

- "عم مؤمن تعبان ومجاش النهاردة. ."

- "إيه ده بجد؟! غريبة. . أصلو لما بيتعب بيتصل بيّا يبلغني إنه مش جاي. . السكر علي عليه بردو؟؟"

- "إيه. . ؟! آه. . آه علي عليه. ."

أخذت القهوة منها، وسرقت رشفة. . وسرعان ما بصقتها مجددًا في الكوب:

- "يع بجد. . قهوة دي ولا إيه بالضبط، خليهم يجيبولي كركديه ولا ده صعب كمان؟؟"

- "البث كمان عشر دقايق. ."

- "أصبحنا وأصبح الملك لله. . . اليوم باين من أوله"

توجهت فرح إلى غرفة البث. . لتجد ما لم تتوقعه. تغيرت الغرفة كليًا، أصبح المكان بنكهة حلم على شاطئ كاريبي، وكأن جنّية قد حولت المكان بلمسة من عصاها السحرية، أو أنه جنّي قام بذلك قبل أن يرتد إليها طرفها.

وجدت كريم هناك جالسًا على أريكة لا تقل سحرًا عن المكان، وعلى وجهه ابتسامة ظفر:

- "إيه رأيك؟؟ مفاجأة مش كده؟ مكنتيش متوقعة إن ده يحصل بالسرعة دي"

كان يتحدث وكأنّه ينسب العمل إلى نفسه.

- "تحفة. ."

أجابته مذهولة، ثم قالت:

- "هو فين؟؟"

- "هو مين ده؟!"

- "يزن؟"

حينها امتقع وجهه، وتلوّن وشعر إنه مهدد من ذلك الذي أصبح ساذجًا بنظره، قال مستنكرًا:

- "وأنا إيش عرفني؟ هو إيه اللي هيجيبو هنا أساسًا؟ عمل شغله وخد فلوسه وانتهى. . هيجي هنا يعمل إيه؟"

أجابته بمكر:

- "مش ده صديقك الصدوق برضو؟ دلوقتي بقى وحش طالما مش في أمر يخص الإلحاد. ."

وراحت تضحك، وكانت تلك ضحكتها الصباحية الأولى، فأدركت كم هو جميل ذكره.

راحت تتجول بعينيها في أرجاء المكان، اختار الألوان بعناية، والتصاميم احترف تنفيذها. . كل ما في الجدران والأسقف والأرضية والأثاث كان مُعدًّا إعدادًا كاملًا لإبراز وجودها. . فرح. . كان ثمّة ما في المكان. . يدعوها للفرح بفرح. .

شعرت أنّ لها رئة ثالثة استبدلها المكان برئتيها الخاويتين من الحياة، كما الحب.

جلسـت عـلى الأريكـة المُخصصـة لهـا وشـعرت بنشـاط غـير مسـبوق، وضيفـة الحلقـة تـأتي لتجلـس أمامهـا، كانـت مُراهقـة في الرابعـة عـشرة تسـتطيع القيـام بـأي عمليـة حسـابية كانـت وخـلال لحظـات ودون اسـتخدام الآلـة الحاسـبة، وكانـت تعـاني مـن التوحّـد ولديهـا مـن الأحـلام مـا يكفـي لسـد جـوع قـارة.

كانـت تحادثهـا فـرح بشـغف، ولم تلتـزم بالأسـئلة الموجـودة في الورقـة التـي أعطاهـا إياهـا كريـم، مـمّا أغاظـه. وجـدت نفسـها تسـير عـلى صراط مسـتقيم آخـر، اسـمه الإبـداع. راحـت تتفنـن في إدارة الحـوار وإمـداد الضيفـة بالجـو المناسـب للحديـث براحـة وانسـيابية.

إلى أن لحظتـه. . يتسـلل خلـف الكامـيرا، والحـقُّ أن العتمـة تكـون هـي السـائدة خلـف الكامـيرا، ولكنـه عطـره. . سـاومها عطـره، وطالب بحـق إطاحتهـا. . فوقفـت عاجـزة، والقلـب يُبعـث مـن جديـد.

للحظـات اختـلّ اتزانهـا، واضطربـت أطرافهـا، لكنّهـا اسـتعادت عافيـة تركيزهـا وعـادت للحـوار بشراسـة، وكأنّهـا تثبـت لـه أنـه غـير مهـم. . وأنّهـا جـد ناجحـة في عملهـا.

وانتهت الحلقة. .

ونهضت فورًا تبحث عنه، وتسأل عطرَه. . عنه. .

كانـت الرائحـة نفـاذة وراحـت تستنشـقها وكأنـه الطعـام وقـت السَّـحر، وكأنّهـا تملأ أنفاسـها بـه، حتّـى تسـتطيع الصمـود حـين تصـوم عنهـا، ويختفـي أريجهـا.

ظلّـت تبحـث عنـه. . ولكـن بـلا جـدوى، اختفـى، مـرّ بها كالنّسـيم، ولم يـترك لهـا مجـالًا ليهـدأ فضولها. .

قــام بقلــب الموازيــن، وكان كشــهريار الــذي جعــل شــهرزاده تشـقى، جعلهـا ظمآنـة إليـه، ولم يروهـا كل الـري. . والأمكـر، اسـتغنى عــن حكاياهــا.

توجهـت إلى غرفتها غاضبـة، أرادت أن تشـعل الكثير من السـجائر ضريبــة لمــا حــدث. جلســت أمــام مرآتهــا وهــي تشــعل واحــدة. ووجــدت ورقــة مطويــة عــلى وردة حمــراء جافــة. . :

- "وحشتيني. ."

لم تفهـم مـاذا حـدث، أمسـكت الورقـة وضعتهـا عـلى مقربـة مـن أنفاسـها ليصيبهـا إثـم عطـره، فأيقنـت أن في عطـره نشـوة وانتشـاء ستُلعن بهـما دومًـا وأبـدًا. .

أمســكت الــوردة الجافــة، وراحــت تنظــر لوريقاتهــا الحمــراء الخريفيــة، لِــم بربــه قــد يهديهــا وردة جافــة لا روح فيهــا ســوى الوجــع؟

لِمَ لم يهدها إياها والحياة تنبض فيها؟

ولكـن بالرغـم مـن خلـو الحيـاة فيهـا، إلا أنّهـا بـدت جميلـة، ثمّـة أمـر سـاحر بـين وريقاتهـا. هـو يريـد أن يرسـل لهـا رسـالة مـن خلالهـا. . لكنّهـا لم تسـتطع أن تصل لأمرٍ معلـوم. .

فألقى بها في يم من الحيرة مجددًا.

أمســكت الورقــة والــوردة بامتنــان، ووضعتهــا داخــل مفكــرة أخرجتهــا مــن حقيبتهــا. . ثــم أعادتهــا إليهــا مجــددًا، وسرعــان مــا ارتســمت بســمة حــب عــلى شــفتيها. . بســمة حــب بطعــم الكــرز وحمــض الليمــون.

أمسكت هاتفها، واتصلت به:

- "هشوفك إمتى؟"

- "مش إنتي لسة شايفاني؟ ونفذتلك اللي انتي عايزاه؟"

- "إيه اللي أنا عايزاه إن شاء الله. . ؟"

- "مـش إنتـي في آخـر مـرة اتكلمنـا فيهـا، لما سـألتك هشـوفك إمتـى. . قلتيـلي في الأسـتوديو؟ حصـل ولا محصلـش إني شـفتك في الأسـتوديو؟"

- "نعم؟؟"

- "ردي ع السؤال. ."

- "حصل. ."

- "بس كده خلاص. ."

وإذا بها. . تضحك والحب عاليًا. . .

*****

٣٠

((شيء ما خلف عتمة الفرح يناديني. . . شيء ما))

كتبتهـا عـلى سـاحة الفيـس بـوك، لتصلهـا أول "لايـك" مـن الشّرقـاوي، تليهـا رسـالة سريعـة عـلى الخـاص:

- "أنا!!"

كيـف اسـتطاعت يـسرا أن تُحيـي بداخلـه ذلـك الطفـل الـبريء! يُقـال أن الحـب يجعلنـا أطفـالًا في حديقتـه الكبـيرة، وإذا بالأمـاني كلهـا تصبـح حلـوى، ودُمـى، وعرائـس محبوكـةً بالشـوق، عـلى مَـراسي الهـوى.

فأي مرسى هو مرساها. . تلك الجميلة؟

أسـندت ظهرهـا عـلى السريـر، وقـد فـرّ النـوم فـور ظهـور حبيبهـا، وتبسّـمت، وتدلّلـت وراحت تشاكسـه:

"صاحي يعني؟! حرام عليك السهر ده. . شغلك يا حبيبي"

"كل مـرّة بتقوليـلي يـا حبيبـي. . بتنفـض في مـكاني. . عملتـي فيـا إيـه؟"-

- "حبيتك"

مـرّت لحظـات، وإذا بـه يتصـل بهـا، نظـرت مذعـورة للسـاعة إذ أنهـا لا تفضـل مهاتفتـه لهـا متأخـرًا، لكـن الشـوق غلبهـا فأجابـت:

- "يا مجنون"

"مجنـون بيـكي يـا يـسرا. . أنـا صليـت النهـاردة، ودعيـت وأنـا سـاجد، إن ربنـا يكرمنـي بيـكي"-

- "ربنـا يجمعنـا مـع بعـض عـلى خـير، مـا تتخيلـش سـعادتي لمـا بتقـولي إنـك صليـت. . عقبـال مـا أشـوف أخويـا بيسـجد مـن تـاني أصلـه سـايب الصـلاة ليـه فـترة. ."

- "ربنا يهديه"

تنهدت قائلة:

- "يارب"

وإذا بالبـاب يفتـح عـلى مصراعيـه، فانتفضـت يـسرا، لتجـد أمهـا أمامهـا تسـتعد عـلى مـا يبـدو لصـلاة الفجـر.

- "وبعدين؟؟!"

قالتها أمها بضجر. . وأردفت قائلة:

- "أحمد برضو؟"

فابتسمت يسرا بخجل وأومأت برأسها أن نعم. .

فاقتربت منها وأخذت منها الهاتف ووضعته على أذنيها:

- "يـا ابنـي أبـوس إيـدك اتكلمـوا آه بـس مـش متأخـر كـده. أخوهـا لـو قفشـها هيطينهـا علينـا كلنـا. اهـدوا بـس اليومـين دول لحـد مـا نلاقـي طريقـة نفاتحـوا بيهـا بالموضـوع"

فأجاب الشّرقاوي:

- "حماتي"

وإذا بأم يسرا تضحك عاليًا وتقول:

- "خلاص بقيت حماتك، ياد اختشي!!"

" اختشيت"-

ثم صمتَ قليلًا وقال:

- "يا حماتي"

كانـت يـسرا تنظـر لأمهـا باسـمة، وقـد شـعرت بـرضى عـلى وجههـا، وقـد آثـرت الصغـيرة أن تُخـبر أمهـا بـكل شيء أولًا بـأول، فلقـد ربتهـا

أمّهـا عـلى ألّا تكـون خائنـة، وأن تكـون للعهـد حافظـة، وللوعـد مُراعيـةً.

واكتفـت بـأن تختبـئ خلـف سـتار الوقـت والحـب قليـلًا، إلى أن يـأذن شـفيع الحـب. . للأقـدار أن تتحقـق، فيعانـق حبهـما الشـمس والقمـر.

تمنـت الأم ليلـة هنيئـة لهـما، وصلّـت الفجـر هـي وإياهـا ونامـت وهـي تـدري أن يـسرا هـي ابنـة رجـال بحـق.

وقبـل أن تتوجـه يـسرا لغرفتهـا لتنـام هـي الأخـرى، وجـدت نـور غرفـة أخيهـا قيـد الإضـاءة. . طرقـت البـاب. . فلـم يجبهـا أحـد، ثـم بعينيهـا راحـت تنظـر إليـه مـن فتحـة البـاب الصغـيرة لتجـده مسـتيقظًا، لكنـه لم يسـمعها فقامـت بفتـح الباب حـين تنبّـه لوجودها:

- "سهران يعني؟"

فأجابها باسمًا:

- "تعالي"

فجلست على مقربة منه وقالت:

- "كنت بصلي الفجر"

رفع ناظره إليها:

-"آه. . طيّب!"

"وأنت؟! مش هتقوم تصلي انت كمان؟"

- "عاملة إيه في مذاكرتك؟"

صمتت للحظات، ثم أجابت بحرج:

- "بخير الحمدلله"

حين لفظت "الحمدلله"، كان هنالك تشديدًا على حروف الكلمة، وكأنّها تؤكد له أن الحمد والأمر كله لله. لكنه لم يعر ذلك اهتمامًا.

وإذا بها تقول فجأة:

"أنا لو ألحدت. . هتزعل"

استطاعت بسؤالها أن تأخذه من نفسه، لكنه بدا وكأنّه لم يهتز له طرف وكأنّه لا يَأبه ولا يكترث قال:

- "الموضوع مش بالسهولة دي. . بس إنتي عارفة إني مش بعارض الحريات، اللي إنتي شايفاه صح أعمليه. . أنا وصلت للي أنا وصلتله بعد دراسات وتعمق كبير قوي في الحياة، وبكره أي عيل من عيال اليومين دول يجي ويقولك إنه مُلحد، وهو أصلًا مش فاهم حاجة أساسًا. .

"وأنت إيه اللي فاهمه؟ أنت أخويا حبيبي. . وعايزاك تنورني. أنا عايزة ألحد"

كانت تنظر إليه بتحدٍّ يشوبه الخوف، لكنّها كانت عنيدة جدًا، وتلك صفة مشتركة بينهما. كان قلبها الصغير الأنيق يرتجف بين ضلوعها، وهي تتفوه بالجنون المُطلق، جنون مسّه الخوف كذلك. قالت:

"إيه رأيك في الجنس قبل الجواز؟"

كان يزن ينظر إليها بذات الثبات المسبق، لكن القلق رُبما، راح يحوم حوله. . ربما. قال:

- "شيء جميـل. . بـس لـو كان حـب مـن أجـل الحـب. . يعنـي أنـا مثـلا، ضـد الدعـارة، شـايف إن فيهـا إهانـة لجنـس المـرأة، أنـا مـع تكريـم المـرأة قلبًـا وقالبًـا ومـش شـايف. . . . . ."

فقاطعته يسرا قائلة:

- "يعنـي ترضـالي لـو حبيـت. . أنـام مـع حبيبـي مـن دون جـواز باسـم الحـب مـن أجـل الحـب؟؟"

وإذا بحـرب صامتـة تـدور بـين عينيهـما، والطلقـات بـصر ثاقـب، وبصـيرة مُتزعزعـة

قال:

- "معنديـش مانـع، بـس ده ضـد الـلي اتربيتـي عليـه، إحنـا لسـة في مجتمـع شرقـي متخلـف، موصلنـاش للرقـي المطلـوب الـلي يكفـل جميـع الحريـات، الحُـر حُـر، مـا لم يـضر، زي مـا بيقولـوا"

أجابت بتحدٍّ:

- "يعنـي أنـزل نـاو مـن بيتنـا وأختـار أي حـد مـن الشـارع أنـام معـاه كـده عـادي وأنـت معندكـش مانـع؟"

- "إنتـي قلتـي لـو حبيتـي هتعمـلي كـده. . إنمـا الـلي بتقـولي عليـه ده نـاو. . اسـمه دعـارة زي مـا قلتلـك. . وأنـا ضدهـا تمامًـا."

- "طيـب يـا سـيدي يعنـي لمـا أحـب أنـام معـاه قبـل الجـواز عـادي؟"

وإذا بطيـف أحمـد يمـر بفؤادهـا فأصابهـا الدّمـع، وراحـت تبـكي وقـد خافـت عصيـان اللـه ولـو لفظًـا أو خيـالا. . وأردفـت قائلـةً:

"أنت مين؟!"

تنهد مطوّلًا، وقال باسمًا:

أنـا يـزن. . يـزن عامـر. . خُـشّي نامـي يـا يـسرا. . واقفـلي البـاب وراكي""

- "رُد على سؤالي، عادي عندك!!"

فقال من حيث لا تحتسب:

- "آه. . عـادي، بـس لما اتأكـد إنـه يسـتحقك. . بـس هنكـون قـدام معضلـة تانيـة: الـلي اتربيتـي عليـه، والمجتمـع. . ومامـا. . محـدش هيفهـم لسـه، إحنـا محتاجـين ألـف سـنة عشـان ننهـض"

خرجـت يـسرا تجـر خيبتهـا، وقـد شـعرت بفشـلها إذ لم تسـتطع اسـتفزازه كـما يجـب. وخلـدت إلى النـوم باكيـة، فآواهـا مخدعهـا والوسـادة.

في حـين اسـتلقى يـزن عـلى سريـره وهـو يشـعل سـيجارة، لم يـدع حديثـه مـع يـسرا يشـغل تفكـيره، هـو يـدري أن أختـه ليسـت بمتهورة، أو لهـا فكـر أرعـن. هـي مراهقـة كغيرهـا مـن المراهقـات العنيـدات الـلاتي يحاولـن احتـواء الأخ الأكـبر بقلـب هـو أكـبر منـه نبضًـا وشـأنًا. لم يعـترف بذلـك تلـك الليلـة، بـل كفـر بـه"

وراح يتقلـب عـلى السريـر يمنـةً ويـسرى، وقـد أنهـى السـيجارة، ثـم ينظـر للسـقف. . ثـم إلى تفاصيـل الغرفـة. . ثـم إلى الـلاشيء. .

فأخرج هاتفه يتحقق من برنامج الواتس آب. .

كان آخر ظهور لفرح مُنْذُ ساعتين على البرنامج، فأدرك أنّها نائمة، ثم قام بالدخول على صورتها الشخصية الجديدة، تأملها قليلًا وابتسم، ثم قام بحفظها في هاتفه.

لا يزال يذكر حرصها في رسالتها الأخيرة على ألّا يقوم بالحديث عن اللوحة التي رسمها لها مطلقًا، لأنها قامت بحرقها، أو هكذا تقول. لكنه على يقين بأنّها لم تحرقها ولن تحرقها.

أغلق عينيه، وراح يستحضر روحها وقلبها وجسدها. . . ولحظات وسمع صوت عويل من الخارج صادر عن أمه، نهض فزعًا إليها وقد اعتراه الخوف والقلق، توجه إلى الصالون سريعًا. ليجد أمه تمسك بشعر يسرا وتجرّه إلى الأسفل وهي تحاول أن تستر عريها.

وجد باب الشّقة مفتوحًا وأمه تصرخ قائلة:

- "عملتيها يا فاجرة؟ مين الكلب اللي جرى ده؟ جبتي راسي وشرفي وشرف أخوكي وأبوكي في الطين. . عملتي كده ليه؟ عملتي كده ليه؟"

لم يكن ليسرا أي رد فعل، إلا حينما لحظت أخاها يقف ذاهلًا لا يقدر على الكلام، فقالت:

"اللي جري من شوية ده، أهو واقف قدامك. . اسأليه"

وإذا بيزن يجد نفسه عاريًا تمامًا مثلها، ولا يقدر أن يواري سوءةً، وإذا بفمه مُغلق بإحكام بخيوط متينة فلم يقدر على الكلام والصراخ.

ويسرا. . راحت تضحك عاليًا، وتنظر لسوءته، في حين تجمّدت الأم مكانها وكأنّه توقف بها الزمن، وظلت واقفة بينهما. . بلا حِراك، تحدق بالسراب ولا تحدق بسواه.

انتفض يزن، وظلّت عيناه تدوران في أرجاء الغرفة وكأنّه مسكونٌ بجني خبيث، إلى أن اطمأنت نفسه، إنه مجرد. . كابوس آخر. .

* * * * *

٣١

جلست قُرب نافذة القطار وقربها أختها الصغرى شمس. وأمامها جلست والدتها بعد أن صفّت الحقائب في الخانة المخصصة لها أعلى المقاعد. ثم وضعت حقيبة أسفلها، بها أرغفة الفول والطعمية والبيض، وبعض المخللات، والعصائر الطازجة لكي يتناولوا الإفطار سوية.

اعتنقت الأم الصمت حين علمت بزواج زوجها، وقد أخرسها "الولد" الذي أنجبته الأخرى، حتَّى آمنت أنها أنجبت إثمين، ليلى وشمس.

أخرجت ليلى هاتفها وقد صاح القطار: أنْ رحيل. وأرسلت لمحمد رسالة نصية تخبره فيها أنّ القطار قد تحرك وأنهم في طريقهم إليه.

ثـم أعـادت الهاتـف إلى حقيبتهـا وقـد نظـرت إلى علبـة الهديـة التـي جلبتهـا لـه بداخلهـا، وتبسّـم قلبهـا شـوقًا. وأغلقـت الحقيبـة.

ثـم نظـرت لأمهـا التـي بـدأ شرودهـا مـع النافـذة. ونهضـت لتجلـس إلى جوارهـا:

- "أمي. ."

لكـن أمهـا لم تجـب. . فمـع الـشرود يبـدأ غيابنـا، فيصبـح الجسـد خـاوي الـروح، أو هـو روح بـلا جسـد، معادلـة واحـدة العقـل خارجها.

- "أمي. ."

كررتها مجدداً حين التفتت إليها الأم أخيرًا. فقالت:

- "عايزة إيه؟"

- "هو انتي غضبانة من أبويا؟"

- "إيه الكلام الأهبل ده؟ ليه بتقولي كده؟"

فقالت ليلى:

- "معـاد سـفرنا مكنـش النهـاردة، كان كـمان أسـبوع. وإنتـي خلتيــه النهــاردة"

- "طب وفيها إيه؟ قدّمت السفر عادي"

- "يامّـه إنتـي عرفتـي خـبر جـوازه مـن هنـا وقدّمتـي السـفر مـن هنـا. قلبـك مطاوعكيـش إنـك تروحـي لبيـت أهلـك؟ وتغضبـي صـح؟"

- "أغضـب إيـه يالـلي مبتختشـيش؟ روحـي اقعـدي مكانك أحسـن لـك دلوقتي"

ليـلى تفهـم الـكلام عـلى شـفاه أمّهـا دون أن تنبـس بـه، لديهـا مقـدرة عـلى قـراءة الوجـع والخـوف، ولكنهـا تُفضّـل أن تتراجـع حـين يتطلـب الموقـف حنانهـا، فأمهـا دومًـا مـا تصدهـا. وعـادت لمقعدهـا، حـين أرسـل لهـا محمـد:

- "طيّب"

"طيّـب" لا تـأتي عـن طيـب خاطـر، جافـة، قاسـية، لا تُسـمن ولا تُغنـي مـن حُـب. لكـن ليـلى راضيـة وصابـرة واكتفـت بهـا وقلبهـا يتأرجـح فرحًـا.

هـو بـلا شـك يـوم عيـد لهـا، يـوم لقيـاه، حبيبهـا الـذي تلقـاه كل ثلاثـة أو أربـع أشـهر، أحيانًـا تسـافر لـه وعائلتهـا، وأحيانًـا يفعـل هـو وعائلتـه ويسـافرون لهـم.

ارتـدت لـه فسـتانًا أزرق فضفـاض، وأعـلاه سُـترة طويلـة تسـتر مـن جسـدها مـا تسـتر، وحجـاب طويـل يغطـي ظهرهـا و"صدرهـا" كـما يحـب. وتعطّـرت بالمسـك، وتكحّلت. .

"البيضاء إذا تكحَّلت جاورت القمر

والسمراء إذا تكحَّلت أخفت وجوده

ومن لم يعشق السمر. .

ما زال عن جمال الدنيا لا يرى"

وها هي السمراء في طريقها إليه، محبوبها. .

فأسـندت رأسـها عـلى نافـذة القطـار، وفـرّت إلى مخبأهـا الدفـين، ذلـك الـذي لا يـدري عنـه أحـد، أو يـدرون، لكنهـم لـن يتنبـؤوا أبـدًا

بما فيه، ظنًا منهم أنّ سياجهم الشائِكة حوله. فرّت إلى خيالها، تحيك فيه الحكايا، حكايا لقائها القريب به.

سيراها، وسيبتسم بحزم، ويلحظ كم الأزرق جميل عليها وهو يغطيها، وسيقول كذلك بحزم:

- "أهلًا يا ليلى. . اتفضلي. ."

ثم سينظر إليها ويقول:

- "حلو اللي لابساه، منطّق لون عنيكي العسلي، ومبين جمالك. . زي القمر يا ليلى"

لكنّها لم تشعر بالرضا وهي تتخيل ما سيقوله، فمحمد بطبعه لا يقول عن الجميل جميل، فقامت بإعادة السيناريو قليلًا إلى الوراء. .

"كلاكيت ثاني مرة"

فرّت إلى خيالها، تحيك فيه الحكايا، حكايا لقائها القريب به.

سيراها، وسيبتسم بحزم، ويلحظ كم الأزرق جميل عليها وهو يغطيها، وسيقول كذلك بحزم:

- "أهلًا يا ليلى"

وسيمد يده يصافحه، فتعانق يداه يداها. وسيقول:

- "اتفضلي. . حلو اللي لابساه ده. ."

هنا، تبسمت ليلى وكأنّها شعرت برضى عمّا سوّلت إليها أفكارها.

ستجلس أمامه في حين انشغال أمّها وشمس مع أهل بيته. و سيملأها خجل الصبايا والعاشقات.

- "عاملة إيه؟"

- "بخير يا ابن العم. . وأنت؟"

- "بخير. . نورتي القاهرة"

- "ده نوركوا والله. . أخبار شغلك إيه؟"

- "كله تمام ((حبيبي))"

لا. . لا. . تبدو كلمة "حبيبي" غير مُقنعة هنا، فمحمد لن يتفوه بها مطلقًا. .

- "كله تمام يا ليلى. ."

نعم، هكذا تبدو أفضل.

فتقول له:

- "جبتلك هدية بسيطة كده. ."

- "بجد؟! طب وتعبتي نفسك ليه؟"

- "لا تعب ولا حاجة. ."

ثم باسمة تخرجها له من حقيبتها وتنهض عن مقعدها وتمدها له، حين يمد يده لها هو الآخر فتتعانق أطراف الأنامل كعالمين من الجليد والنار. .

سيأخذها منها بنصف ابتسامة، وسيقول:

- "تسلم إيدك يا لولو. ."

لولو؟؟!

لا. . لا نظن. .

- "تسلم إيدك يا ليلى. ."

هكذا أعقل. .

ستعود لمقعدها وهي تتمنى لو لديها عين سحرية تراه بها حين تُدير ظهرها للحظات عنه، أو أنّ لديها عُنق كعنق البوم، تدور دوران ٣٦٠ درجة في ثانية.

جلست أخيرًا وكانت عيناها تلحقان حركات جسمه ووجهه. قام بقطع الغلاف برقة وفتح العلبة لتعلو وجهه ابتسامة كاملة، ويقول:

- "ربنا يخليكي ليا يا ليلى، جميلة قوي. . ربنا يخليكي ليا."

لم يستطع خيالها أن يحذف الجملة الأخيرة، وتركها كما قيلت وكأنّها تؤكد حقيقة: استحق منه كلمة طيبة تأخذني لسماءٍ ثامنة. . استحق أنْ أسعد وأحيا من كلمة أو كلمتين تنطقها شفاهه التي أحب بصوته الذي أعشق.

ولكن حينها كان عليها أن تعود للواقع قليلًا حين أدخلت على خيالها انضمام أهليهما إليهما، واكتفت بتلك الدقائق من الجنة. سيتناولون الطعام سوية، وستسرق النظر كما شاءت، وراحت تسأل نفسها: هل سيسترق النظر كما أفعل؟ هل سيبعثرني بعينيه. . رُبما سيفعل. . أبدو جميلة اليوم.

ثم بحركة سريعة، أخرجت مرآتها لتتحقق من هيئتها، فأخبرتها مرآتها أنها جميلة ذاك الصباح وألّا يصيبها قلق العاشقين.

ثـم عـادت سريعًـا تسـتكمل الحكايـا باسـمة، وقامـت بتقديـم السـيناريو قليـلًا إلى الأمـام حيـث تتحـادث العائلتـان ويتضاحكـون ويتسـامرون وقامـت بحذفـه حتَّـى تصـل إلى ذلـك المشـهد حـين تجلـس في الشُّرفـة تحتسي الشـاي بمفردهـا، فيطـل الحبيـب يؤانسـها.

أكيـد سـيفعل ذلـك، فهـما لا يـزالان يدرسـان بعضهـما البعـض. . حتَّـى لـو كانـت الدراسـة بالنسـبة لهـا "عشـقًا" أكـثر منهـا دراسـة. غريـب كيـف حبهـا لـه يزيـد دون وقـود عشـقيّ. هـو هكـذا، خُلـق ليكـبر بداخلهـا، بـلا أسـباب واضحـة كانـت، حـب فطـري، كـذاك الأمومـي. .

- "هتقعدوا عندنا أد إيه؟"

- "أسبوع. ."

- "مش قليل؟"

- "معلش يادوب أخدت أجازة من الشغل"

- "وأخبار المدرسة والبنات إيه؟ حد بيضايقك؟"

هنـا ابتسـمت ليـلى في كلا خيالهـا وواقعهـا معًـا. هـل يَغـار ويخـاف عليهـا حقًـا؟ . . ولكـن ليـس لديهـا وقـت للأسـئلة الآن. .

- "المدرسـة تمام التـمام والبنـات كويسـين، مطلّعـين عينـي آه بـس ولاد حـلال. ولأ مفيـش حـد بيضايقنـي"

- "بأمانة. .!!"

هنا ستبتسم له وتقول:

- "بأمانة. ."

- "بت!!!"

ولسخرية القدر، كانت تلك أمّها، أمها على الواقع تناديها:

- "بتضحكي زي الهبلة ومتنحة كده ليه؟ ما تضحكيني معاكي"

- "هـاه. . ؟ لا يـا أمـي. . مفيـش. . افتكـرت حاجـة كـده مـن المدرســة. . "

- "طب يلا. . يلا يا ختي كلي"

وأمدتها برغيف فول وطعمية. . ثمار خيالها المُلتهب.

*****

٣٢

- "هنركب تاكسي. . "

ثم قام بإصدار صافرة عالية: "تاكس!!"

- "إيه؟ ومن إمتى بتركب تكوسة يا أمجد؟"

سـألته أمـيرة مذهولـة وهـي تُـدرك أن حبيبهـا كافـر بسـيارات الأجـرة، ودومًـا مـا يسـتقل الباصـات مـا ظهـر منهـا ومـا بطـن.

- "اترِكني انتي بس كده على جمب ومتبوظيش المفاجأة"

ثم اقترب من نافذة السائق وقال له بصوت منخفض:

- "سلينترو الدقي يا اسطى بس والنبي ما تجيب سيرة وإحنا راكبين عشان عامل مفاجأة لمراتي المستكبلية، يرضيك تبوظ المستكبلية؟"

فأجابه السائق ضاحكًا حتَّى ظهر صف أسنانه العلوي والسُّفلي كله:

- "لأ إزاي؟ وفين سلنترو دي بالضبط في الدقي؟"

- "أششش أششششش الله يكرمك، بصوت واطي الله لا يسيئك. . عارف ماكنولندز؟ المطعم الأمريكاني ده؟"

- "قصدك ماكدونلدز"

- "الله ينور. . هو جمبيه على طول. والنبي ما تفضحني ربنا يسترك"

فعاد السَّائق لضحكاته وقال:

- "اركب يا وحش. ."

فاستقل أمجد وأميرة سيارة الأجرة وقال لها وهو يخرج ربطة عُنق مُهترئة من جيبه:

- "يلا غطي عينيكي. ."

وإذا بأميرة تجيب بدهشة مستنكرة:

- "نعم؟!!"

فأجابها وهو يغطي عينيها بربطة العنق وبعنف:

- "يلا بقا. "

- "أوعى تكون هتشممني حاجة أصفرا"

وإذا بالسائق يضحك عاليًا من قولها وقال:

- "حاجة أصفرا إيه يا مازمازيل؟ ده عايز يفاجئك وربنا"

- "والنبـي قولهـا يـا اسـطى. . أنـا مـرارتي اتفقعـت لمـرارات صغـيرة وبقتــش نافع"

فقالت:

- "رايحين على فين؟"

- "أكيـد مـش المقابـر. اسـكتي بقـا يـا أمـيرة. . قوليـلي بقـا، أخبـار شـغلك إيـه؟"

- "آه الـلي جبتنــي منــه عــلى مــلا وشي؟ تمــام يــا ميجــو. مــش عارفــة اتنفــس!!"

- "أنا مش مغمي إلا عنيكي، مش جاي جمب مراخيرك"

- "برضو مش عارفة اتنفس!"

- "عنيكي مأثرة على مراخيرك؟"

- "آه. ."

- "الصبر من عندك يارب. ."

وإذا بالسائق يضحك مجددًا ويقول:

- "أحــلى فــترة مــا بــين أي اتنــين، فــترة الخطوبــة، يــاااااااه عــلى دي أيــام. . ربنــا يرزقــوا بالذريــة الصالحــة"

وإذا بأمجد يقول:

- "أنـت نطيـت مـن فـترة الخطوبـة للذريـة الصالحـة ليـه؟ بتقفلنـي ليـه؟ أخوهـا الصغير كرهنـي في الخِلفـة. سـوق. . سـوق يـا سـطى سـوق. ."

فأجابه السائق:

- "سوق على مهلك سوووووووووق. . خلي الدنيا تروق تارارا"

فنظـر إليـه أمجـد باشـمئزاز عـن طريـق نافـذة السـائق وقـال هامسًـا لأمـيرة:

- "عايز أقوله كلمة عيب بس محترم وجودِك"

مضـت سـاعة إلّا ربـع ووصـلا أخـيرًا إلى المـكان المنشـود، وخرجـا مـن السّـيارة فقـال أمجـد لهـا:

- "إياك تشيلي الغطا. ."

- "مش هشيله. . الأجرة كم؟"

نظر أمجد إلى عداد الأجرة وقال لها ضاحكًا:

- "٣٢ جنيه الله يحرقك"

- "بقا كده؟؟؟!! هو أنا اللي قلتلك نركب تاكسي؟"

- "فداكي فلوس الدنيا كلها. ."

ثم صمت قليلًا. . وقال بعد تنهيدة تشي بخطاب مهم:

- "بـصي بقـا يـا مـيرو، أنـا جبتـك هنـا مـن دون تفكـير قـوي يعنـي، هـي فكـرة خطـرت في بـالي ونفذتهـا كـده عـلى طـول. ممكـن تعتبريهـا بدايـة جديـدة نكـسر بيهـا أي حاجـز. افتحـي عنيـكي"

فأزالـت أمـيرة الغطـاء عـن عينيهـا لتتسـعا فجـأة وهــي غــير مســتوعبة لمـا يجـري، وقالــت:

- "جايبني هنا ليه؟ أنت اتهبلت في عقلك؟"

- "عمـري مـا هنسى لمـا قلتيـلي سـاعة مـا كنتـي في المستشـفى إنـك ياريتـك مـا جيتـي هنـا سـاعة الجمعيـة. وإنـك حملتـي نفسـك مسـؤولية الـلي حصـل. بـس برضـو لـو مكنتـش الفلـوس اتسرقـت، مكنـش ربنـا عوضنـا بمسـاعدة الشّرقـاوي لينـا. , يعنـي ربنـا عـوّض صبرنـا خـير!!"

فترقرق الدمع في عينيها وقالت:

- "نفسي أحضنك قوي"

- "احضنيني أبوس إيدك"

- "لما نتجوز يا واطي"

- "ولأن الحلال أجمل. . سأنتظر"

ثم قادها إلى سلنترو وهو يقول:

- "نفسي هافة على شست كيك"

- "شست؟ اسمها تشيز كيك يا روحي. ."

- "تصدقـي صح. . شسـت دي الـلي هي عنـد الشّرقـاوي وبيروحلها الجيـم ابـن المحظوظـة. الـواد ده لمـا بقـف جمبه بحـس إني فرخة"

ودخلا إلى سلنترو سوية.

كانــت أمـيرة مذهولـة وحبيبهـا يقــوم باصطحابهـا إلى ســلنترو لأول مـرة، فمـن عادتـه اصطحابهـا إلى قلعـة صـلاح الديـن أو يسـيران

سـوية عـلى الكورنيـش أو حديقـة الأزهـر وذلـك لأنـه عاشـق متواضـع الأحـلام، ولكـن هـذه المـرة بـدا حلمـه شـاهقًا لدرجـة اضطـراب محبوبتـه.

جلسـا قـرب بعضهـما البعـض، كانـت أمـيرة سـعيدة للغايـة إلى جـواره.

عانق يديها بيديه، قبل أن ينتفض ويقول فجأة:

- "ينفع كده؟ كنت هنسى الدكتورة"

ثـم نهـض وسـار باتجـاه النـادِل الـذي اسـتقبله بابتسـامة وكأنّـه يعرفـه مُسـبقًا، وانسـحب سريعًـا، ثـم عـاد إليـه بحقيبـة كرتونيـة أنيقـة حمـراء فاقـع لونهـا.

- "خدي يا حبيبي. . كل سنة وإنتي معايا"

فابتسمت أميرة له بدلال وقالت:

- "ولـو إننـا كنـا متفقـين إننـا هنحتفـل آخـر اليـوم بـس إنـت الـلي صممـت. . كل سـنة وإنـت حبيبـي يـا حبيبـي"

ثـم أمسـكت حقيبتهـا وأخرجـت علبـة مربعـة ووضعتهـا أمامـه، وقالـت:

- "هشوف هديتي من بعد ما تشوف هديتك"

- "لا والله ما يحصل. . من بعدك يا دكتورة"

- "إيه حكاية دكتورة معاك النهاردة؟"

سـألته وهـي تنظـر في داخـل الكيـس، وإذا بعينيهـا تتسـعان مـن هـول المفاجـأة:

- "إيه اللي إنت جايبه ده. . هي حصلت؟"

- "بزمتك مش تحفة؟"

- "ده إيه ده أساسًا؟"

- "ده بقا اللي هتلبسيه ليلة الدخلة. . قميص إنما إيه، أبيض مع خطوط حمراء، وطاقية دكاترة. . لا وإيه. . وسماعات دكاترة كمان. الطقم جامد جدًا وهياكل من أبوكي حتة"

- "استحالة البس الكلام ده. ."

- "كلام إيه بس ده أنا شفت بلاوي، دخلتلك المحل لقيتلك صاحبته جايالي ووشها ده فيه خبرة ربانية كده. ف الأول اتكسفت بعد كده لقيتها بتشدني من إيدي اتفرج، لقيتلك دكاترة، وبوليس، وقطط، وعساكر، وأساتذة، وخدامين كمان. ده أنا شفت العجب. آه والله"

كان وجه أميرة يكاد ينفجر من الغيظ حين قالت:

- "وتشدك من إيدك ليه ست الحسن؟ وأنت سايبلها نفسك كده عادي؟"

- "بتغير عليّا يا صبحي؟"

- "أنا مبهزرش. . افتح هديتك"

فأجابها بضحكة طويلة وهو يقوم بفتح الهدية حين وجدها عطرًا أنيقًا، فراح يشمّه ويضع منه على إبطه مباشرة وهو يقول:

- "هاااح. . ريحتو حلوة قوي وباين عليه أصلي. . يا أصلي إنت. . ولا حد يملى عيني غيرك"

فتبسمت أميرة من قوله، وقالت:

- "متثبتنيش"

حينها انضم إليهما النادِل واضعًا أمامهم قائمة المأكولات والمشروبات. لكن أمجد لم يفتحها وقال سريعًا حتَّى لا يتراجع:

- "اتنين تشيز كيك بالفراولة وأي عصير فريش"

أومأ النادِل برأسه باسمًا لهما وانصرف. فعاد أمجد يعانق يدها بحب. وقال:

- "متتخيليش بحب أمك قد إيه"

وراح يحرك قدميه باتجاه معاكس كطفل عاشق في الخامسة. ثم قال:

- "ألّا سلنترو يعني إيه؟"

صمتت أميرة قليلًا ثم قالت:

- "تصدق معرفش؟"

- "طب استني كده أشوف في الكاموس اللي نزلته ع الموبايل عشان أواكب العصر"

فغمزت أميرة له بعينيها وهي تقول:

- "أيوة بقا . مين قدك. .؟"

فابتسم وقال:

- "اشتهجيهالي عشان اكتبها"

- "C I L A N T R O"

لحظات وإذا به يقول:

- "أحجح. . يييييه"

- "معناها إيه؟"

- "معناها كزبرة يا ختي. ."

- "لا بجد معناها إيه؟"

- "كزبرة ورحمة النعمة. . بقا أنا أقعد في مكان اسمه كزبرة؟ مالها قهاوي محمد نجيب ووسط البلد؟"

وإذا بأميرة تقهقه عاليًا في حين انضمام النادِل إليهما بما طلب أمجد.

وراح العاشقان يتحدثان عن الحياة، وعن اقتراب موعد زفافهما، وعن عمر وأميمة، أسامي أطفالهما حين يأذن الله. شعرا معًا برفق الحياة بهما قليلًا، شعرا بنسيم الفرج من روح الإله. كان يومًا جميلًا بين اثنين أقام الحب بينهما رِحالَهُ.

وصل النادِل إليهما بالفاتورة، أخذها منه أمجد وانتظر انصرافه وقام بفتح المجلد:

- "١٦٣ جنيه. . أحيه أحيه أحيه"

- "بتحب تذلني ليه؟ أدفع أنا؟"

- "اتكتمي يا ولية. شايفاني فرخة؟"

- "حاشا وباشا."

- "كملي تشيز كيكك. ."

- "شبعت"

- "هاتي أكمله أنا"

ثم قام بالتهام التشيز كيك وكأنّه ينتقم من الأزمان، ثم برشفة واحدة شرب ما تبقى من عصيره. كل هذا وهو لا يزال يحرك قدميه باتجاهين معاكسين. نظر إلى الصحنين وكوبي العصير وقد تأكد من خلوهما. ونظر إلى أكياس السكر الصغيرة وقال:

- "الباكيتات البيضا دي، سكر. . إيه بقا الباكيتات البني دي؟ فلفل؟"

فقالت أميرة:

- "سكر بني"

- "شغال"

ثم بحركة سريعة أخذ ما يقرب من عشرين مغلف سكر ووضعهم في حقيبة أميرة. وقال:

- "كزبرة مش هتيجي عليا بالخسارة، قالك سلنترو قال"

ضحكت أميرة وقالت:

- "إنت هببت إيه؟ هو أنت بجد أخدت السكر؟"

- "زي ما شفتي. . يلا بينا من هنا عشان متهورش وآخد المناديل كمان وابقى عرّة"

- "هو أنت لسة هتبقى عرّة؟"

- "قصدك إيه يا دكتورة؟ يا مداوية جروحي أنا"

نهضت باسمة ثم أخرجت لسانها له. وسبقته إلى الخارج، في حين أن قال:

- "بعشق مجانص أمها"

❋❋❋❋❋

٣٣

- "يعني أنا بس نفسي أفهم. عم مؤمن فين كل ده؟ مش معقولة كده. حد يتصل بيه، يحاول يوصله. بجد يومي بيبقى زي الزفت لمّا مش بيجي. ولا حد في المكان ده يقدر يضبط قهوتي زيه"

ثم أمسكت منديلاً مُبللاً، وراحت تزيل المكياج عن وجهها إثر انتهاء حلقتها الصباحية بنجاح. محيي كان جامدًا يتساقط العرق من على جبينه، بالرغم من وجود المكيف الهوائي. سألته:

- "ما ترد عليّا؟"

- "في الحقيقة. ."

ثم صمت قليلًا. وقال لها وقد تذكّر أنها ستبدأ إجازتها التي ستمتد لأسبوع، إذ أنها من عادتها أن تفعل ذلك، لتأخذ قسطًا من الراحة من كل شيء. فراحت نفسه تحادثه:

- "الحمدلله إن هي هتبدأ أجازة وإلا كانت ليلتنا طين ومعرفناش نشتغل"

- "في الحقيقة إيه؟"

قاطعته فرح وهي تنظر إليه بحدّة من خلال انعكاس المرآة.

صمتت قليلًا قبل أن يعاجلها بقوله:

- "عم مؤمن، تعيشي إنتي"

- "إيه؟؟!"

شهقت فرح مذهولة، إذ وقع عليها الخبر كالرعد الساخط، وشلَّ لسانها بثقل الوجع.

لم نسلط الضوء من البداية على عم مؤمن، فلم قد نفعل ومصيره الموت. .؟ مممممم. . فلنقل أني قتلته الآن، كي لا تحبوه لاحقًا! أليس بيدي أن أقتل وأترك من أشاء حيًا على الورق؟ دامَ الورق ملكوتي؟؟ . .

عم مؤمن، هو والد فرح الروحاني. ذلك البلسم الطيب، الذي يشفي الروح ويهدئ من روع وغضب الفؤاد. تقرّب لها إثر وفاة أبويها. وأصبح لها الأب والأم. كان كريمًا معها بلا مُقابل. لكنّها لم تستطع أن تعبّر يومًا عن مدى امتنانها لوجوده، فكانت تكتفي بذلك المرتب الشّهري ترسله له وأهله في القليوبية. وكأنّها مسؤولة منه، كما هو مسؤول منها. وكان يقبل عطاياها على استحياء، فالحاجة تكسر ظهور الرجال وتحرق رجولتهم.

كان أبًا لخمسة بنات، وكانت فرح سادستهم. ساهمت فرح في تزويج أربع وتعليم الصغيرتين. لكنها لم تشعر يومًا أن ما تقدمه كافيًا لتلك الأبوة والبنوة العجيبة بينهما.

ربما قد تسألون من أين لها بهذا المال كله؟ فلنقل أن أبويها لم يتركا وراءهما إلا المال، وذاكرة تحترق باستمرار في قلبها المشتعل.

- "سيبني دلوقتي"

خرج محيي دون أن ينبس بحرف، وأغلق الباب بحذر. كان الألم صارخًا لدرجة أنها لم تبكي. كانت تحدق بالمرآة وهي تزيل باقي مستحضرات التجميل وجسدها يبكي ألف مرة.

هكذا هو الموت، يحكي حكاياه في أجسادنا، يمدنا بما يكفي من الموت، دون إحداث موت كلي.

خرجت فرح من مبنى الإذاعة والتلفزيون، تجر جسدها جرًا نحو وجهة غير معلومة. وصور الموتى تمر أمامها سريعًا هي والذكريات. أم بقلب وطن، وأب بروح منفى. وصديقة ثورجية قتلها السخط في الميدان. وأخيرًا. . عم مؤمن.

ألقت بجثتها على مقعد السّيارة. لتجد المسبحة التي أهداها إليها عم مؤمن مُعلّقة على المرآة. شعرت بتيبس حاد في القناة الدمعية.

يُقال أن الألم حين يبلغ مبلغه، تصبح الدموع بلا جدوى، بل إنّها لا تتناسب طرديًا مع الدموع.

أدارت المقود تسابق الوجع، الذي دومًا يسبقها بأميال ويقف حين خط النهاية، يشاهد هزيمتها النكراء.

أمسكت هاتفها لا شعوريًا تتصل بيزن:

- "هو أنا ينفع أشوفك؟"

شيء ما باهتزازات صوتها نبّأه بخطب ما. قال:

- "انتي فين؟"

- "معرفش"

- "يعني إيه معرفش؟"

- "بسوق ودخلت وخرجت من كذا شارع. معرفش معرفش"

- "اهدي"

هدأت واستكانت، لكن الوجع لم يهدأ قط.

وأردف قائلًا:

- "مش انتي كان عندك حلقة النهاردة؟ ارجعي المبنى تاني وأنا هجيلك. أكيد مبعدتيش"

وانتهت المكالمة. عادت من تخلو من الفرح إلى حيث كانت، ولا تدري كيف عادت أو متى عادت. كان الوقت به زَخمًا وتخمة من الوجع حتَّى تساوت الأشياء جميعها.

مضى من الوقت ما مضى، ساعة ربما، ساعتين، أو أقل بكثير، حين أعلمها يزن بوجوده عندما قام بطرق نافذة السّيارة حيث تجلس. انتبهت لوجوده وترجلت من السّيارة.

مدّت يدها تصافحه لكنّه لم يتنبّه لذلك وأمرها بالجلوس في المقعد المجاور لأنه سيتولى القيادة. رضخت لأمره دون أن تنبس بكلمة. وجلست باستسلام إلى جواره، في حين تولى هو القيادة.

- "مين مات؟"

نظـرت إليـه فـرح بغضـب إذ ظنتـه يمـزح لكنـه بـدا جـادًا وهـو ينظـر إليهـا، قالـت بانهـزام:

- "إيه اللي خلاك تقول كده؟"

- "الموت باين في عنيكي"

- "الموت مبيتقريش"

- "كل حاجة في الدنيا دي بتتقري، حد من المقربين؟"

- "محدش مات. أنا بس مخنوقة شوية"

نظـر إليهـا نظـرة عابـرة. ثـم عـاد بنظـره للطريـق أمامـه. مـرّت دقيقـة فقالـت:

- "عم مؤمن"

ومـا إن لفظتهـا حتَّـى مـدَّ يمنـاه لتعانـق يسراهـا. أمسـك يدهـا وراح يضغـط عليهـا بقـوة وكأنّـه يـواسي خطـوط يديهـا. كانـت منبهـرة، لكنهـا لم تقـم بـأي رد فعـل يظهـر ارتباكهـا.

هــل شــعرت بالأمــان حقًــا بقــرب ذاك الغريــب؟ هــل شــعرت بانتــماء لوجهــه يبعــث الــدفء في جســدها الهالــك؟

قال:

- "عمر مديد وسعادة وصحة بتمناهم ليكي"

فأجابت سريعًا:

- "مش قادر تقول البقاء لله؟ أو ربنا يرحمه؟"

- "ده ضد معتقاداتي"

- "هو أنت عندك معتقدات أصلًا؟"

لم يجبها، فهي أنثى غاضبة، حريٌ به أن يخاطب طفولتها الآن:

- "وحشتيني"

كانت تلك المرة الأولى التي يلفظها أمامها، استطاعت أن تحفظ قسمات وجهه وشفاهه الجميلة تتلفظ بها. ابتسمت روحها. ثم أسندت رأسها على النافذة ويدها لا تزال معانقة ليده.

نعم. . شعرت بالأمان. . وخيّم النوم على عينيها الجميلتين.

استيقظت بعدها على صوته يناديها. وجدت نفسها أمام مبنى يبدو حديث الإنشاء. لم تنطق في انتظار أن يفسر لها الأمر، قال بعد تنهيدة:

- "فرح. . المكان ده ميعرفهوش مخلوق إلّا صديق عزيز، أنا كنت هاخدك في أي حتة نقعد فيها. بس لقيت نفسي بشكل تلقائي بفكر إني أجيبك هنا. ومن دون تفكير أكتر، جبتك. عارف إنها مخاطرة، بس محدش يستاهل إنه يجي هنا قدك. دي شقتي الخاصة سرّي الكبير!"

بقيت فرح صامتة للحظات في محاولة منها لاستيعاب ما قاله للتو، ثم قالت بغضب:

- "أنت أكيد مجنون؟ إنت فاكرني إيه؟؟!"

- "أنا رسمتك فوق"

أسـكتها وقـد تذكـرت أمـر تلـك اللوحـة القاتلـة. أعدلـت مـن جلسـتها وقالـت بنـبرة أشـد غضبًـا:

- "لو سمحت اطلع أنت شقتك، أنا دلوقتي أحسن"

وإذا بـه يخـرج باسـمًا مـن السّـيارة مفسـحًا لهـا المجـال. ومـن الخـارج أومـأ لهـا برأسـه وألقـى بيمينـه السـلام. لم يبـد مغتاظًـا أو مُنزعجًـا مـن طردهـا إيـاه بـذوق. لم يسـاومها كـما توقعـت، لم يحـاول حتَّـى إقناعهـا. انـصرف بهـدوء جميـل كحضـوره الجميـل. ولم تفـارق تلـك البسـمة شـفاهه. كانـت تنظـر إليـه بحـيرة ودهشـة، قبـل أن تفيـق منهـما وتقفـز إلى مقعـد السـائق، وتعـود بسرعـة إلى الخلـف، ويختفـي أثرهـا الجميـل.

صعـد يـزن إلى شـقته، أخـرج المفاتيـح، وعطـر فـرح لا يـزال يمـلأ أنفاسـه. فتـح البـاب ثـم أضـاء الأنـوار جميعهـا. ألقـى بنظـره سريعًـا عـلى عرينـه الجميـل وجلـس يسـتريح عـلى إحـدى المقاعـد. في حـين أتـاه صـوت جميـل مـن الخلـف:

- "ذوقك حلو، كل حاجة هنا شبهك"

عـادت ابتسـامته عـلى وجهـه، نهـض عـن مقعـده وقـال بثقـة حـين رآهـا تقـف قبالـة البـاب وهـو متوجّـه إليهـا:

- "بيوتنا لازم تشبهنا، وإلا متبقاش بيوت، كانت سجون"

صمت قليلًا حين وقف على مقربة منها "جدًا"، وقال:

- "كنت متأكد إنك هتيجي"

- "كنت متأكد إزاي يا فهيم؟"

لكنـه لم يجبهـا ورفـع يـده اليمنـى وأمسـك ذقنهـا شـديدة الاسـتدارة، وأسـند ذقنهـا مـن الأسـفل بسـبابته، ولامـس بإبهامـه ذقنهـا مـن الواجهـة، واقـترب مـن شـفاهها:

- "شفايفك جميلة. ."

وبحركـة خاطفـة، سريعـة قبّـلَ شـفاهها السـفلية قُبلـةً كالنّسـيم بشـفاهه العلويـة، ولامسـت شـفاهه السـفلية ذقنهـا وكأنّـه يكتفـي بتلـك القطعـة مـن الجنّـة.

ثـم عـاد ينظـر إلى عينيهـا كمـن فـاق مـن سُـكرٍ أو غـرق. . كانـت عينيهـا تملأهـا دهشـة العاشـقات. مـن قـال أن قُبلـةَ الحيـاة لمـن غرقـوا؟ هـي للأحيـاء كذلـك!

عـاد يمسـكها مـن يديهـا وقـد أغلـق البـاب، واتجهـا إلى غرفـة المعيشــة.

- "رسمتني فين؟"

ابتسـم مـن سؤالها. واتجـه نحـو بـاب زجاجـيّ كبـير جرّار. فتحـه إلى آخـره. حينهـا فتحـت فـرح ثغرهـا مـن الدهشـة وكأنّهـا تقنـع نفسـها أنّـه لم يُقبّلهـا فعليـا. وكانـت تلـك مملكتـه بحـق، كل الأشـياء مُبعـثرة بشـكل مُنظـم.

قالت:

- "رسمك تحفة"

- "عجبتك رسمتك؟"

- "لأ. . ليه مكملتش في مجال الرسم؟ واخترت الهندسة؟"

- "عشان إحنا في مصر"

نظرت إلى وجهه الذي بدا مسالمًا بشكل يثير الوجع.

ولم تعقب. اقترب منها مجددًا، وقف قبالتها، سألها:

- "جيتي تاني ليه؟"

- "عشان أنا مش جبانة"

- "مقولتش إنك جبانة"

- "شفت ده في عنيك، لأن كل حاجة في الدنيا دي بتتقري"

إذن اتفقا سوية على أن يفهما عين الآخر دون حماقات الكلام والشرح. قال:

- "إنتي عاملة إيه؟"

تنهدت وقالت:

- "أنا تمام الحمدلله. ."

- "إنتي عاملة إيه؟"

ضحكت باضطراب في محاولة لفهم مزحته وقالت:

- "تمام الحمدلله"

- "إنتي عاملة إيه؟"

أجابت دون أن تضحك هذه المرة:

- "تمام. . الحمدلله"

- "إنتي. . عاملة. . إيه؟"

نظرت مباشرة صوبَ عينيه دون أن تنطق، وكأنّها تدعوه لأن يقرأ عُريها. وقالت وكأنّها تعاند نفسها:

- "أنا تمام الحمدلله. ."

مرّت ثانية، وانفجرت باكية.

دعاها يـزن للتجـرد مـن نفسـها بالدّمـوع، هـو يؤمـن إيمانًـا مطلقًا أنّ الدمـوع تُحـرر النفـس حـين تظهـر أمـام الآخـر، دعاهـا للبـكاء ولكـن ليـس عـلى عـم مؤمـن فعليًـا، أو مـن ماتـوا ولم يـدر عنهـم كليًـا، بـل بـكاء مـن أجـل البـكاء، كالحـب مـن أجـل الحـب.

كان يقـف جامـدًا أمامهـا وهـي تبـكي وتنظـر أسـفلها، تبـكي بـكاءً مريـرًا كطفلـة مقهـورة في الخامسـة. كان بـكاء أشـبه بأنـين الـروح، امتـلأ وجههـا بالدمـوع حتَّـى تظنهـا أغرقتـه في الميـاه. كانـت تبـكي كمـن لم تبـكي مـن قبـل. تـصرخ باكيـة، ثـم تعـود لأنينهـا الصامـت. وكلـما أرادت أن تمسـح دموعهـا بيديهـا، منعهـا يـزن. وكأنّـه يقـول لهـا ألا تمسـح ألمهـا، بـل تدعـه ينسـاب عـلى وجههـا الحزيـن، فتمتصـه مسـامها مجـددًا. فالحـزن لا يرحـل، إلا إذا شـاءت روحهـا. وفي نظـر يـزن، روحهـا لم تشـأ بعـد.

مـرّت ثـلاث دقائـق بمثابـة ثـلاث دهـور كاملـة، حـين أنعـم عليهـا بذراعيـه يلفهـما حولهـا وقـد أسـند رأسـها إلى صـدره.

قال:

- "طفلتي الصغيرة"

صمتت فجأة، وقالت:

- "أنا آسفة. ."

نظر إليها وقال:

- "على إيه يا أم قويق. .؟"

وسرعـان مـا انفجـرت ضاحكـة، ضحـك يخالطـه البـكاء. قالـت سريعًـا وكأنّهـا اسـتفاقت مـن الحلـم:

- "لازم أمشي. ."

وكعادته، لم يمانعها.

وقالت قبل خروجها:

- "الأسبوع ده كله أجازة، لازم أشوفك!"

- "مش لازم قوي يعني"

وضحكا. .

خرجـت مـن الشّـقة، وقـد شـعرت أن روحهـا ترفـرف في الملكـوت. عـادت لشـقتها، فتحـت خزانتهـا، وأخرجـت اللوحـة تطالعهـا بحـب، وقـد نفضـت عنهـا حفيـف الغبـار، وعلّقتهـا بتحـدٍّ عـلى الحائـط، وكأنّهـا لا تمانـع عُريهـا.

* * * * *

٣٤

جلســت مُضطّربــةً في أحــد كافيهــات مدينــة نــصر. تترقــب الوجـوه الشـاردة والغائبـة، الوجـوه الغاضبـة، وتلـك التـي لا معـالم لهـا. وتتمنّـى لـو تصبـح الحيـاة أقـل تعقيـدًا لطفولتهـا. كان وجودهـا مُلفتًـا للنظـر، فـماذا تفعـل ابنـة الثامنـة عـشر بزيهـا المـدرسي في هـذا المقهـى؟ . كانـت تسـمع دعابـات سـخيفة مـن الموجوديـن حولهـا

بسبب وجودها. فكانت تحرك قدميها باضطّراب في انتظار ظهور الشّرقاوي.

عادة لا تقابله في مثل هذه الظروف، عادة لا تتسلل من المدرسة مبكرًا. لكن أمرًا سرق راحتها، وجعلها تشعر بغصة الوجع حين تحتل الروح، فراحت تبحث عن مأواها. . أحمد الشّرقاوي.

ظلّ الأخير والقلق باديًا على وجهه، سحب كرسيه قربها سريعًا وقال بعد أن وضع مفاتيح سيارته على الطاولة:

- "مالك حبيبي؟؟ قلقتيني؟ انتي كويسة؟"

- "لأ. ."

وسرعان ما انفجرت باكية. راح يهدئها ويهدئ من روعها. كم أحرقته دموعها تلك الجميلة، لم يستطع أن يضع يده على كتفها، أو يمسح دموعها، شعر بعجز العاشقين وهو لا يستطيع أن يفهم ما سر كل هذا الحزن!

مسحت دموعها أخيرًا، وتنهدت تنهيدة لا تزيد روحها إلا وجعًا. نظرت صوبه وقالت:

- "أخويا مُلحد. . أخويا مُلحد ليه فترة، من ساعة ما بابا مات. خايفة عليه من اللي هو فيه"

كانت نظرات أحمد إليها كلها أسى، قال:

- "مرحلة وهتعدي"

نظرت إليه ذاهلةً، وقالت:

- "أنت. . أنت كنت عارف؟؟"

- "أنا وأمجد وعبدالله وأميرة"

ضحكت بسخرية وقالت بعينين دامعتين:

- "ياااااااه. ."

وقالت بحرقة:

- "وهنعمل إيه؟"

- "أخوكي عنيد، وراسه ناشفة، والعنف معاه مش هيجيب إلّا العنف، إحنا ف الأول حاولنا معاه بالتي هي أحسن، ووصلت بعدها معانا إننا نقطع علاقتنا بيه عشان يرجع عن اللي هو فيه. بس مهموش. ولقينا نفسينا تدريجيا بنرجعله، ومخلصناش نسيبه لوحده"

قالت بغضب وكأنّها لم تسمع أي شيء ممّا قاله:

- "تخيل بقوله ترضالي إني أعمل علاقة قبل الجواز، قالي إنه معندوش مانع طالما الحب صادق؟؟"

- "مجرد كلام. ."

- "أنا مشفتش ده في عنيه، أنا شفت فُجر هو استباحه. حاولت أوجعه بالكلام، متوجعش، مش فارق معاه، مش فارق معاه يا أحمد. وأمي لو شمّت خبر هتطب ساكتة، وأبويا اللي فتربته أكيد متعذب إن ابنه الوحيد كفر بالله"

- "يا حبيبي هو شايف إنه مش بيتكلم في فُجر، هو شايف إن دي ثقافة مش موجودة عندنا نظرًا لعاداتنا وتقاليدنا. طب عندك الأجانب أهو، مقضينها سواء بجواز أو بغيره، بس مش عندهم إن دي حاجة عيب أو حرام، عندهم عاااادي جدًا. أخوكي

بيؤمـن بالتحـرر الفكـري الـلي بيتعـارض مـع نـاس كتـير هنـا. بـس مـش معنـى ده إنـه هيرضالـك أي شيء سيء"

- "مش قادرة استوعب. . ولو سمحت متبررلوش"

ودفنـت وجههـا براحـة كفيهـا في حـين وصـول النـادِل يسـألهما مـاذا سـيطلبان، فتكفـل الشّرقـاوي بتلـك المهمـة.

لحظات صامتة انقضت، وعادت يسرا تنظر لحبيبها تسأله:

- "هو. . هو عمل حاجة قبل كده حرام مع بنات؟"

انتفـض الشّرقـاوي لسـؤالها المُباغـت الـذي لم يمـر بخاطـره مـرور الكـرام، بـل أشـعل مـا يكفـي مـن الحرائـق، سـؤالها لم يكـن سـوى:

- "هو أنت عملت حاجة قبل كده حرام مع بنات؟"

نعـم، شـعر بسـؤالها موجّـه لـه ولرجولتـه التـي لم يصـن. قـال وشـفاهه تضطّـرب:

- "معرفش. . مظنش"

- "قلبي بيقولي إنه عمل" (قلبي بيقولي إنك عملت).

وأردفت قائلةً بنبرة حزينة:

- "هيكسر ظهـري لـو فعـلًا عمـل كـده وخـاني" (هتكسر ظهـري لـو فعـلًا عملـت كـده وخنتنـي). .

- "خلينـا في كفـره بربنـا الأول بعـد كـده نشـوف الأمـور الثانويـة دي".

وراحـت ضربـات قلبـه تتزايـد، كـم تمنّـى أن يعـود طفـلًا لا خطايـا لـه، كـم تمنـى أن يكـون طفلهـا الـذي ستسـتره بحنانهـا وطيبتهـا.

وصـل النـادِل بعصير برتقـال طـازج، رشـفت منـه يـسرا رشـفتين وقالـت:

- "لازم أمشي. ."

- "لسة بدري. ."

- "لا يـا أحمـد معلـش، أنـا اتأخـرت ومامـا عايـزاني معاهـا النهاردة ضروري. ومقولتلهـاش إني هقابلـك. معلـش، خليهـا مـرة تانية"

ونهضت عن مقعدها في حين نهوض أحمد الذي قال:

- "هوصلك قريب من البيت"

فأجابت:

- "لأ. . مـش هينفـع. أخويـا النهـاردة هنـاك. معلـش يـا أحمـد، خلينـا في السـليم"

ومـدت يدهـا تصافحـه بوجـع، فصافحهـا وروحـه تشـتهي عنـاق روحهـا. وخرجـت مـن المقهـى. . وكانـت عينـاه تتبعانهـا إلى أن عـبرت الشـارع في انتظـار حافلـة تأخذهـا وجهتهـا. . .

وإذا بعينـا يـزن تلحظانهـا وصدفـة مـن العيـار الثقيـل. لم ينفعـل، لم يركـض إليهـا غاضبًـا يسـألها عـمّا تفعلـه في مدينـة نـصر. بـل انتظـر ركوبهـا الحافلـة، وتوجـه بـدوره إلى المقهـى الـذي رآهـا تخـرجُ منـه.

هنـاك حيـث تفـرّس وجـوه مـن فيـه وجهًـا وجهًـا. وجـد مجموعتـي شـباب يجلسـون عـلى طاولتـين، وامـرأة أربعينيـة تنفـث دخـان الشيشـة. فكـر في أن يسـأل النـادِل عـن الفتـاة التـي خرجـت لتوهـا، وعـن مـا إذا كان أحدهـم برفقتهـا، لكنـه عـدل عـن قـراره وخـرج مـن المقهـى، في حـين خـروج الشّرقـاوي مـن حـمام المقهـى.

هكـذا هـي الصـدف، تـأتي أحيانًـا كنعمـة بنكهـة حلـم، أو نقمـة بنكهـة كارثـة.

وصلـت يـسرا لمنزلهـا، وقبّلـت جبـين أمّهـا، ودخلـت غرفتهـا بانهزام تغـيّر ثيابهـا. عـشر دقائـق مضـت، ووصـل يـزن خلفهـا. لم يلق السـلام، ولم يجـب أمـه حـين رحبـت بوصولـه. بـل دخـل مبـاشرة إلى غرفـة يـسرا. وأغلـق البـاب.

كانـت يـسرا تقـف أمـام مكتبتهـا الصغـيرة، تحـدق بـه وبوجهـه الجميـل. شـعرت بـلا حميميـة مفرطـة اتجاهـه وكأنّهـا تلومـه عـلى تصريحاتـه الأخـيرة.

جلـس عـلى مقعـد مجـاور، ودعاهـا أن تقـترب. فاقتربـت منـه بحـذر فقـال بهـدوء:

- "أخبار كتاباتك إيه؟"

- "تمام. ."

فسـألها سـؤال مـا هـو إلا طلقـة رصـاص مـن مسـدس كاتـم للصـوت:

- "كنتي بتعملي إيه في مدينة نصر؟"

تلقت بدورها رصاصته بثبات، وجلست قبالته. . وقالت:

- "بشم هوا"

- "مع؟"

سألها سريعًا وبثبات أشد. .

أجابت بتحد:

- "مع حبيبي. ."

يُقال أن القهر أحيانًا ينزع منا الخوف، ينزع عنا عصابات الصمت التي ظنناها أبدية، وكأنّه البهار المطلوب لانفجار البركان من فوهة الصبر.

- "اللي هو مين؟"

- "اللي هو بحبه حب صادق هيخليك متمانعش إني أسلمه نفسي وجسمي وأنت مرتاح"

- "يلا يا يسرا تعالي حضّري معايا الغدا مفيش وقت. ."

كان ذلك صوت أمها تناديها من المطبخ. نهضت يسرا عن مقعدها، وقالت باسمة:

- "عن إذنك. . هروح أساعد ماما"

وخرجت من الغرفة وهي تسأل أين ذهب خوفها؟ ولا تصدّق أنّها من ساعة مَضت كانت تقول للشرقاوي أنه حريٌ بها ألّا تتأخر، وألّا يوصلها إلى المنزل حتَّى لا يراهما يزن. والآن هي بذاتها قاب قوسين أو أدنى، من أن تكشف كل شيء.

أما يزن، فكان لا يزال جالسًا يحاول تحليل الأشياء بشكل فلسفي تارة، وعقلاني تارة أخرى. . ثم يعود للمنطق واللامنطق، ثم يستغني عن كل ذلك. . ويصبح رهينة ل "ماذا لو؟". .

نهض عن مقعده أخيرًا. . وقبل خروجه رمى بناظره على مكتبتها، ليجد كتاب مذكراتها، لم يتردد حين أخذه، وكأنّ لديه الحق المطلق في فعل ما يشاء. قام بفتح أول صفحة. . وجد

رسومات أنيقة تمشي بمراهقة عاشقة وفي المنتصف كتبت بخط لا يقل أناقة:

((الحب للشجعان. .))

رفع حاجبًا وقد أدرك طيف قباني يدندن في الجوار. . وسرعان ما أقفله، وتوجه إلى غرفته يخبئه كي يتفرغ له لاحقًا، رغبةً في كشف الخبايا. . رغبةً في التحقق من شجاعة أخته يسرا.

*****

٣٥

هنا القاهرة. . وهناك حبيبها. . محمد. .

وصلت ليلى أخيرًا، وكانت تشعر بحنين أم لابنها، ومغترب لوطنه، معشوقة لمعشوقها.

وكانت السَّاعة تعانق الرابعة عصرًا، وهي في سيارة الأجرة برفقة أمّها وأختها. راحت تتفحص الأزقّة القاهرية، تُعاين وجوه أبنائها، تعد الفروق الشاسعة، تحصي الاختلافات، وكأنّها زارت أرضًا غير أرضها، ورأت بشرًا غير البشر. . كانت القاهرة بالنسبة إليها، كما للكثيرين "مصر". .

- "حلوة قوي مصر يا ليلى. ."

قالتها لها شمس باسمة، فأجابتها ليلى ببسمة أجمل، وعادت تحدق في النّافذة، تحاول الشعور بالألفة على أرض مصر. .

قال الله تعالى في كتابه:

"ادخلوا مصرَ إنْ شاءَ اللهُ آمنينَ". .

وها هي ليلى تدخلها آمنة مُطمئنة، فهي أرض الحبيب محمدًا.

كانت ترجو لو تحلّق بها الأرض لكي تصل سريعًا إليه، أخرجت مرآتها مجددًا تتحقق من هيئتها مرة أخيرة، ولم تخذلها مرآتها. . ولا عيون المارة.

وكلما اقترب وصولها، زاد في قلبها البهجة والقلق.

ومرّت ساعة إلا قليل. . ووصلت ليلى على أرض قيس.

ترجلت من سيارة الأجرة سريعًا وهي تنظر صوبَ المبنى المنشود، وتطالع النافذة وكأنّها لا تريد أحدًا من الأعلى أن يراها، وكأنّها مفاجأة. قالت لأمها التي كانت منهمكة مع السائق وحمل الحقائب:

- "ماما أنا هنادي ابن عمي ينزل يساعد"

ولكنها لم تنتظر ردًا أو تكرر ما قالت حتَّى لا ترفض أمها، بل نظرت لشمس باسمة وكأنّها تدعوها للفرح لها عشقًا، ودخلت إلى المبنى سريعًا.

كانت تصعد السلالم مهرولة وكأنّها لا تريد أن تقضي ثانية أخرى بعيدة عنه. وصلت إلى الشّقة، وراحت ترجو الهواء ألّا يخذلها وتختنق من قلّته.

ثم قامت برن الجرس وهي بالكاد تسرق أنفاسها. .

وفتح محمد الباب، وظلّ يطالعها صامتًا وهو مُمسك بمقبض الباب. . قالت:

- "السلام عليكم يا محمد. . إزيك؟ عامل إيه؟ . ."

ثم ابتسمت. . . فقال:

- "ما قلنا مية مرة بلاش محمد دي. . اسمي يزن. . يزن. . غيرته وبقا في البطاقة يزن عامر الشيخ"

التقط أنفاسه في حين التقاطها أنفاسها المُضطربة، ثم قال:

- "أهلًا وسهلًا، نورتوا القاهرة. . فين مرات عمي؟ وشمس؟"

- "تحت. ."

- "طب أنا نازلهم. . خشي. ."

ونظر إليها من أسفل قدمها إلى أعلى رأسها، ولكنه لم يعقب، وأقفل الباب بحدة.

وكانت أنثى لا تزال تمارس فعل الانتظار على أعتاب رجل يمارس فعل الغياب، وما بين الانتظار والغياب، صبر مُراق وقلب قد أحلّ الوجع.

وضعت حقيبتها على طاولة الطعام وهي تتمنّى لو أن لديها عصاة سحرية تُعيد بها الزمن إلى الوراء، ليتها نادته بيزن كما يحب. . ولكنّها تحب اسم محمد، فتنسى. خرجت يسرا من المطبخ إلى غرفة المعيشة لتحضر شيئًا لأمها، وإذا بها تتفاجئ بوصول ليلى، صاحت فرحة:

- "ليلى. . إنتو جيتوا؟"

أجابتها الأخيرة ضاحكة وهي تمد لها ذراعيها:

- "تخيلي؟"

ليلى تحب يسرا حبين. . حُب ليسرا ذاتها، وحُب لكونها أخت محمد. . أقصد يزن.

تسامرتا قليلًا، في حين انضمام الأم نوال إليهما ضاحكة مستبشرة. مرّت دقائق ورنّ جرس الباب، فاندفعت ليلى تفتحه ليزن. . وكأنّها تدعوه ليقول لها أي شيء عن مظهرها أو اشتياقه لها.

لكنه كان منهمكًا بجر الحقائب والترحيب بزوجة عمّه كما يجب.

دخلت أمينة بملامح جامدة تعانق نوال وابنتها. . وتسأل عن الحال والأحوال، فتجيبها نوال بحذر، هما يحبان بعضهما، ولكن بحذر.

قالت:

- "جبتلك سمن وبط وفطير مشلتت وخضار طازة من الأرض يا دوب مجمعينه"

فأجابتها نوال:

- "يسلمولي الحبايب، نورتوا القاهرة وناسها. فينو جوزك أُمّال؟ ليه وحشة"

فتغير وجه أمينة وامتقعت روحها، فقالت:

- إنتي عارفة الشغل والمشاغل.

أما ليلى، فكانت تنظر إليه خلسة، بين الشوق والآخر، يمر بها ولا يدري أنّ قلبها على أعتابه يدق في اليوم ألف عام، ومرّت الآهات، فلم تكن سوى أنثى تسترق الحب. . خِلسة!

تناولوا جميعًا غداءًا شهيًا. . انهمكت معهم ليلى في تنظيف الصحون وجلبة الغداء، في حين انهماك عقلها معه.

خرجت من المطبخ أخيرًا وهي تمسح يديها المبلولتين بفستانها. . وعينيها تبحثان عنه. كان يجلس في الصالون يطالع التلفاز.

اقتربت منه، قالت:

- "إزي الحال يا محم. . يا يزن؟"

نظر إليها وقد لحظ وقوعها في الخطأ ذاته مرتين وتداركها إياه بسرعة.

قال:

- "تمام. . اقعدي. ."

فراحت تنظر صوبَ المطبخ والغُرف الداخلية وكأنّها تخشى خروجهم. وإذا بيزن يقول:

- "اقعدي. . مالك في إيه؟"

وقبل أن تجلس أخذت حقيبتها، وجلست قربه على استحياء. قالت:

- "إزّي دنيتك؟ وشغلك؟"

- "كله تمام. . وإنتي؟"

- "الحمدلله بخير طول ما أمورك بخير"

كان عيناه ما بين قنوات التلفاز ووجهها، والحق أنه كان أكرم مع التلفاز.

كانت ليلى تحاول أن تحقق أي شيء من ذلك الخيال الذي خطفها في القطار، قالت:

- "يزن. . جبتلك هدية بسيطة كده"

- "بجد؟"

- "آه. ."

ثم أخرجت له الهدية من حقيبتها، أخذها منها سريعًا وكأنّه يأخذ صحن فاكهة، قام بنزع الغلاف سريعًا بعد أن نزع الشريط القماشي. نظر إلى المحتوى قليلًا. . وقال:

- "الحاجات دي بتتباع عندكو في البلد؟ شكلها ماركة"

أجابته ضاحكة:

- "كل حاجة دلوقتي عندنا في البلد"

قال:

- "لذيذة السَّاعة، تسلمي"

وأخرجها من العلبة وارتداها.

كانت تنظر إليه بامتنان، ولا تصدق ما فعل، ذلك لم يكن بخيالها قط، أقلّها أن يرتديها أمامها.

- "تشرب شاي؟"

سألته بفرح. .

فأومأ لها برأسه: أنْ نعم.

فنهضت تحضر له الشاي، شعورها نحوه كان زوجيًا، كان زوجيًا مُنْذُ أكثر من عشر أعوام.

دخلت إلى المطبخ، فانضمت شمس إلى ابن عمّها، قالت طفولتها:

- "إزيك يا محمد؟"

كان بصدد أن يصحح لها الاسم مجددًا كما فعل مع أختها الكبرى، فقال وقد ابتلع غضبه:

- "بخير يا شمس، عاملة إيه في المدرسة؟"

- "كويسة الحمدلله. ."

نظر صوبَها، وكأنه متردد في سؤالها عن شيء ما.

قال:

- "من فترة كانت ليلى كلمتني في حوار كده عنك، وقالت لي إنه متمش. مفيش جديد؟"

- "حوار إيه؟"

فأدرك أنه لم يتم شيء. وأنّ الفتاة لم يتم ختانها بعد. انقضت دقائق وعادت ليلى بكوبي شاي.

نهضت شمس في اتجاه الشُّرفة تلعب، في حين أمدت ليلى محبوبها بكوب الشاي. وما إنْ جلست حتَّى ظهرت أمها أمينة:

- "بنت. ."

فانتفضت ليلى ونهضت بسرعة:

- "أيوة يا أمي. ."

- "يلا خشي ارتاحي شوية"

- "هشرب الشاي يا أمي. ."

- "يتشرب جوا"

فأمسكت ليلى كوبها وقد أدركت انتهاء الحلم عند ذلك القدر. وانسحبت إلى غرفة يسرا.

انضمت إليه أمينة بخُطى سريعة، تتفحص وجه زوج ابنتها المستقبلي:

- "كإنّك خاسس، إنت مبتاكلش ولا إيه؟ أكل القاهرة ميجيش حاجة جمب أكل البلد"

أجابها ضاحكًا:

- "من الناحية دي عندك حق"

- "مش هتيجي تشوف الشّقة بقى؟"

- "ملوش لزوم"

- "يا نهاري؟ ملوش لزوم إزاي يا ولا؟"

- "ما حضرتك عارفة إننا كده مش هنستقر هناك. على آخر السنةدي هكون جبتلي شقة هنا على قدنا"

- "بقولـك إيـه. . أنـا مليـش في شـغل حضرتـك ومـا حضرتـك ده. كلمنـي زي مـا بكلمـك"

- "طب ما أنا بكلمك أهو. ."

- "بـص يـا ابنـي، متتعبـش قلبـي. البنـت كـبرت خـلاص وأنـت كل شـوية عـمّال تأجّـل في الفـرح. يـا ابنـي عايـزة أفـرح بيهـا وبيـك وأشـوفلكو حتـة عيـل قبـل مـا أمـوت"

- "تموتي إيه بس. . عمرك مديد يا حاجة"

- "إن شاء الله يا خويا، بس إنت انجز"

نظـرت أمينـة صـوبَ الغُـرف وكأنّهـا تريـد أن تخـبر يـزن أمـرًا قبـل ظهـور أحدهم:

- "يرضيك اللي عمله عمّك؟"

سـألته بكبريـاء عـارٍ مـن الكبريـاء. عـدّل يـزن مـن جلسـته وهـو يـدري أن حديثهـا معـه مـا هـو إلا بوابـة لكشـف ألمهـا.

- "وإنتي بغضبك هتعملي إيه؟"

كانـت بصـدد أن تنهـره وتدافـع عـن نفسـها أنّهـا لم تغضـب وتـترك البيـت، لكـن الفَـرس بداخلهـا اسـتكانت للوجـع، قالت:

- "خلي الغندورة تنفعه"

- "بالضبط. . ندميه"

نظرت إليه مدهوشة:

- "ولد!!"

- "أنـا مقولتـش حاجـة غلـط، يـا عمتـي إنتـي ناقـص تجيبيلـو نجـوم السـما تحطيهـا تحـت رجليـه، شـبعتيه منـك. . جوعيـه"

- "ياد اختشي"

- "أنا راجل وعارف الرجالة بتفكر إزاي. هاتيله ولد"

فشهقت قائلة:

- "يخرب عقلك عيل بجح بصحيح"

أجابها بضحكة وهو يرشف الشاي رشفة واحدة، ويشعل سيجارة:

- "إنتي لسة شباب. . هاتي الولد، وساعتها حطي شروطك"

- "وافرض جبت بت؟"

فابتسم من انصياعها لمكره وقال:

- "هتجيبي واد"

كان واثقًا وكأنّ حجابًا من سماء ثامنة مرفوع عنه.

- "يـلا بقـا عشـان تتابعـي معايـا آراب جـوت تالنـت. قـال إيـه. . العـرب عندهـم مواهـب"

وراح يقهقه عاليًا، وقد عبث برأس زوجة عمّه كفاية.

وإذا بأمه تنضم إليهما:

- "البرنامج جه يا ابني؟"

- "تعالي يا ماما"

- "زارنا النبي"

لفظتها أمّه حين انضمت إليهم..

فراح يسرح بجملة أمه الأخيرة، "زارنا النبي"، فانتفضت روحه.

أما في غرفة يسرا، فكانت الفتاتان تتحادثان ويعوضان ما فاتهما، في حين تنبّهت يسرا أن مفكرتها مفقودة.

٣٦

جلس على الأريكة المتهالكة، أمام صندوق التلفاز الصغير، وبيمينه دخانه، وبيساره شاي أحمر بالنعناع. شيء في جلسته يعكس الصبر وقلّة الحيلة. يُقال أن الصبر وقلّة الحيلة إنْ اجتمعا معًا يكون الشَّقاء ثالثهما. وهكذا هو أمجد. . شقيّ بطبعه، لكنّه اعتاد.

رشفة شاي وأخرى، أمام صافيناز الراقصة، وهي تتمايل بغنج شيطاني، حتَّى تظنّها هي الأنثى والباقي بقايا إناث، أو أنهنّ بقايا. راح يطالع حركاتها بشغف، ويساءل نفسه عمّا إذا كانت أميرة تستطيع الرقص مثلها. حريٌّ بها أن تستطيع. راح يتخيلها ترقص له بما ابتاعه لها من قمصان نوم حريرية، وهو يرتدي جلبابًا ويحمل عصا كمصطفى شعبان في أحد المسلسلات الرمضانية. .

كم هو مشتاق لأميرته، أن يجمتع وإياها في بيت واحد. . على نخب حياة!

- "آدي اللي أنت فالح فيه"

أتاه صوت والده وهو يقف بجوار التلفاز، نظر إليه أمجد نظرة عابرة، لكنه سرعان ما عاد لتلك الاهتزازات الجسدية.

فأردف أبوه قائلًا:

- "يا فاشل يا عديم الرباية"

وإذا بأمجد يجيب ودون أن ينظر إليه:

- "منور يا حج"

- "قاعد النهارده ليه يا خيبتها؟ مش وراك شغل؟"

- "البنك قافل النهاردة، وكمان تعبان موت"

- "ليه يا خويا؟ هو معادها ولا إيه؟"

- "معاد إيه يا بابا؟ عيب الكلام ده يا حج"

- "والـلي أنـت بتعملـه ده إيـه؟ مـش عيـب؟ ركنـت يعنـي بعـد مـا صاحبـك اتصـدق عليـك بالشّـقة"

حاول أمجد أن يتجاهل ثقل ما تلفظ به والده لتوّه وقال:

- "يتصدّق؟!! ما أنا هدفعله كل شهر. ."

- "بزمتك. . بزمتك أنت راجل أنت؟"

- "عايز إيه يا حج السعادي؟"

أجابـه أمجـد غاضبًـا بعـد أن دفـن سـيجارته في قلـب الطاولـة الخشـبية، وأخـذ كـوب الشـاي وتوجـه إلى الشُّرفـة.

جلـس مغتاظًـا عـلى كـرسي خشـبي، يطالـع شُرفـة أمـيرة التـي لا تـزال في عملهـا. ثـم يطالـع السَّـماء يسـألها جناحـين. لكـن السَّـماء لا تجيـب، السَّـماء خُلِقَـت بـلا عمـد، لنطالـع سـحابها الهـارب، وسـحابها الشَّـارد، وهـو يسـير في وجهـةٍ واحـدة، عـلى ترانيـم الملائكـة.

"اللهم إني أشكو إليك ضعفي وقلة حيلتي". . . هكذا همست روحه للإله، وهمس الروح سرًا، هو وجع على وجع. لكنّه مع هذا، يدري أنّ الله رحيم، وأنه يسمع همسات روحه.

أمجد لم يكن يومًا سعيدًا كما ظنّ حين أهداه صديقه الشّقة. شعر بأنه يرفض هذه النعمة القادمة على طبق من ماس. شعر برجولته تنتفض، ولكنّها رجولة بلا حيلة. فعاد يطلب من السَّماء جناحين، لكنّها ظلّت صامتة، لا تُجيب، بل تغيظه بكبرها وتفوقها عليه زُرقةً ونقاءً.

شرب الشاي رشفة واحدة، في حين لحاق والده به مجددا:

- "في الثانوية وفشلت، وفي الجامعة وفشلت. ومش فالح ألّا تقعد ع التلفزيون وتروح على قهاوي وسط البلد إنت وشلّة الفساد"

- "صحابي مش فساد. . أنت جاي ورايا ليه يا حج؟ ما أنا سبتلك الصالة ومشيت، عايزني أغور برا البيت؟؟"

- "فداهية بدل ما أنت قاعد زي النسوان كده"

- "يا حج، يا حج بالله عليك سبني في حالي السعادي، هتسّمع بينّا الجيران"

فأجابه والده بعد أن ضحك ساخرا:

- "الجيران كلها شاهدين على فشلك بقالهم عشرين سنة، إيه الجديد؟؟"

فحاول أمجد تدارك الموقف بقوله مازحًا:

- "شكلها جتلك يا حج عشان كده نفسيتك مش متضبطة"

لكن والده تابع قوله وكأنّه لا يسمع سوى نفسه:

- "الجـيران عارفـين الـلي فيهـا، وعارفـين أنـك فاشـل هتعيـش عـلى قفـا صاحبـك، والبـت أمـيرة ماسـكة فيـك أكنـك سـبع البرومبـة. ملكـش ولا موقـف عنـدي عـدل أفتكـرك بيـه، حتَّـى أيـام الثـورة كنـت بتنـام ولا هـان عليـك في يـوم تنـزل الميـدان زي الأحـرار"

فانتفض أمجد عن كرسيه ساخطًا وقال:

- "هـم الأحـرار عملـوا إيـه يعنـي؟ البلـد دي لـو حصلـت فيهـا ١٠٠ ثـورة، عمرهـا مـا هتتغـير. وهنفضـل في القـاع أسـفل سـافلين. كنـت عايـزني أنـزل الميـدان واتـضرب بالرصـاص؟"

فأتى صوت أمه من الداخل:

- "بعد الشر، ما تستهدوا كده بالله! في إيه؟"

فأجابه والده سريعًا وقد تجاهلها:

- "ع الأقل تموت شهيد وترفع راسي"

- "شهيد؟ أقولك على حاجة يا حج؟ سايبهالك وماشي"

وخـرج غاضبًـا مـن الشّـقة رغـم محـاولات أمـه بالبقـاء، أمـا والـده فـراح يطالعـه مـن الشُّرفـة يـركل الهـواء بسـخط.

كـم يكـره حلـوان وأجواءهـا، وحتَّـى هواءهـا، يبـدو مزحومًـا حـين تستنشـقه رئتـاه، فـلا يكـون هـواء. اندفـن مـع المُشـاة في ذلك السـوق العشـوائي قـرب المـترو، والبـشر يسـيرون وكأنّهـم يتدافعـون ولكنّهـم لا يتدافعـون، هـم فقـط مثقلـون بالحيـاة. أخـرج هاتفـه يتصـل بأمـيرة،

لكنّهـا لم تجـب. فضاقـت بـه الدنيـا عـلى وسـعها. فعـاد ينظـر إلى السَّـماء في تعـب، فسـقط عـلى جبينـه شيء حديـدي صغـير. فتـأوه مـن الألم وهـو ينظـر أسـفله ليجـد ربـع جنيـه "مخـروم". راح يفـرك رأسـه وهـو يتناولـه مـن الأرض فرحًـا.

- "دي علامة يا مارد"

راح يحادث نفسه بصوت مرتفع.

كيـف تـأتي سـعادة الدنيـا بأصغـر الأشـياء؟ هـل لأنهـا تـأتي سـهوة أم وقـت الحاجـة؟ هـل لأنّنـا نتـوق للقناعـة؟ القناعـة التـي بهـا تكتفـي الـروح وتـرضى، القناعـة التـي نكتفـي منهـا فنسـتغني.

نظـر للعملـة المعدنيـة فرحًـا، وتنـاسى ألم جبينـه، وهـو يضعـه في محفظتـه في خانـة خاصـة، لا شـك في أنهـا علامـة إلهيـة، وإذا بنفسـه تهـدأ، وروحـه تسـتكين.

لربما هي علامة بخير قادم له، أو بُشرى طيبة لأمر طيب.

عـاد لمنزلـه، يحمـل بطيخـة كبـيرة. واسـتقبلته أمـه فرحـة ودعـوة عـلى شـفتيها لـه بالهدايـة.

- "فين الحج أومال؟"

سألها باسمًا.

- "لسه في البلكونة جوا"

أجابتـه وهـي تتنـاول منـه البطيخـة لتقـوم بتقطيعهـا مـع الجبنـة البيضـاء كـما تحـب العائلـة. اتجـه أمجـد إلى الشرفـة، ليجـد والـده حيـث تركـه، واقفًـا، ولكنّـه أشـعل سـيجارة، ليشـعل معهـا عمـرًا مـن عمـره.

- "يا حج. . "

ناداه معاتبًا.

فالتفتَ إليه أباه، لكنّه لم يرد. فاقترب منه أمجد وراح يسند على السور بذراعيه مثله وقال:

- "كان نفسي أكون أنجح واد فيكي يا حلوان، بس عارف لمّا الدنيا تمشي بظهرها؟ عارف لمّا تبقى زي العيل الصغير اللي ماسك في طرف هدوم الحياة تقوم شاداه منك وتسيبك تقع لوحدك؟ لا وإيه. . لازم تقف لوحدك. صدقني يابا حاولت. مرتبي ٢٠٠٠ جنيه في الشّهر، ولا بيزيد ولا بيقل. كنت هجيب شقة منين؟ حتَّى الجمعية اللي طفحنا الكوتة عشان نجمعها، جُم ولاد الحرام وسرقوها. تخيّل بقا لو مكنش الشّرقاوي وقف جمبي، كنت هجيب شقة منين؟ . بس ده مش معناه إني مبسوط يا بابا، أنا ظهري مقسوم نصين عشان هدخّل أميرة في شقة أنا متعبتش علشانها، حاسس إني راجل مطعون في أغلى حاجة عنده. . رجولته. وصابر يابا وبدعي ربنا. غيرنا مش لاقين سقف يستر عليهم"

- "خلصت الخطاب والشويتين بتوعك؟"

- "إهدى بس كده يا بابا"

- "ليه شايفني مجنون ولا مجنون؟"

فأتى صوت أم أمجد من الداخل تقول:

- "جرى ايه يا سامح؟؟ إهدى ع الواد أومال وتعالى كُل بطيخ من اللي جابه. . قشطة"

فنظر والده إليه وقال بازدراء:

- "بطيخ؟! أهو ده آخرك. . بطيخ"

الروحُ حين يكسرها أب لابنه يكون طيفها مريرًا كافٍ ليحدث عاهة مُستديمة فيها. الأب ما هو إلا واجهة لطفولة ابنه، وانعكاس لوجوده القادم والسابق. هناك رجولة مشتركة بينهما، تبدأ حين يظهر جنسه في بطن أمه، "ولد". هي علاقة احتواء، أحدهما يحتوي الآخر، فكيف يكون المُحتَوِى أشد قسوة على المُحتَوَى؟ أليس هو القالب الذي من المفترض أن يلين حتَّى يتجسد المُحتَوَى بداخله ويهنأ لوجوده؟

كانت كلها نظرات انكسار كالشَّرر تُصيب والده، الذي أشاح بيديه قبل خروجه من الشُّرفة. لم ينظر أمجد إلى السَّماء هذه المرة. بل خرج من المنزل صامتًا وهو يتحسّس العملة المعدنية في حافظته الجلدية، متسائلًا: هل الأجمل لم يأت بعد؟

لحظات واتصل به الشّرقاوي، يُخبره أنه ويزن وعبدالله ينتظرونه في المقهى المعتاد بمحمد نجيب. فتوجه فرحًا إلى المترو. . والبشر يسيرون وكأنّهم يتدافعون ولكنهم لا يتدافعون.

*****

٣٨

- "مين اللي رسم الصورة اللي في أوضتك دي؟"

كانت تلك لبنى، تسأل ابنة أخيها بهدوء وهي تنفث الدخان عاليًا. نظرت صوبَها فرح وهي واقفة أمام المرآة تُعيد تهذيب خصلات شعرها متوجهة للملهى الليلي المُعتاد. قالت بذات الهدوء:

- "حلوة صح؟"

- "بسألك مين رسمها واترسمت إزاي؟"

- "آآآآآآآآه"

أجابتها فرح بسخرية، ثم قالت:

- "مين رسمها دي ملكيش علاقة بيها مع احترامي الشديد ليكي، اترسمت إزاي. . فمتقلقيش، دي من خيال الرسام زي ما هو واضح، يعني أنا من الآخر موقفتش عريانة قدام حد"

كانت لبنى تحرك قدمها وهي فوق الأخرى، صمتت قليلًا قبل أن تقول:

- "انتي بتحبي جديد؟"

- "ياسر جالك قريب؟"

- "هي بقت كده؟"

- "آه. . ياسر جالك قريب؟"

- "ملكيش دعوة. ."

- "بـصي. . أنـا مـش فـارق معايـا تشـوفيه ولا لأ. . المهـم مقابلاتكـو متكونــش هنا"

- "لسه بتحبيه. . ؟"

كان ســؤالًا صاعقًــا بالنســبة لفــرح، مــن أعلنــت حــدادًا عــلى العشــق والعاشــقين يــوم عرفــت حبّــه. كيــف ســتُجيب عمّتهــا الآن عــن هــذا الســؤال؟ عمّتهــا. . مــن خانتهــا. . معــه.

صمتـت قليـلًا فـرح قبـل أن تجيبهـا، لـو كانـت عـلى حالهـا القديمة -قبـل معرفـة يـزن- لكانـت أعلنـت حروبًـا طاحنـة عـلى عمّتهـا. لكـن الآن أصبحـت معرفـة يـزن مقترنـة اقـتران كلي وغـير مفهـوم بالسّـعادة المخمـورة بالجنـون. تبـدو الأشـياء بقربـه أجمـل، هـي المؤمنـة بمبـدأ أن كل الأشـياء تبـدو مـن بعيـد أجمـل. الآن أصبحـت كافـرة بهـذا المبـدأ، وتشـتهي قربـه.

لم تســمح لفــرس الغضــب بداخلهــا أن ينطلــق باتجــاه لبنــى، وقالــت بهــدوء مكتســب مــن يــزن:

- "ســؤال لا يســتحق الإجابــة. . مــين ده الــلي لســه بحبــه؟ يــاسر؟ الــلي خــاني معــاكي؟ واتجــرأ أنــه يمــارس دور الحبيــب معــاكي عــلى حســاب قلبــي؟ يــاسر الــلي حــاول يتعرضــلي بــدل المــرة ألــف لمــا كنتــي بتســيبي معــاه مفتــاح البيــت؟ يــاسر الــلي محاولتيــش تمنعيــه عنــي، وســيبتيني أنــا الــلي أغــير مفاتيــح الشّــقة وأعملــه محــضر بعــدم التعــرض. لا يــا لبنــى. . أنــا مــش بحــب يــاسر، ولا بقيــت أشرب مــن بعــد حبــه، وأبقــى مدمنــة كحــول"

كان تصريحًا قاسيًا تلقته لبنى بثبات، وابتلعته رئتيها مع سحاب الدخان، ولم تعقب. . إنّما شردت مع الأمس، وغابت في طياته وثناياه، وكأنّ الأمس عنكبوتي الهوى، أمس سجنها في شباكه العنكبوتية، وها هي في انتظار الهلاك، أو معجزة. لكن هذا ليس زمن المعجزات أحبائي، المعجزات هي كذبة أنيقة نكذب بها على أنفسنا، المعجزات كانت في زمن الأنبياء، ونحن لسنا بأنبياء، أو أنّنا. . أنبياء، ولكن بلا معجزات.

لكنّها لم تكن الوحيدة التي غرقت مع الأمس، ففرح هي الأُخرى، لم تكن مُستعدة بعد للتخلي عنه، كما لم يكن الأمس مستعد للتخلّي عنها، هما في حالة انصهار مع الآخر، انصهار حدّ التوحد.

"١"

المكان: قاهري الهوى

الزمان: ذات وجع

فرح، حيث كانت أنثى بروح طفلة مغامرة، تُثير ببهجتها مقاعد الدراسة الجامعية في الجامعة الأمريكية كلية إعلام، حيث عشقت المجال مُنْذُ كانت طفلة، وكانت تعشق الوقوف أمام المرآة وبيدها جهاز التحكم في التلفاز وكأنّه ميكروفون. تتخيل نفسها تخاطب وتستضيف البشر، وتحاورهم، وتشاكسهم، وتثير حفيظتهم. تتخيل نفسها قريبة كل القرب منهم، وكأنّها صوتهم حين لا يوجد ما يُقال.

وكان والديهـا قبيـل وفاتهـم، درعهـا ومأواهـا، مـن شـجعوها حبًـا، وآزروهـا عشـقًا. كانـت تلـك فـرح، قبـل أن ينهـش روحهـا المـوت. كانـت الحيـاة تبتسـم لهـا بشـكل يُثـير الريبـة. ظنّـت عمرهـا محظوظـة، أو مُكرّمـة مـن الحيـاة. لكـن للحيـاة قصـص أخـرى وخَبايـا تصفعنـا عـلى حـين أمـان، عـلى حـين سَـهوة.

وفي السـنة الأخـيرة في الجامعـة، مـرّ بقلبهـا يـاسر. المُعيـد الوسـيم في الجامعـة، مَـن كان يتكفّـل بتعليمهـم فنـون الالقـاء وإدارة الحـوار، لكنّـه لم يتكفـل سـوى بفنـون جعلهـا تهـوي في حبـه، ليديـر قلبهـا. وكـم أداره!!

كان فارسًـا عـلى جـواد أبيـض، تهنـأ الـروح لرؤيـاه، كان حبيبًـا وصديقًـا وأخًـا وأبًـا. ولكـن، دومًـا للواقـع قصتـه الخاصـة، قصـة أشـدّ وجعًـا مـن أصواتنـا حـين تقصهـا. للواقـع دومًـا حسـابات أخـرى. ومـرّت الأيـام وبـارك الأهـلان قربهـما. وبـارك قلبهـا وجـوده كنبـض مسـتديم فيـه.

وأتى صيف لا ينسى. . .

حين تشتهي الأقدار إيلام أبنائها. . .

سـافر أبويهـا في رحلـة لـشرم الشـيخ، وعـلى الطريـق السريـع انتهـت الحيـاة، وأعلـن قلبيهـما إيقـاف إيمانهـما بالحيـاة. . وبـدأ اعتنـاق المـوت. .

وحلّـت الفاجعـة، ودقّـت أجـراس المـوت، وحلّقـت الملائكـة بعيـدًا وجناحيهـا. وطلّـت ملائكـة المـوت وجناحيهـا. . تضـمان. . فـرح، مـن خلـت روحهـا مـن الفـرح.

وحـين يمـوت الأحبّـة، نُلقـي بأنفسـنا إلى خـير مـأوى، أو شر تهلكـة. . هروبًـا مـن المـوت.

ويـاسر لم يكـن سـوى التهلكـة. . إذ لم يخلـص في نوايـاه. انتقلـت بعدهـا بفـترة، الأرملـة السّـوداء، لبنـى، تعيـش معهـا بعـد انتقـال فـرح مـن بيـت العائلـة، لشـقة خاصـة.

وبطبيعـة الأحـوال توطـدت علاقـة لبنـى بيـاسر كثـير الـتردد والاطمئنـان عـلى فـرح.

ومضـت الأيـام، وفـرح تشـتهي أن تُعـافى روحهـا، وبـدأت تقـف عـلى قدميهـا وإن كانـت عزيمتهـا مكسـورة. إلا أنهـا أبـت أن تقتـل الحلـم، حلـم والديهـا بـأن تعتـلي عرشًـا إعلاميًـا ذات يـوم. فاجتهـدت وصـبرت وتصـبّرت. . . في حـين تمـرد يـاسر، الـذي لاحظـت عليـه تغيـيرًا جذريًـا في شـخصه. نظراتـه لم تكـن هـي نظـرات الـدفء، أصبحـت شـهوانية عنيفـة، يديـه، وقبلاتـه لم تعـد نابعـة عـن حـب، إنمّـا شـهوة. صوتـه وهمسـه ليـلًا حـين يحادثهـا هاتفيًـا، أصبـح مشـكوكًا في نقائـه. حاولـت أن تنهـره وتعنفـه، فيهـدأ، لكنّـه سرعـان مـا يعـود لخلقـه الأول. ولكنّـه الحـب مـن يجعـل الحبيـب كامـلًا ولـو كان إبليسًـا، هـو إبليـسٌ جميـل وأنيـق في نظـر الأحبـة، وهكـذا كان يـاسر في قلـب فـرح. وكـم أعماهـا حبـه.

كانـت تمُنّـي نفسـها بأنّهـا فـترة وسـتنقضي، وأنـه شـاب كباقـي الشـباب. .

إلى أن خرجـا سـوية وكانـا في السّـيارة معًـا في طريقهـما إلى العـودة. . حـين وعدهـا بـأن يصبـح أفضـل، وبحـب صدقتـه. توقفـا أمـام منزلهـا:

- "هوريكي حاجة. ."

نظرت إليه باسمة وهو يقلب في هاتفه وهو يمده لها، وأردف قائلًا:

- "خدي شوفي ده. ."

ناولها إياه، فأخذته باسمة، راحت تنظر إلى الشاشة للحظات وهي لا تدرك ماذا تشاهد تحديدًا. . . إلى أن شهقت فجأة:

- "أنت اتخبلت في عقلك؟"

- "إيه بس يا موز. . مالك؟"

فصرخت به قائلة:

- "مالي؟! بتفرجني أفلام جنسية. .؟"

- "اهدي بس. . أنا قلت أفرجك عادي عشان تشوفي الدنيا فيها إيه"

واقترب منها يريد أن يأكل شفتيها كحبة تين، لكنها أبعدته عنها بشراسة، حاول أن يلجّم يديها لكنها صفعته، وخرجت من السّيارة بغضب:

- "امشي يا ياسر من قدامي السعادي"

- "يا فوفي أنا خطيبك انتي بتعامليني كده ليه؟! فكيها شوية."

- "مش طايقة أشوفك دلوقتي. ."

وتركته وصعدت إلى شقتها، والأرملة السوداء لبنى تطالعهم من خلف الستار. دخلت غرفتها مهمومة به وهي لا تدري أين

هـو الإثـم الـذي اقترفتـه. . أم أن حبـه هـو إثمهـا؟ . وفي تلـك الأثنـاء، صعـد يـاسر إلى الشّـقة أيضًـا، وكانـت لبنـى مـن فتحـت لـه البـاب. .

كانــت ترتــدي روبًــا حريريًــا يصــل إلى ركبتيهــا، يظهــر كتفيهــا العريضــين وزوجــا البرتقــال الاســتوائي بشــكل ملحــوظ، أمــا ســاقيها فكانتــا لا تشــوبهما شــائبة، كــم أحســن الإلــه في خلقهــما. دعتــه للدخــول. وجلســا في الصالــون، ســألته:

- "حصل إيه بس تاني؟"

- "بتخــاف منــي. . وقافشــة عليّــا وعــلى نفــسي ولا كإني خاطبهــا وهنتجــوز كــمان شــهر"

- "معلش هي بس على أعصابها اليومين دول. ."

ثم صمتت قليلًا وقالت:

- "بس أنت برضو شقي. ."

وابتسمت بمكر لرجولته الطاغية.

وقابل ابتسامتها الماكرة بأخرى مُستقبلة، وقال:

- "شــقي إيــه بــس. . ده أنــا غلبــان. عارفــة. . ســاعات بحــس إنهــا مــش بنوتــة كــده، مــش قصــدي شــكلا، هــي زي القمــر، بــس بحســها ناشــفة، زي صاحبــي بــركات كــده"

وإذا بلبنى تضحك عاليًا بدلال، وتقول:

- "لا مــش قــوي كــده. . هــي بــس محتاجــة تفكهــا شــوية زي مــا أنــت قلــت"

وراحـت تضـع قـدم فـوق قـدم فيرتفـع الـروب أعـلى ركبتيهـا وكأنّها تدعـوه لرؤيـة بيـاض سـاقيها لؤلـؤي الهـوى، فقـال وهـو سـارح في ملكوتهـا:

- "أنـا مـش عـارف هـي مطلعتـش زي عمّتهـا ليـه. . إنتـي عارفـة. . لـو أنـا أكـبر بعـشر سـنين. . كنـت خطفتـك"

كان غـزلًا صريحًـا، لكنّـه أوجعهـا. العمـر بالنسـبة للإنـاث بعـد عمـر الأربعـين يصبـح حساسًـا، وكأنّـه خنجـر في أنوثتهـا. وهكـذا كانت لبنـى، الأربعينيـة الجميلـة، التـي تتمنّـى لـو عـادت وجسـدها وروحها إلى سـن الثلاثـين ولا تكـبر قـط، كامـرأة خالـدة الجـمال، أو مصاصـة دمـاء لا تشـيخ أبـدًا. لكنّهـا تتجـه لحقـن البوتوكـس والكولاجـين ترجـو منهـا أن تخفـي سـنين العمـر وآثـاره عـلى العينـين والخدّيـن، وخطـوط الضحـك، وعلامـات الغضـب.

ومـن هنـا بـدأ الكيـد. . فكيـف لـه أن يـأتي بذكـر العمـر في حضرتهـا؟ هـي مـن تـرى نفسـها ملكـة. . كملـكات الإغريـق، يسـحرن العقـول والأبصـار.

وإذا بهـا تنقلـب زليخـا، امـرأة العزيـز، لـتراود فتاهـا عـن نفسـه، لكنّـه مُسـتقبِل، مرّحـب. .

تـرك أبـواب الوَلَـه مفتوحـة لهـا عـلى مصراعيهـا، بـل راودهـا بعينيـه عـن نفسـها، ولم يعتصـما.

انضمـت لهـما فـرح، وقـد غـيرت ثيابهـا، كانـت عينيهـا مغطـاه بالماسـكارا المعطشـة بدموعهـا. قالـت بثبـات:

- "أنا مش عايزة أكمل مع إنسان زيك، خد دبلتك. . واتفضل من هنا مش عايزة أشوفك تاني"

نهض ياسر غاضبًا، وكأنًها تهين رجولته أمام أنوثة لبنى الطاغية، وراح يسب ويلعن ويتوعد. ثم أطبق من خلفه الباب، فعادت فرح لبكائها، فاحتضنتها لبنى بصمت، وهي تفكر جديا ب: "هيتَ لك"

****

٣٨

"٢"

المكان: لا يهم. . فالوجع كله واحد

الزمان: هل سيحدث هذا فارقًا؟!

كيف تصبح العاشقة عاشقة برتبة مُدمنة، تغفر الخطايا وتنسى الذنوب، وكأنّها قديسة، ولكن قديسة منقوصة، أصابها عَطب روحاني، اسمه إثم الحبيب!

وهكذا ظلّ إثم ياسر يتدلّى على عنقها، فيثقله، وإذا بروحها تتلاشى تدريجيًا. . ولكنّها مع هذا. . تحبه. .!

ظنّت أنها بهجرانها له تعاقبه، وأنّه سيعود إليها شيخًا تائبًا يطلب رضاها وعطفها، ظنّت أن القسوة هي الحل، وإن كانت

تتآكل داخليا. . إلا أنّها ادّعت الصمود في سبيل العشق، إذ العشق يستحق منا القسوة أحيانًا. . لكي يحيا ولا يقتله العطف.

ولدى هجرانها إياه. .

أثقل اليتم كتفيها، ولكنّها لم تتنازل قط أن تحادثه، لكن غيابه كان يقتلها. .

وكانت أخرى. . أنثى تنتظر. . على قارعة هجران.

وذات فاجعة. .

عادت من جامعتها مبكرًا، استغنت عن حضور المحاضرة الأخيرة. . وقد أيقنت أنه يعاقبها بالفعل إذ تم استبداله بمعيد بديل مؤقت.

دخلت شقتها مُثقلة به، جلست على أحد المقاعد، جالت بناظرها على سَهوة على الطاولة، فوجدت مفاتيح سيارة ياسر. لم تستوعب أنه موجود إلا حينما وجدت حذاءه قرب الباب.

قادتها قدماها إلى الداخل بجسد مُغيب، إلى غرفة لبنى. . كان الباب مفتوحًا النصف، دفعته بهدوء. .

لتجد حبيبها وعمّتها يتبادلان الهوى. . . . .

والخطيئة تهبط وتصعد معهما في عُجالة. . .

شهقت. . وكانت شهقة أقرب إلى الموت. . وقفت تطالعهم وهم يداروا سوءاتهم بأغطية لا تقل فُجرًا عنهم، كانت تشهق وطفولتها تشهق أنفاسها الأخيرة إثر هذا المشهد المُفزِع.

كان مشـهدًا لا يحتـاج صراخًـا، أو كلام. . شـهقاتها كانـت تكفـي. لم يـبرر أحدهـم أي شيء، كانـت لبنـى تجلـس عـلى طـرف السريـر، ويـاسر يقـف قبالتهـا، وكلاهـما يطالعـان الأرضيـة، هـل تمنيـا لـو انشـقت وابتلعتهـما. . مـاذا كانـت أمنيـة فـرح يـا تـرى نظـيرًا لأمنيتهـما؟

خرجـت مـن الغرفـة وقـد اكتفـت باستنشـاق العُـري والخطايـا، وخرجـت بـلا وجهـة تحـصي وجعهـا وقـد تشـابه في نفسـها الحيـاة والمـوت. . الوجـع والفـرح أصبحـا سـيّان، بـل إنّهـا أصبحـت موبـوءة بالوجـع لا غـيره، تشرّبتـه مسـامها، استنشـقته رئتيهـا، غمـر عمرهـا غمـرًا ولم يقـصر.

بلـغ الألم مبلغـه، وزُهقـت الـروح غـدرًا، كالمـوت حـين يـأتي فجـأة بـلا مقدمـات، فيطلـق أشـباحه في الجـوار تدنـدن معزوفاتهـا المُميتـة، فتصيـب شرايـين الحيـاة، تخنقهـا خنقًـا، تُثـير روائحهـا القاتلـة، تـزجّ بالسـعادة في زنازيـن الغيـاب، ويكـون الحكـم غيابيًـا عـلى شَرف الوجع. وهـل للوجـع شرف؟ الوجـع دومًـا لا شرف لـه، هـو ابـن خطيئـة، يـأتي في الأوقـات التـي نتوقعهـا الأقـل، ولا نرجوهـا الأكـثر. يـأتي دون دعـوة كضيـف ثقيـل الظـلال يجـبرك جـبرًا عـلى اسـتضافته وقلبـك خاويًـا لا شيء بـه لتقدمـه لـه، لكنّـه مـع هـذا مُحتـل، لا ينفـك يحتلـك وكأنّـك قُدسَـه، وكأنّـك أرضـه المقدسـة التـي يقتـل خيراتهـا الخـضراء، يحـرق ورودهـا، يُسـبي سـماءها، يغتصـب روحهـا. . هـذا هـو الوجـع، ابـن خطيئـة.

خرجـت مـن السّـيارة وهـي لا تـدري كيـف وصلـت إلى الكورنيش. . دعاهـا النيـل لتتقاسـم وجعهـا العـربي معـه. وقفـت أمامـه. . تطالـع الغيـاب، ونسـيم الهـواء لا يشـفيها. لم تبـكي، الدمـوع أحيانًـا لا تُسـمِن ولا تُغنـي مـن راحـة، تصبـح كقلتهـا. تمنّـت لـو تُمطـر السَّـماء. . المطـر

سـيكون جميـلًا لـو كان يهطـل صيفًـا، ليخفـف ضجيـج الشـمس، والقلـوب المحترقـة، لكنّـه لا يهطـل.

أمسـكت سـور الكورنيـش المشـتعل، لكنّهـا لم تكـترث، وكأنّهـا تريـد أن تتـذوق جهنـم. . هـل سـيقبلها اللـه؟

راحـت تتسـلق السـور كالمنومـة مغناطيسـيًا وقـد عزمـت عـلى المـوت ولا شيء سـواه. .

صراخ. . عويـل. . بعـثرة. . واحتشـد النّـاس حولهـا وقـد وصلـت إلى الجهـة الأخـرى وهـي لا تـزال مُمسـكة بالسـور بعـزم يخلـو مـن الحيـاة. كـم بـدا المـوت شـهيًا في ميـاه النيـل. راحـت تمنّـي نفسـها أنّهـا حـين تلقـي بنفسـها في النيـل وتزهـق روحهـا، سـتهرب روحهـا لعـالم مـوازٍ آخـر، تصبـح فيـه حوريـة ربمـا، أو جنيـة بجناحـين. .

فـردت ذراعيهـا. . وأغمضـت عينيهـا. . ووسـط توسـلات النّـاس، ورهبتهـم. . قفـزت تعانـق المـوت، ولم تبـالي.

لكـن المـوت لم يسـتقبلها، بالرغـم مـن أنّهـا أحبـت معانقتـه، اسـتيقظت لتجـد نفسـها بإحـدى المستشـفيات، بوجـود مُمرضـة وفتـاة جامحـة لا تعرفهـا تنـادي:

- "كريم. . كريم. . أهي صحيت يا كريم. ."

نظرت بإجهاد صوبَ الباب لتجد المدعو كريم. .

- "انتي عاملة إيه دلوقتي؟ إنتي كويسة؟"

سألتها الفتاة الجامحة. . فأجابت فرح بتعب:

- "انتي مين؟"

- "أنا أيتن وده كريم. . اللي أنقذك ونط وراكي"

كانت فرح تشعر بالغضب اتجاهه، لكنّها لم تعقب، إذ أطبق الوجع على غضبها.

ومن هنا كانت البداية. . وإنْ كان خالطها الموت، حتَّى الموت بعده حياة.

وتأتي الصدف أحيانًا بما تشتهي القلوب، أيتن وكريم مجهولان، أمدا لها يد الحياة، وكانت صداقة أخرى على نخب جنون. كلاهما خريجي كلية إعلام، وكان كريم مدعوم إعلاميًا، وله أقارب هنا وهناك، يستطيعون دفعه للإمام بكلمة في أذن مسؤول، وقرش في جيب آخر. واستطاع أخيرًا أن يصل إلى أحد القنوات في مبنى الإذاعة والتلفزيون، وأن يكون بمساعدة أيتن أحد مُعدّي البرامج الصباحية التي بدا لها جمهور صباحي أنيق. .

استطاعت فرح مع الأيام أن تبتلع غضبها، وأن تستقبل الحياة مجددًا، وإن كان بلا أمل.

عملا على تجنيدها، وإبعادها عن عمّتها التي حاولت جاهدة أن تسترضيها. لكن للخيانة قصص أخرى لا تموت.

مضت سنة، عاشت فيها فرح قرب أيتن وكريم احتضناها، وإن كانا غير قابلين لذلك كليًا إذ سرعان ما علمت بإلحادهما. . لكنّها ظلّت تحمل الجميل. . أقلّه لتنهض من جديد.

تخرَّجت، وانغمست في التدريبات الإعلامية، وإذا بها تتحوّل إلى آلة أصاب روحها عَطب دائم. لذلك وجدت نفسها ذات ليلة

تعـود لعمّتهـا في زيـارة مفاجئـة، ليـس للحنـين. . بـل لأن الأمـر مـا عـاد يؤلمهـا.

شـلّ نبـض لبنـى لـدى رؤيتهـا لابنـة أخيهـا، لكنّهـا لم تسـتطع أن تعانقهـا. الذنـب كان أثقـل تلـك المـرة. .

- "إزيك يا لبنى؟"

استغنت فـرح عـن لفـظ "عمتـو"، ونادتهـا باسـمها عاريًـا، كـما رأتهـا عاريـةً آخـر مـرة. ابتلعـت لبنـى دهشـتها وقالـت:

- "بخير. . اتفضلي"

دخلـت فـرح إلى الشّـقة بثقـة، وراحـت تطالـع التغيـيرات الهائلـة التـي حدثـت في الشّـقة، وقالـت:

- "مممممـم. . بيـج. . كان بيحـب البيـج قـوي. إنتـو لسـه مـع بعــض؟"

- "وحشتيني يا ليلى. . وكلي فخر بيكي وباللي وصلتيله"

- "إنتو لسه مع بعض؟"

صمتت قليلًا لبنى قبل أن تجيب بانكسار:

- "زي مـا خنتـك خـاني، مـع الـلي يسـوى والـلي مـا يسـواش، وبقـى يعايـرني بالخمسـتاشر سـنة الـلي بينـي وبينـه ويتريـق عليَّـا لمّـا منعـت عنــه الفلوس"

فإذا بفرح تضحك بسخرية قائلةً:

- "يـاه. . هــو كــمان كان ناهبــك زي مــا كان ناهبنــي؟ صحيــح الزبالـة زبالـة طـول عمـره. أظـن إن انتـي اتعاقبتـي كفايـة يـا لبنـى، أنـا راجعـة الشّـقة بكـرا، بـس لازم اللـون المقـرف ده يتغـير"

- "سامحيني. . ."

- "ربنا يسامحك. ."

- "فرح. ."

فنظرت إليها فرح بجمود وإذا بلبنى تقول:

- "أنا مريضة بيه، ساعديني اتخلص منه، ده لعنة"

فرفعت فرح حاجبًا وقالت:

- "مش انتي قلتي خانك يا سوسو؟ مش عارفة تتخلصي منه ليه؟"

وتوجهــت تجلــس عــلى الأريكــة حــين وجــدت عــلى الطاولــة زجاجــة فــودكا خاليــة.

- "يااااه. . وكمان بتشربي؟"

لحظـات وإذا بأحدهــم يفتـح البـاب، وكان يـاسرًا، وكأنـه سـيد البيــت.

تفاجئـت فـرح مـن هـول المفاجـأة ولم تنطـق للحظـات قبـل أن تصيـح قائلـة:

- "وكمان معاك مفتاح شقتي يا معفن؟؟ الله الله يا ست لبنى"

فانقضت لبنى على ياسر تدفعه للخارج وهو يصدها قائلًا:

- "اصبري يا سكرانة يا بنت المعربدين"

وإذا بغضب فرح بداخلها يصحو فجأة، وإذا بدمائها تنتفض لعمّتها ولو متأخرًا، إذ لعمّتها عينا وبحّة صوت والدها، فعاد الحنين. فانقضّت عليه هي الأخرى قائلة:

- "متقولش على عمتي سكرانة يا واطي يا عديم الرجولة. اخرج برا لألمّ عليك الخلق يقطعوك يا خاين يا شحات"

ودفعتاه خارجًا، وهو يضحك كالمجانين ساخرًا منهما. وأقفلتا الباب فضربه من الخارج قائلًا:

- "كنتي فين ليكي سنة؟ ماشية على حل شعرك مع مين؟ وعايشة مع مين يا بتاعة البرامج الصباحية. إنتو الاتنين أنجس من بعض"

وضرب الباب مجددًا. . واختفى أثره.

- "سامحيني على كل حاجة. . ربنا بياخد حقك مني"

فنظرت فرح إليها بعينين دامعتين، وقالت:

- "بالضبط. . ربنا. . منك لربنا. ."

لله الأمر من قبل ومن بعد، كل شيء عنده بمقدار، له حكمة التدبير، أمره بين الكاف والنون. . وبينهما الخلق جميعًا. .

٣٩

تصبح الأماني مرهقة، حين يطول انتظارها، وكأنّها الجنين الذي آثر أرحام الأبدية، ولكنّه ذاك المخاض الأبدي الذي يقسمنا النّصف، كم مرهق هو ذاك المخاض، الذي لا فرج بعده. وها هي الأجساد مُثقلة بالأماني، وغربة الانتظار.

كانت أميرة تودع انتظار الأمنيات، وتلحق بدورها نجمة على "بساط حلم".

أحيانًا تأتي الفرص، حين نتقن الاستغناء، كم يبقى طعمها مرًا، حتّى وإن اكتفينا، ولكن مرارتها لا تكمن في انتظارنا لها مسبقًا، بل في روحنا حين كانت توّاقة تشتهي فرحًا، ولم يأت الفرح، عن كسرة النفس تلك، ولوعة الأمل.

ولكن يحدث حين نستغني عن الفرص، أن يأتي الحلم، على "بساط أمنية".

- "براحة يا بت يا آمال. ."

- "آخر مرة عملتي وشك كانت إمتى؟ إنتي مشجّرة يا بنتي!"

كانت تلك الكوافيرة آمال، من ترتاد لصالونها المتواضع أميرة، بين "النتف" والآخر.

أجابت أميرة:

- "هو أنا بلاقي وقت. . ؟"

- "يا بنتي لازم تلاقي وقت. . وشك جميل حرام متهتميش بيه ."

- "المهم اتخطبت عن حب عاصف وحبيبي بيحبني زي ما أنا بشيجيراتي وحشائشي كده".

وأطلقت ضحكة مرحة تلائم الأجواء هنالك، فقالت آمال:

- "يخيبك. . إيه اللي كسر سنتك كده يا بت؟"

فتبدّل وجه أميرة الضاحك، إلى آخر عابس وقالت:

- "متفكرينيش والنبي. ."

وسافر عقلها إلى جزرة مشؤومة وألم أسابيع.

قالت آمال وقد انتهت من وظيفتها:

- "مش عايزة تصبغي شعرك؟ الجذور محتاجة صبغة"

- "لأ مش دلوقتي. ."

ثم صمتت قليلًا وقالت:

- "النيولوك الجديد هيبقى قبل الفرح بإذن الله"

فشهقت آمال وضربت صدرها قائلة:

- "إيه ده حددتوا معاد خلاص؟ بدري كده؟"

فقامت أميرة بتحريك كفها اتجاه وجه آمال قائلة بامتعاض:

- "الله أكبر، خمسة وخميسة. . لسة محددناش حاجة، بس هو قريب إن شاء الله"

- "والشّقة؟"

فبردت روح أميرة، وقالت:

- "ربنا فرجها من عنده. ."

وهكـذا اسـتغنت أمـيرة عـن أشـباح الانتظـار، ولم تـسر خطـوة في اتجـاه الحلـم، بـل سـارت ألـف بـرزخ.

فابتسمت آمال قائلة:

- "ربنـا يتمـم عـلى خـير يـا روح قلبـي. . واللـه مـا حـد مظبطـك ليلتهـا غـيري"

- "أنا أقدر يا حبي؟! حسابك كم؟"

- "لا عليّا أنا المرادي بمناسبة الخبر السعيد ده"

- "ربنا يخليكي يا لومه. ."

وقفــزت أمــيرة عــن مقعدهــا بطفولــة الفــرح، وخرجــت مــن الصالــون بعــد أن وضعــت قبلاتهــا الكثــيرة عــلى خــدّي آمــال.

يعاتبنـا الأمـس، فإمّـا أن نسـتجيب لـه ونقبـل بحـسرة الملامـة، وإما أن نتركـه بـلا أسـف وقـد أثلـج روحنـا الوجـع. . الـروح حـين تعتنـق الاسـتغناء، فاعلـم أنهـا ذاقـت مـن الخيبـة مـا يكفـي، فاعتنقـت رحيـلًا. . فتـأذن الـروح: أن حـي عـلى الرحيـل.

وفي طريـق خروجهـا وجـدت أمجـدَ هائمًـا عـلى وجهـه يسـير. . نادتـه، فالتفـت إليهـا باسـمًا:

- "مرحتيش شغلك ولا إيه؟"

- "النهارده أجازة يا زهايمر. ."

- "إيه القمر ده؟ نضفتي بقا وكده؟"

- "لأ. ."

- "يا بت وشك وارم ومحمر ومكنش كده امبارح"

- "لا كان كده بس أنت اللي مِحْوِل، تعالى اعزمني على قصب"

- "معييش فلوس"

- "تعالى أعزمك على قصب"

- "هو ده الكلام. ."

فأمسكت يده وسارا في الحارة سوية وقد بارك سكانها لهما عشقهما.

كان يسير إلى جوارها ويثقله الوجع، ينظر إلى نصف وجهها الضاحك وحكاياها الصاخبة، يسمعها حينًا ويشرد حينًا فلا يسمع الكلام. . وعلى حين وجع أسكتها بقولها فجأة:

- "أميرة. . إنتي شايفة إني راجل؟"

فرفعت أميرة حاجبًا ولم تعقّب، نظرت في عينيه فوجدت بقايا دمع قديم، فقالت قلقة:

- "إيه السؤال ده؟"

- "جاوبيني. ."

ثم سكت قليلًا، وقال:

- "هنتجوز في شقة مجبتهاش بعرق جبيني. كان نفسي أفرحك، سامحيني حقك عليّا"

تركت يده فجأة، وراحت تحدق بانكسار وجهه، قالت:

- "إيـه الـكلام ده يـا ميجـو؟ مـش أنـت الـلي قلتـلي إن دي نعمـة مـن عنـد ربنـا، وده تعويـض مـن عنـده؟"

- "أصل أبويا. . . . . ."

فقاطعته بشراسة قائلة:

- "الحج برضو؟ لا إله إلا الله، قال إيه تاني؟"

- "مقالـش. . نظرتـه هـي هـي. . إني فاشـل. وبعـد حـوار الشّـقة، الموضـوع زاد حبتـين"

- "وديني لأنا طالعاله"

وقامـت برفـع عبـاءة الصـلاة تمهيـدًا لخطـوات كبـيرة وأخـرى سريعـة مهاجمـة، إلا أنّ أمجـد أمسـكها قائـلًا:

- "اهدي بس. . أنا بفضفض معاكي"

- "سيبني"

وأبعدت يده عن ذراعه، إلا أنه أمسكها مجددًا:

- "لو بتحبيني. . اهدي. ."

قال كلمة السر، فهدأت باضطراب وقالت:

- "مينفعـش الـلي هـو بيعملـه ده، عايزنـا نعمـل إيـه؟ ننهـب؟ نـسرق؟ مـش شـايف البلـد حالهـا إزاي؟"

- "اهدي. ."

نظـرت إليـه بانكسـار وتنهـدت وكلّهـا قلّـة حيلـة، ورفعـت يدهـا إلى خـده المنكـسرة، وقالـت:

- "هديت حبيبي. ."

فقال في محاولة لتغيير مسار الحديث:

- "بـس علشـان بضعـف وقلبـي الصغـير بيتحـول خشـافاية ف ثانيـة. . فـين القصـب يـا بـت. .؟"

- "آه. . فكرتني. ."

وعـادت تمسـك يـده، باتجـاه بائـع العصـير. فانقلبـت الأدوار، أو ربمـا نقـل إليهـا عـدوى وجعـه، فأمسـت تسـير إلى جـواره محملـة بشـقائه، لكـن أمـلًا بداخلهـا أخبرهـا أن القـادم أجمـل.

ووصلا إليه، اندفعت أميرة تدافع المتجمعين حوله:

- "٢ قصب لو سمحت!"

وإذا بصوت يناديها من جوارها:

- "إزيك يا أميرة؟"

نظرت إلى الصوت، فوجدت أم عوض تطالعها:

- "أهلا إزيك يا طنط؟"

- "بخير يا بنتي. . إنتي لسة عاملة وشك؟"

فاغتاظت أميرة وقالت:

- "بـصي، انتـي تروحـي تقعـدي جمـب بتـاع الروبابكيـة الـلي بـرا ده، وتعـدي ع الحـارة وتقـولي إن أنـا عملـت وشي. . في إيـه يـا جدعـان؟!"

وقامت بأخذ الكوبين، وتركت أم عوض وتساؤلاتها، سألها أمجد:

- "عايزة منك إيه الولية دي؟"

- "ولا حاجة"

- "ابنها لسه بيضايقك؟"

- "لا يا روحي. . خد اشب"

- "تسلمي. ."

فارتوى الظمأ، لكن القلب لم يرتو بعد. . هو قاب قوسين أو أدنى من الارتواء، لكنه لن يرتوي كل الرَّي.

وحين خروجهما صادفا عبدالله الذي تهلّل وجهه لرؤيتهما:

- "يا مرحب يا مرحب بأغلى جيران"

- "إزيك يا شيخ؟"

سألته أميرة، فأجابها وهو يطالع الأرض:

- "بخير يا ست البنات"

فقال أمجد مازحًا:

- "بتعمل إيه؟ بتغض البصر؟"

وانطلقت ضحكاته تشاكسها ضحكات أميرة التي قالت:

- "معلش، خليه، عبدالله ده اللي فاضل من الشباب الطاهرة"

- "طاهرة؟!"

سألها أمجد وأردف قائلًا:

- "أهو بعد طاهرة دي مش عايز أعرفك تاني، طالق بالثلاثة"

وضحك ثلاثتهم. .

- "إيه يا عبدالله، مش ناوي تفرحنا بيك قريب؟"

سألته أميرة باسمة، فأجابها قائلًا ووجهه قد تهلّل فرحًا:

- "والله بكرة الرؤية الشرعية"

- "الإيه يا خويا؟"

فانفجر أمجد ضحكًا وقال:

- "ده الــلي هــو هيزورهــا في بيتهــا في وجــود أهلهــا عشــان يشـوف وشـها وصوابـع رجليهـا، يـا إمـا يرتـاح ليهـا وترتاحلـه، يـا إمـا ميحصلــش نصيــب"

فأطلقت أميرة بسمةً، تلتها:

- "هيييييييييييح"

فقال أمجد:

- "هيـح إيـه بـس؟ عمومًـا ألـف مـبروك يا سـيدنا الشـيخ، واسـمها إيــه بقى؟"

أجاب عبدالله:

- "لا مقدرش أقولك، عيب"

فقال أمجد وهو يحك ذقنه:

- "أنا اللي عايز أقولك كلمة عيب من الصبح"

وقـال هامسًـا دون صـوت بفمـه كلمـة يخيّـل إليـك أنهـا تنتهـي بألــف ممــدودة. . جــدا!

فضحك عبدالله وقال:

- "الله يسامحك، أنا ممكن أقول لأميرة"

ونظر لأميرة على استحياء للحظة، فابتسمت له أميرة وهي تقرّب مسامعها إليه وقد أمرت أمجد أن ينظر بعيدًا، أمجد الذي استقبل طلبها ساخطًا يركل الهواء.

- "رضوى. ."

- "الله. . اسمها جميل"

- "ادعيلي. ."

- "ربنا يوفقك يا عبدالله ويكتبلك الخير يارب، حقيقي إنت من الشباب الطاه. . . . الكويسة والله"

فضحك عبدالله من قولها، ثم صافح أمجد الذي كان لا يزال يزمجر قائلًا:

- "خلاويص يا بيييييييض. .؟"

- "خلاويص. . أمشي أنا بقى. ."

وتركهم واختفى مع المشاة. .

التفت أمجد لأميرة وقال لها:

- "اسمها إيه الأخت؟"

- "مش هقولك ده سر. ."

- "لا والنبي؟ تخبي ع ميجو حبيبك؟"

- "لا والله، بس هو أمّنّي. ."

فراح يعض على شفاهه السفلى سريعًا ويغمض عينيه ويرجوها أن تخبره، فقالت:

- "اسمها دعاء. ."

- "دعاء؟ مممم. . يلا. . أهو شبهه"

- "هروح أنا بقى عشان الغدا عليّا النهاردة"

- "هتعملي إيه؟"

- "مسقعة"

- "قلبي. . آه. . قلبي. . جاي وش، وأمك وحشاني أساسًا والحج وأخوكي العفريت"

فعادت يدها تعانق يده، واتجها سوية إلى شقتها. .

٤٠

كان يزن يقف على الشُّرفة يدخن سيجارة بنَهمٍ، يطالع البشر من العلّيّة، يرأف لحالهم حينًا، يسب جهلهم حينًا. شعر بالعطش فجأة فقام بالاتصال على أحد أصدقائه في محل العصير يطلب منه تمرًا هنديًا، كم يعشقه. وراح يجوب بعينيه هنا وهناك، إلى أن لحظ يسرا تقف قبالة الشُّرفة مع شاب طويل يعطيه ظهره. جُنَّ جنونه، ماذا سيقول عنها سكان الحارة! ألقى السيجارة سريعًا وهرول إليها كالمجنون. ذهب إلى حيث تقف، لم يجدها وكأنّها اختفت أو انشقت الأرض وابتلعتها، راح يتلفت يُمنةً ويسرة بجسد غاضب وعينين حانقتين، لكنه لم يجدها. وفجأة،

تحوّل البشر جميعهم يسرا، يسرا عارية مجددًا كما ولدتها أمها، عشرات. . بل المئات منها، وراحوا يتكاثرون ويخرجون له من حيث لا يحتسب، كجند يأجوج ومأجوج. لم يدر من يستر ومن يُصب جلّ غضبه عليه، لم يقو على الحركة، وكأنه شُلَّ تمامًا، بقي واقفًا يطالع أسراب "يسرا" اللاتي ينظرن إليه ضاحكات، لا يسترهن سوى العُهر. ومن بعيد وجد امرأة ترتدي عباءة سوداء لا شيء يظهر منها، كم تمنى لو تكون يسرا، لكنّها كلما اقتربت منه، أصاب جسده الذعر والفزع، كلما دنت، شعر بالموت يدنو منه. وحين اقتربت منه وأصبحت على مقدار متر منه، لاحظ كم هي طويلة، بل شاهقة الطول، وكأنّها عفريت خرج من كتاب جن، وإذا به يشعر بحرارة في حلقه لم تمكنه من الصراخ، طغت ضحكات أسراب يسرا على المكان، في حين دنى ذلك المسخ منه كاشفًا عن وجهه وإذا بعينيه كلتاهما وجهٌ مصغرٌ ليسرا وحين انفرج فاهُ بدأ يتسعُ تدريجيًّا وإذا برأس تخرج منه وكأنّه بصدد ولادةٍ فموية. . وهاك هي رأس يسرا تحارب للخروج من رحم ملعون. . تلك اليسرا تبتسم. . قائلةً:

هاي

فارتعدت نفسه وراح يبذل مجهودًا عظيمًا ليتلو ما يحفظ من القرآن علَّ هذا الحلم ينتهي:

- "الله لا إله. . . اهدنا الصراط المستقيم. . الله لا إله، إياك نعبدوا وإياك. . . . . بسم الله الرحمن. ."

وراح يصرخ عاليًا، لكنّه بدا يصرخ داخليًا، وكأنّه لا صوت له، فقط جسد هالك، وحنجرة بكماء. وإذا بجند يسرا يختفون،

وتختفـي المـرأة ذات العبـاءة السـوداء، وجـد يـسرا تقـف مـن بعيـد، مـع رجـل طويـل يعطيـه ظهـره، تنظـر إليـه بابتسـامة يحبهـا، وتديـر لـه ظهرهـا وتسـير. . عاريـة!

انتفـض مـن نومـه فزعًـا، راح يطالـع السـقف كالأبْلَـه غـير مـدركٍ لـشيء حتَّـى تظنّـه فقَـد عقلـه، تحسّـس وجهـه مبلـل بالدّمـع، نهـض عـن السريـر وأدرك كـم تؤلمـه عنقـه لشـد مـا كان مشـلولًا في الحلـم. وجـد يـسرا تقـف قبالـة البـاب تطالعـه بقلـق، وهـي تـدري أنـه شـاهد كابوسًـا للتـوّ. . اقتربـت منـه وقالـت وكلهـا قلّـة حيلـة:

- "كنـت جايـة أديـك تمـر هنـدي، ولقيتـك في الحالـة دي، معرفتش أعمـل حاجـة، حتَّـى دلوقتـي مقـدرش أقولـك اقـرأ المعوذتـين أو آيـة الكـرسي، قـررت أكفـر بيـك، لحـد مـا ترجـع تؤمـن بربنـا".

ثـم اقتربـت منـه لتضـع العصـير إلى جـواره، لم ينطـق بحـرف، بـل راح يراقـب خطواتهـا وعينيهـا اللتـين كانتـا تبحثـان عـن مفكرتهـا خفيـة. وخرجـت.

نظـر إلى التمـر الهنـدي، وشـعرها علامـة مـا. لم يقـترب منـه بالرغم مـن جفـاف حلقـه. عـاد يتمـدد عـلى السريـر وهـو يضـع يـده مـن الجانـب الداخـلي للسريـر وكأنّـه يخـرج شـيئًا مـا، فأخـرج المفكـرة، بعـد أن شـق في السريـر شـقًا يخبئـه فيهـا.

نظـر إليهـا كقنبلـة موقوتـة، وكأنّـه يخـشى فتحهـا. وبعدهـا بلحظـات، قـام بتصفحهـا مـن المنتصـف:

((مبهجـة هـي الحكايـا مـن شـفاه مـن نحـب، مدهـش ذلـك التطلـع فينـا لخباياهـم، كيـف ننصـاع للصـوت والشـفاه، كيـف يصيبنـا خشـوع الحـرف والحـرف!! وذلـك الصمـت الأنيـق بـين الحرف

والحـرف، وبعـثرة التفكـير، وترتيـب الجمـل، الجملـة تلـو الأخـرى، لتحيـي مسـامعنا، وتصيبنـا سـكرة الحكايـا))

وفي صفحة أخرى:

((يومًا ما. .

سـمحت لقلبـي أن يعانـق بحـر السَّـماء، وأن يجـوب بـلاد اللـه، سحابة سـحابة، وغيمـة غيمـة. . فوقـف مُطـلّا قـرب عنـق الشـمس ذات مَغيـب، إلى أن شـهد لؤلـؤة القمـر ومراسـم احتفـال النجـوم، وعـاد إليّ آخـر المسـاء، مجهـد بـك. . مجـددًا.

فعلمت أنك. . وبحق لعنتي))

وراح يقلّـب الصفحـات سريعًـا، فوقعـت منـه ورقـة مطويـة، بـدا خطّهـا مختلفًـا، فعلـم أنـه خـط الحبيـب، يقـول:

((وقال لها:

أُحبكِ. . وأحبُّ خمس. .

فأصابها إعصارُ فاحترقت. .

فقال: تريثي. .

نعم أُحبكِ. . وأحبُّ خمس. .

١. فعينيـكي نجمتـان، تضيئـان ليـلي. . حـين يخبـو القمـر غارقًـا وسـط السـحاب. . فليهـرب القمـر، فعنـدي النجـوم.

٢. وشـفاهك الأوطـان حـين يغـترب الفـؤاد، فشـفاهك العلويـة الأندلـس، وتلـك أسـفلها باريـس. . فارحمـي. . فـإني شـهيد للشـفاه.

٣. والعنــق قاتــلي، ممتطــي الصــبر الــذي يرهقنــي، عنــق جميــل كالنخيــل، عنــق غجــري الهــوى يبــارز الشــمس، والقمــر، والأرض، والبحــر، والسَّــماء. . وزهــور الليلَــك وشــقائق النعــمان.

٤. أمــا خطــوط يديــك، فهــي حــين ينتهــي عمــري ويحيــا بــين أصابعــك الجميلــة، تمررينهــا عــلى قلبــي، حــين يختنــق النهــار. . فأســتكين، ولا يختنــق النهــار. .

نظرت إليه باسمة. . وقالت:

- والخامسة؟ ؟

قال:

- روحــك شــقية الظــلال، أحبــك تمرحــين في حدائقــي الكثــيرة، تحيــين الفــرح، تبعثريــن الزهــور، أحبــك مبعــثرة، طفلتــي، غاليتــي. . مــن تجيــد الحــب، صابــرتي المتصــبرة. . مــن تعينني وبهــا عــلى الحيــاة أســتعين))

فراح يزن يسأل نفسه:

- "أختي تجيد الحب؟؟"

كيــف هــذا والحــب حــين يُجــاد فإنــه يُجــاد -برأيــه- سريريًــا. . راح إبليســه يعبــث برأســه. لم يتحمــل أن يقــرأ المزيــد. ووضــع المفكــرة في مخبأهــا حيــث كانــت، إذ قــرّر أن يقرأهــا تفصيليًــا بعــد ســفر ليــلى وأمهــا وأختهــا، حتَّــى لا يثــير فضيحــة.

شــعر بغضــب جامــح، وفضــول قاتــل. . مــن هــو؟ مَــن هــو مــن يســعى لإيــذاب طفولــة صغيرتــه يــسرا؟ شــعرها ابنتــه وليســت أختــه. شــعر باختنــاق مريــر. وأشــعل ســيجارة.

وفي تلك الأثناء كانت ليلى تنتظر ظهور حبيبها، يطلّ عليها، ليشفي روحها المشتاقة. كلما مرّت خمس دقائق، نظرت صوبَ بابه، حتَّى أنها تمنّت لو كانت مكان يسرا تهديه عصير التمر الهندي، لكن أمها لو علمت لكسرت لها عنقها بقلب بارد.

عادت للمطبخ تضع اللمسات الأخيرة على المحشي بأنواعه، باذنجان، كوسة، ورق عنب، وفلفل أخضر. أعدته بحب لحبيبها الذي ينهض دومًا متأخرًا ولا يتناول عادة إفطاره، بل يتناول الغداء مباشرة. .

- "إزيك يا ليلى؟ وحشتيني والله. ."

فنظرت بحب نحو أمه وقالت:

- "وإنتي كمان يا عمّتي وربنا المعبود، مش هتنورينا في البلد بقى؟"

- "والله يا بنتي كلكوا واحشني بس القطر بيبهدلني"

فقالت ليلى:

- "عربية نجيبها لحد عندك يا عمتي، يا سلام!"

فضحكت أم يزن من قولها، وقالت:

- "متتخيليش أنا سعيدة قد إيه إن ربنا كتبك من نصيب ابني محمد. ."

فقالت ليلى:

- "يزن!"

فأجابت أمه باستياء:

- "يـزن ده مـع صحابـه وبـرا البيـت. . لكـن هنـا محمـد عامـر الشـيخ غصـبن عـن أي حـد. أنـا مـش عارفـة الـواد اتخبـل في عقلـه وغـير اسـمه مـن سـاعة مـا أبـوه مـات"

- "بس هو بيحب اسم يزن. ."

- "يحبـه بقـى ولا ميحبـوش، تخيـلي صحابـوا كلهـم بينـادوه بيـزن، هـو قـرّر مـن هنـا، وكلـه اسـتجاب مـن هنـا. . ومـن سـاعتها عايـش بشـخصيتين"

فذعرت ليلى من قولها، وقالت:

- "شخصيتين؟"

فتنهدت أمه قبل أن تجيب:

- "قلبـه قـسي، حتَّـى لمـا بيبقـى حنـين، بيبقـى حنـين بقسـوة، لاحظـت ده مـن بعـد مـا أبـوه مـات، بقـى حـد تـاني يـا ليـلى، بـس عنـدي أمـل إنـه يرجـع محمـد الـلي أعرفـه تـاني. ربنـا يهديلـه الحـال يـا بنتـي".

وانضمت أم ليلى أمينة إليهما وقالت بامتنان:

- "النهاردة تدوقوا أكل بنتي. ."

فنظـرت صوبَهـا ليـلى وشـعرت اتجاههـا بحنـين عاصـف، وتمنّـت لـو أنّ أمهـا تفاخـر بهـا هكـذا حـين يكونـان بمفردهـما.

انضمـت يـسرا إليهـم أخـيرًا تسـاعدهما في إعـداد المائـدة، فقالـت لهـا أم ليـلى:

- "وإنتي يا يسرا، بتعرفي تطبخي؟"

فأجابت يسرا بمرح:

- "بعمل حلويات بس، بس حلويات زي ما قال الكتاب. ."

وراحت تضحك بخجل، فأجابت عمّتها:

- "حلويات بس؟ ولما تتجوزي هتأكلي جوزك حلويات بس؟"

لم تشعر يسرا بالحرج حتَّى وإنْ كان واضحًا إحراج عمّتها لها، وقالت مرحة:

- "يجي بس هو الأول وأنا أعمله كل حاجة"

فنظرت إليها أمها خفية، وراحت تراقص لها حاجبيها وهي تكتم ضحكتها. خرجت عمّتها وليلى، في حين اقتربت يسرا من أمها وقالت هامسة:

- "عمّتي شديدة بس بحبها. ."

- "هي قلبها أبيض. ."

وراحت يسرا تأخذ من أصناف المحشي وتضعه على الصحون بانتظام في حين قالت لأمها:

- "ماما. . مشفتيش المفكرة بتاعتي فين؟"

صمتت أمها قليلًا، وراحت ترجو ذاكرتها أن تسعفها، فقالت:

- "شكلي شلتها هنا ولا هنا وأنا بروق أوضتك. ."

فهدأت تساؤلات يسرا قليلًا، وراحت تقنع نفسها أن المفكرة بأمان، بعيدًا عن متناول يزن. . .

خرجت يسرا تضع الأطباق على الطاولة، في حين انضمام يزن أخيرًا، فانتفضت ليلى لدى رؤياه ورحبت به فقال:

- "أهلاً. "

ثم اقتربت منه وكأنّه تريد بركته ورضاه، وقالت:

- "عايزة استأذن منك إنّ بعد الغدا أنا ويسرا نروح وسط البلد نشتري حاجات، في حاجات هنا مش موجودة هناك"

لم تكن ليلى تريد أن تذهب حقًا، قدر كونها أرادت أن يرافقها ويسرا إلى هناك. لم يجبها في البدء، وراح يطالع يسرا التي كانت تطالعه هي الأخرى، وبعدها بلحظات، قال في تحدٍّ:

- "آه، وماله، روحوا غيّروا جو. بس بلاش تأخير"

وأخذ حافظته التي عادة ما يضعها فوق التلفاز، وأخرج خمسمائة جنيه وأعطاها لليلى، التي أبت في البدء أن تأخذها، لكنّه أصرّ، فأخذتها عن خجل ووضعتها في جيبها.

وجلست العائلة على الطاولة، عدا شمس التي آثرت أن تجلس على الأرض قرب الدُّمى التي أهدتها إياها يسرا. كانت يسرا تجلس قبالة يزن وعلى يمينها ليلى، أما الوالدتان فكانتا تحاوطان يزن.

راح يزن يأكل سريعًا بصمت، بضع من هذا وذاك، وكانت ليلى تطالعه، تتمنّى لو ينطق حرفًا عمّا صنعته أناملها، لكنّه لم يعقب. فقالت بخجل:

- "إيه رأيك في المحشي؟"

رفع ناظره إليها وقال:

- "جميل!"

فقالت يسرا سريعًا وكأنّها قطعة السكر في قهوة الحديث:

- "تحفة يا لولو. تسلم إيدك. . بصي لما سبع البرومبة يطل إن شاء الله، وأحس إني هتدوز قريب، لازم تعلميني كووووول حاجة، وأنا هعلمك الحلويات الشرقي والغربي كلها. هعملكوا النهاردة تيراميسو هتاكلو صوابعكوا وراها"

فراحت ليلى تضحك بخجل، في حين اشتعال يزن. .

سبع البرومبة؟؟

كم تمنّى لو يدخل عقلها ليعرف خباياه، لكن العقل بحر لا نهاية له، لم يخش الغرق قدر أن يعرف كل شيء، لينهي كل شيء، ثم يموت بعدها.

*****

٤١

- "ممكن كمان ربع ساعة وأقابلك في أي كافيه في مول العرب؟"

كان ذلك الشّرقاوي، يحادث سارة عبر الهاتف، سارة من أهانها عشقًا، وأهانت نفسها عشقًا واشتياقًا معًا.

أجابته وهي تطالع باب مكتبه المُغلق من على كرسيها من الخارج، وقالت سريعًا:

- "ربع ساعة وأكون هناك".

لم تكن اللهفة من تحدّثت عوضًا عنها، بل هو حنينها الموجوع إليه، من سكن الجسد والروح، وراح يتحدث باسمها حينًا، يغني حينًا، ويبكي حينًا على أطلال شوق. حلّقت إلى الحمام لتجدد هيئتها، وراحت تضع الكحل على عينيها اللتين يحكيان شيء من بقايا حب ودمع قديم، ثم تضع الماسكارا على أهدابها الموجوعة دمعًا، وأحمر الخدين على وجنتين هالكتين بالهوى، وأخيرًا أحمر الشفاه على شفاهها المضرجة بشفاهه. وراحت تضع العطر على جسدها وكأنّها تواري رائحة جثمان ذاك الحب، كانت الرائحة نفاذةً بالألم.

راحت تسابق الوقت لتصل إلى المكان المنشود، وفور وصولها راسلته بمقرها تفصيلا، لحظات وظهر أمامها مثقلًا بالخطايا. مدّ يده يصافحها، لكن روحها مَن صافحته، روحها من أرادت التوحّد في يديه وخطوط يده، تمنّت لو بقيت أكثر معانقةً ليده، ثم تفنى بعدها. لكنّها لم تكن سوى ميتةً نصفيًا، ولم ترْتَوِ كل الرّي.

وجلسا. .

وتبادلا التحية:

- "إزيك يا سارة؟"

- "بخير الحمدلله. . وأنت عامل إيه؟"

- "بخير. . تمام الحمدلله، تشربي إيه؟"

- "معقولة مش عارف أنا بحب أشرب إيه وأنا دايمًا معاك؟"

فابتسم مضطرًا لها وهو ينادي النادِل ثم يخبره:

- "واحد موكا سكر زيادة. . . مممممم وأنا. . ."

ثم نظر في قائمة المشروبات، لكنه سرعان ما وضعها جانبًا، وقال:

- "قهوة سادة!"

عـاد ينظـر إليهـا، ولكنّـه كان يحـرص عـلى تجنّـب العينـين، فالعينـان في الوجـه يكونـان أحيانًـا حُكـمًا "بصريًـا" مـن ذات اليمـين وذات الشـمال فلـم يقـو عـلى أن تتـم محاكمتـه. قـال وهـو يعبـث بمطفـأة السـجائر أمامـه:

- "دنيتك كلها تمام؟"

- "في إيه يا أحمد؟؟"

فنظر مضطرًا لعينيها للحظات وقال وقد عاود النظر للمطفأة:

- "كنت مرتب كلام كتير، كله طار"

فراحـت تتفـرس وجهـه الأنيـق، تضيـعُ مـن قسـمات وجهـه، ورائحتـه المشاكسـة. قـال:

- "أحيانًـا مبعرفـش أنـام بسـببك، مـش قـادر آخـد أي خطـوة فعليـة في أي حاجـة لمـا بفكـر فيـكي، ذنـب بقـى، تأنيـب ضمـير. . المهـم اني متعـذب. شـايف اني إنسـان قـذر بسـببك"

ثم رفع ناظره إليها، وقال:

- "أتمنى تتقبلي صراحتي"

لم تجبه، لكنّ جسدها كله كان مصغيًا إليه. . تابع قائلًا:

- "عايزك بجد تسامحيني. ."

- "عايزني استقيل من الشّركة؟"

سألته باسمة. . . فأجابها باضطراب:

- "لأ . . سامحيني. . "

صمتَ قليلًا وقال:

- "أنـا إنسـان فاشـل بـكل المقاييـس، حظـي بـس إني أبويـا ابـن عـز، حتَّـى دراسـتي ناجـح فيهـا بالعافيـة وبالـزق والرشـوة. عـارف إن ربنـا موجـود بـس عمـري مـا عملتلـه حسـاب، ودلوقتـي بحـاول أكفّـر عـن ذوبي وأعملـه كل حسـاب. أنـا نمـت. . . أنـا عرفـت بنـات كتـير، وصاحبـت بالهبـل، وعمـري مـا عرفـت يعنـي إيـه حـب، أو إني أحـب وأتحـب، ولمـا عرفـت. . صدقينـي مكنتـش محظـوظ بالشـكل الـلي ممكـن تتخيليـه، عرفـت قـد إيـه أنـا إنسـان تافـه ومعنـدوش ضمـير ."

كان يزيل عن كتفه جبالًا لتتسلقه جبالًا أخرى، قال:

- "إنتـي عنـدك حـق. . أنـا مـش عايـزك تسـتمري في الشّركـة، لذلـك نقلـت أوراقـك لشركـة لينـا تانيـة بفـرع تـاني في التجمـع بضعـف مرتبـك معانـا حاليًـا. مـش هقـدر أتحمـل إني أشـوفك كل يـوم وتشـوفيني وتتعـذبي بسـببي، أنـا أحقـر مـمّا تتخيـلي، ابـدئي حياتـك مـن جديـد، وسـاعديني ابـدأ صـح. . لازم تبعـدي"

صمت مطبق، ثم قالت بانهزام:

- "فاكـر لمّـا قلتـلي إن الدنيـا بتضيـق أو بتوسـع بسـبب أشـخاص حوالينـا؟ أنـا ليّـا شـهور عايشـة في قـبر لحـد مـا ريحتـي فاحـت. . بسـببك وبسـبب نفـسي الرخيصـة"

- "انتي مش رخيصة"

فضحكت بقهر قائلة:

- "أرخص ممّا تتخيل! عارف ليه؟"

لم يجبها، فقالت:

- "عشان اللي هتتجوزها ملمستش منها شعرة، دُرّة مكنونة، لؤلؤة مستخبية في مَحّارة جميلة. . لكن أنا بعت نفسي بالرخيص وأنت اشتريت بالرخيص"

- "أنا موعدتكيش بحاجة"

- "اللي بينا كان وعد وعهد"

- "ربنا يكرمك باللي أحسن مني"

- "وإذا كنت شيفاك أحسن الناس؟"

وابتسمت له قهرًا مجددًا، وقالت:

- "هو أنا ينفع أدعي عليك؟؟ أصلي already بتعاقب من ربنا بما فيه الكفاية، ولسه هتعاقب، عارف كان نفسي نتوب سوى. . بس أنا. . أنا دلوقتي. . ممكن أدعي عليك؟"

وراحت تضحك بهيستيريا في أرجاء المكان حتَّى التفت إليها المحيطون حولها:

- "حسبي الله ونعم الوكيل. . حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا أحمد يا شرقاوي. إلهي يزلزل من تحتك الأرض ولا يوفقك أبدًا لا أنت ولا يسرا. . مش هي اسمها يسرا برضو؟!"

وتابعت ضحكاتها الباكية، وعلا مع بكائها دعائها، كانت أنثى مقهورة، لم تمانع عُريها. . وراحت تصرخ وتسبّ إلى أن وصل رجال الأمن يسألون الشّرقاوي عن الأمر، لكنّه كان في ملكوت بطش

الإلـه، يخـاف لـو كان بـاب السَّـماء مفتوحًـا فتسـتجاب الدعـوى. لم يجبهـم، فاضطّـر رجـال الأمـن جرّهـا إلى الخـارج، قاومتهـم هـي في البدايـة، لكنّهـا سرعـان مـا استسـلمت لهـم، وكأنّهـا حوريـة تـم إعدامهـا علنًـا عـلى الأرض، ولم يكرمـوا جسـدها بـأنْ ألقوهـا في المـاء.

وضـع رأسـه بـين كفيـه ونبضـات قلبـه مسـموعة، شـعر بذعـر لم يشـعره مـن قبـل، وأذّنَ مـؤذن أن اللـه أكـبر. ففـر إلى المسجد يتوضـأ ويدعـو اللـه أن يسـامحه، وألّا يعاقبـه، وأن يـترك أبـواب السـماوات مُغلقـة عليهـا، كي لا تُصيبـه لعنـات قهرهـا. كان يدعـو بأنانيـة، كان يدعـو اللـه عاريًـا، يُغلـق عينيـه بشـدة وكأنّـه بصـدد أن يـرى عفريتًـا. كـم يخـشى عقابـه، كـم يخـشى بطشـه، كـم يخـشى حسـابات ربـه الأخـرى، خـشي أن يطهـره اللـه بالعقـاب والابتـلاء، أراده أن يكـون رحيـمًا بـه، رؤوفًـا، متجـاوزًا عـن سـيئاته. وذكـر أمـر تلـك المـرأة، مـن باعـت قضايـا الجسـد، ودخلـت الجنّـة بسـقيها كلبًـا ظمآنًـا ذات حَـرّ. فانتفـض بعـد أدائـه الصـلاة، وخـرج مـن المسجد ليجـد رجـلًا خمسـينيًا يمسـح عصـيرًا مسـكوبًا عـلى الأرضيـة:

- "خد يا حج. ."

فمد الأخير يده صامتًا، وسرعان ما أصابته الدهشة:

- "كتير يا ابني. . دول. . دول ٥٠٠ جنيه"

- "ادعيـلي دعـوة مـن قلبـك. . . مـش عايـز حاجـة غـير الدعـوة، ادعيـلي ربنـا يهدينـي ويجمعنـي بالبنـت الـلي بحبهـا ويوفقنـا سـوى"

فأجابه الرجل يدعو خاشعًا:

- "الهي ربنا ينصفك ويرزقك من حيث لا تحتسب ويكرمك ويرأف بحالك زي ما رأفت بحالي يا ابني"

وابتسم له الرجل وهو لا يزال رافعًا يديه لله. . فأجابه أحمد راجيًّا:

- " آمين"

وتركه وسار. . . شعر أحمد بطمأنينة يشوبها ذُعر، إذ أن أدعية الغضب كانت لا تزال تتردد على مسامعه، وكأنّها لعنة لا تزول. . استقلّ سيارته وهو يدير "الراديو" ليجد صوتًا جهوراً يرتل:

-" وإذا سألكَ عبادي عنّي فإنّي قريبٌ أجيبُ دعوةَ الدّاعي إذا دعانِ".

*****

٤٢

- "أنا وأيتن ساهرانين سوى. . ما تيجي؟"

وها هو كريم يحادث فرح عبر الهاتف يطلب منها أن تنضم إليهم في أحد الملاهي الليلية. نظرت فرح إلى السَّاعة التي قاربت الثانية صباحًا بضجر، وقالت:

- "مليش مزاج قوي. ."

- "يلا بقا بطلي رخامة"

- "الصوت عالي ومش سامعة كويس"

- "البسي وتعاااالي، أيتن بتقولك يلا. . هننبسط والله"

- "لأ. . فاكس. . مليش فعلا مزاج إني أخرج من البيت!"

- "أجازتك هتخلص كمان كم يوم، هتقضيها في البيت؟! وإنتي عارفة إنك محتاجة تغيري جو"

- "مليش مزاج النهاردة كمان شوية وهنام"

- "رخمة. ."

- "سلام يا كريم"

وأنهت المكالمة ووضعت الهاتف جانبًا، وراحت تحدّق بلا اهتمام في التلفاز، في حين رن هاتفها مجددًا، أمسكته دون أن تنظر إليه وأجابت:

- "قلتلك يا كريم مش هتنيل أنزل النهارده في حتة. . ."

فأجابها صوت أنيق:

- "ليه كده بس؟"

انقطعت أنفاس فرح للحظات وهي وتطالع الهاتف، والاسم Yazan ❤ يزين شاشته.

أجابته باضطراب:

- "معلش، أصل كريم لسة مكلمني حالًا وعايزني أخرج معاه هو وأيتن وأنا مليش مزاج نهائي أنزل فأي حتة النهارده"

- "طب ولو قلتلك عايز أشوفك النهارده. . مش هيفرق كتير؟"

نهضت عن مقعدها باسمة، تريد أن تكابر، أو أن تقاوم رغبتها في رؤيته والانصياع إليه، قالت بمكر:

- "مممممممم. . هفكر"

- "يبقى هشوفك النهارده"

- "الوقت اتأخر. ."

- "وانتي مجنونة ومش هيفرق معاكي. . ."

- "لأ مش مجنونة. ."

- "مجنونة. . . بس مستنية اللي يشجعك، وأنا قررت أعمل فيكي معروف"

- "لا والله؟"

- "مش مصدقة؟"

- "عارفة إنك مجنون. ."

- "هشوفك؟"

- "مممممم. . هعمل فيك معروف"

- "طب أنا تحت. ."

- "تحت فين؟"

- "أنا مش عارف أنا قدام أنهي شباك، بس أنا تحت وخلاص. . تقريبا البلكونة الكبيرة دي هي الصالون صح؟"

- "إيه؟؟!"

ثـم سـارت بخطـوات سريعـة نحـو الشُّرفـة تطالـع الشّـارع مـن خلـف سـتار، لتجـده يقـف أمامهـا باسـمًا. فأقفلـت السِـتار بسرعـة، وقالـت:

- "يخربيت أمه المجنون"

- "أنا لسه ع الخط على فكرة"

فكتمت ضحكتها وقالت:

- "بجد آسفة. . بس أنت إيه اللي جابك دلوقتي؟"

- "يلا انزلي"

- "نعم. .؟!"

- "انزلي"

- "مش ألبس الأول؟"

- "انزلي زي ما انتي. ."

- "لابسه بودي وشورت"

- "زي ما انتي. ."

صمتـت للحظـات تفكـر، وقـد التفتـت صـوبَ المـرآة، عمّتهـا والخادمـة نائمتـان. راحـت تقـرض إصبعهـا وقـد تجمّـدت خلايـا دماغهـا، فـأتى صوتـه حازمًـا:

- "يلا. . وهاتي مفاتيح عربيتك"

فانطلقـت نحـو البـاب وبحوزتهـا المفاتيـح دون المزيـد مـن التفكـير، وراحـت تتسـلل عـلى السـلالم خشـية أن يراهـا أحدهـم وقـد

آثـرت أن لا تسـتخدم المصعـد حتَّـى لا يسـتيقظ الحـارس، وصلـت إلى مدخـل المبنـى، وخرجـت منـه، لكنّهـا لم تجـد أحـدًا. شـعرت بتوتـر إلا أنّـه ظهـر مـن يسـارها فذعـرت لكنّـه طمأنّهـا بـأن وضـع يمنـاه حـول خصرهـا وقبلتـه عـلى خدهـا وقـال:

- "يلا بينا. ."

وأخذ منها المفاتيح، وقال حين أوصلها إلى الباب:

- "تسمحيلي أكون الشوفير يا مزمازيل؟"

فأومـأت لـه برأسـها ضاحكـة أن نعـم. جلسـت إلى جـواره بخجـل لاحظـه فـورًا، فقـال لهـا:

- "مكسوفة ليه؟"

- "نازلالك بالبجامة حضرتك. ."

- "زي القمر، ((بعشقك)) من دون مكياج"

وأدار مقود السّيارة، وانطلقا. فسألته:

- "رايحين فين؟"

- "العين السخنة. ."

- "إيه؟؟!!"

- "زي ما سمعتي"

- "يا مجنون!!"

- "اعتبريني خطفتك النهاردة. في بقالة هنا؟"

لكنها لم تجبه من هول المفاجأة، لحظات وأوقف السّيارة أمام أحد البقالات في المنطقة، وترجّل منها سريعًا، ليعود بعد دقائق محملًا بأكياس بها من العصائر والمشروبات الغازية وشطائر المولتو بالجبنة ورقائق البطاطس بنكهات مختلفة وشوكولا وعلبتي سجائر وكل ما يحتاجانه في رحلتهما المفاجئة، قالت:

- "أنت صدقت نفسك بجد؟! عين سخنة إيه؟!"

نظر إليها باستنكار وهو يمدها بالعصير، وأدار المقود مجددًا وانطلقا.

ثم ابتسم وهو يطالع الطريق أمامه وقال:

- "افتحيلي سنيكرز قبل ما اتقلب رجاء الجدّاوي"

فراحت تبحث عن واحدة مغلوبة على أمرها وهي تحاول استيعاب الأمر. أهذا حلم جميل؟

أخرجتها وأمدتها له، لكنّه قال:

- "اعتبريني عيل وأكليني"

- "انت مجنون رسمي. ."

- "لأ. . أنا يزن عامر الشيخ"

فضحكت من قوله وهي تقطع له الشوكولا وتمده بقطعة، فالتهمها وأصابعها، فانتفضت ضاحكة وقالت:

- "يا مفجووع. . صوبااااااعي. ."

- "طعمه أحلى من السنيكرز. ."

- "أنت مش أنت وأنت جعان"

فضحكا سويًا، والطريق يلفظهما نحو البحر. . . ومرّت الساعتين سريعًا، ولم تستوعب فرح كيف تمضي الأوقات الجميلة برفقته سريعًا وكأنّها ومَضَات من حلم. كانت الشمس تبدأ بمعانقة السَّماء، فترسل خيوطها المُشعة تُعانق عباءَة الليل، وتُلقي على النجوم والقمر السلام.

- "وصلنا. ."

نظرت إليه باسمة. . ثم إلى يمناه على المقود، لتلحظ تلك السَّاعة فقالت:

- "حلوة السَّاعة. . جديدة. . ذوقك ولا حد جابهالك؟"

- "بنوتة جابتهالي"

فرفعت حاجبًا، وتفاجئت لأمر صراحته، وقالت:

- "مين؟"

- "بنوتة بتحبني. ."

- "حلوة مش كده؟!"

وكان هذا سؤاله لها وهو يترجل من السّيارة قبلها، ليأتي إليها من الجانب الآخر ويقول وهو يفتح لها الباب:

- "نورتي يا مزمازيل"

ومدّ لها يده، فمدت يدها كالأميرات، أميرة جميلة برداء النّوم. وخرجت وأمامها البحر.

كانت تريد أن تسأله المزيد عن أمر تلك الفتاة التي تحبه، وهل يحبها؟ أم أنه يشاكسها ولا وجود للفتاة؟ لكنّها لم تُعقّب، وإن فضحتها عيناها لشد ما أصاب روحها الفضول والحيرة.

- "الجو تحفة. ."

فأجابها:

- "لأنك هنا. . بتعرفي تعومي؟"

- "إيه؟!"

فأمسكها من يديها وركضا نحو البحر ما بين صراخها وضحكها ودهشتها وغيرتها وحيرتها. . لكنه لم يسمع. وصل إلى شفاه البحر. قال:

- "مش هرغمك على حاجة هنا. . بس أنا عايزك تنزلي البحر"

لم تجبه، وقد أطبق جنونه على صوتها، وقام بخلع قميصه، وسرقه الموج. . .

لم تستطع منع نفسها من الابتسام، فقالت بصوت مرتفع وقد ابتعد عنها داخل البحر:

- "مش معايا مايوه. . أنا بالبجامة يا بني آدم. ."

فراح يصرخ من الداخل:

- "أحلى من ١٠٠ مايوه"

فضحكت والمياه تشاكس أنامل قدميها، البحر بدا مُغريًا لحظة الفجر، كل الأشياء كانت تدعوها للغرق جنونًا وفرحًا. لكنّها ذكرت غرقها في النيل، تلك الذكرى المؤلمة. . فقالت:

- "مبعرفش أعوم. ."

- "بتقولي إيييييييه؟ مش سامعك؟"

- "مبعرفش أعووووووووووم"

- "لو غرقتي هنقذك. . تعالي. ."

فابتسمت، وظلّت واقفة للحظات، وقدميها تقوداها إلى قلب المياه. كانت المياه باردة جدًا، فظلّت تشهق:

- "سسسسسسسااااااقع. . . . هتوديني في داهية. ."

وحين وصلت المياة إلى منتصفها، اقترب منها يزن وأمسكها من يديها وكلما دخل بها إلى الأعمق، صرخت لبرودة المياه فقال وشفاهه ترتجفان من البرد:

- "اجمممد يا كبير"

- "الميّة. . الأرض. . أنا مش واقفة على حاجة هغرق. ."

فالتفت إليها وهو يضع كلتا يديه على خصرها يطمئنها:

- "انتي جميلة قوي. ."

- "مش وقتك ناو. . أنا خايفة"

- "وانتي معايا. .؟!"

فغرقت بعينيه لثوان، وقالت بانهزام:

- "مبسوطة بس خايفة"

- "حاسة بإيه؟"

- "جسمي متّلج"

وانفجرت ضحكًا، فضحك من ضحكتها.

وقال:

- "يلا ناخد غطس؟ أنا ماسكك متخافيش"

ثم قفز عموديًا، وأخذها معه إلى الأسفل. .

وبقيا للحظات، حين أمسك وجهها من تحت الماء، وأهداها قبلة مائية، استكان جسدها لها. . وانهزمت من أمر شفاهه. مرّت لحظات، وصعدا مجددًا فعاد ينظر إليها مجددًا وقال:

- "كفاية عليكي كده"

وأمسك يديها وجرها نحو الشاطيء، وما إن وصلا إليه حتَّى تمدد يزن على الرمال يطالع السَّماء، لم يَدعُ فرح، بل ترك لها حرية القرار مجددًا. . وفرد ذراعيه وقدميه، كانت تنظر إليه وهي ترتجف، ولم تقرر أن تفكر، وسرعان ما تمددت إلى جواره، ورأسها على كتفه. . . وحلقا مع السَّماء وملائكة النوم.

ناما حتَّى ساعات الصباح الأولى، وقبل أن يحتشد النّاس على الشاطئ، استيقظ يزن وأيقظها وتوجها إلى السّيارة والرمال تغطيهما.

كانت فرح تضحك، سألها يزن ما بها، فقالت:

- "عندي احتقان. . آآآآآآتشوووووا"

فأجابها ضاحكًا:

- "وأنا اتعديت خلاص"

وانطلقا مجددًا إلى القاهرة. .

أوصلها، وترجلا من السّيارة، ولم تمانع وقوفها بما ترتدي هذه المرّة. . مدّ يده يصافحها، لكنّها حضنته، وهمست في أذنه اليسرى:

- "بحبك. . ."

وركضت باتجاه المبنى تاركة إياه غارقًا في دهشة. . وحيرة. . وحب.

* * * *

٤٣

أحبّته. . .

فلم يلقنها سوى الغياب، فكانت عاشقة أخرى، تحفظ أبجدية الوجع، عن ظهر غياب.

شعرت ليلى به يعود صباحًا، يُثير ضجة فور دخوله وقد تأكدت أنه بالفعل خرج ليلًا وعاد لتوّه.

كانت تجلس في الصالون تشرب حليبًا دافئًا، لكنه لم يلحظها، ودخل إلى غرفته وبسمة غريبة على شفاهه. بدت بسمة عاشق، ولكنّها لم تشعر نفسها معنية بذلك العشق. نهضت تسير على أطراف أصابعها، ولاحظت أنه أوسخ الأرضية بقدميه. من أين أتت تلك الرمال؟

توجهـت إلى حذائـه وقلبتـه ليخـرج منـه المزيـد مـن الرمـل. إلى أيـن ذهـب مـن رأس الصبـاح؟ راحـت تسـأل نفسـها.

توجهـت بعـد ذلـك إلى المطبـخ لتحـضر مكنسـة تكنـس بهـا مـا أثـاره مـن فـوضى. شـعرت أنهـا تسـتره. وهكـذا هـي الأم، تسـتر خطايـا ابنهـا، وكان يـزن ابنهـا، ومعشـوقها.

وراحــت تكنــس الأرض بنهَــم وصــولًا إلى بــاب غرفتــه المُوصــد. وقفـت قبالـة البـاب يعصرهـا الحنـين، وعـلى البـاب وضعـت شـفاهها تقبّلـه. ثـم عـادت تكنـس مـن جديـد. وعـادت مجـددًا إلى حيـث الحـذاء المتسـخ، ومعهـا قماشـة مُبللـة. وراحـت تمسـحها عشـقًا، تنظـف تفاصيـلها حتّـى تظنّهـا كانـت ماسـحة حذاء متمرسـة في حيـاة أخـرى، كانـت تفعلهـا بحـب، وقـد جلسـت عـلى الأرض غـير مكترثـة لـشيء سـوى أن يكـون حذائـه مـرآة جلديـة.

وبصوت جميل خافت راحت تغني لفيروز:

((بكتب اسمك يا حبيبي

عالحور العتيق

تكتب اسمي يا حبيبي

عَرمل الطريق

بكرا بتشتي الدنيي

عالقصص المجرّحة

يبقى اسمك يا حبيبي

واسمي بينمَحى

بحكي عنك يا حبيبي

لأهالي الحي

بتحكي عني يا حبيبي

لنبعة الميّ

ولما بيدور السهر تحت

قناديل المسا

بيحكوا عنك يا حبيبي

وأنا بانتسى))

- "انتي بتعملي إيه؟"

سألها..

فانتفضت في جلستها، ونهضت لتقع أسيرة لعينيه وحضوره السادي. شعرت بأنه دكتاتور، لكنّها أحبت كيف هو دكتاتور في العشق. قالت:

- "لقيتهم مليانين رملة وتراب، قلت أنضفهم"

لم يجبها، كانت مسامعه لا تزال مأخوذةً بصوتها الفيروزي، لم يكن يعرف أنّ لها صوتًا كناريَّ الهوى، لكنّه لن يعقّب. . فلم يعقّب وقال:

- "صاحية بدري ليه؟!"

- "متعودة أصحى بدري عشان المدرسة"

وفجـأة، تنبهـت أنهـا لا تسـتر شـعرها. فارتبكـت وراحـت تنظـر أسـفلها. وقالـت:

- "معلش يا ابن العم، طرحتي جوا"

لم تـأتي ليـلى بجديـد، فهـو يعلـم أنّهـا قـد نسـت أمرهـا، لكنّـه لاحـظ أمـرًا آخـر، إضافـة لصوتهـا الجميـل. فاقـترب منهـا. وكانـت هـي عـلى الطـرف الآخـر تعلـن توديعهـا لهـواء اللـه، وترحـب بالاختنـاق رهبـةً مـن حبـه. لم يتحـرك لهـا سـاكنًا وهـو يقـترب منهـا بشـكل مُفـزع. كان قلبهـا يُعلـن سـلامًا مـن نـوع خـاص وقـد اتفقـت نبضاتـه أن تنبـض بهـدوء، دون ضجـة، وكأنّ روحهـا عـلى وشـك مقابلـة خالقهـا. رفـع يمنـاه خلـف رأسـها ليأخـذ رابطـة شـعرها فينسـدل ليلُهـا عـلى امتـداد ظهرهـا. وراح ينـثره ويعيـد تهذيبـه، وهـو بطبعـه يحـب الشـعر المـموج. .

- "فاكـرة لمـا كنـت بشـدك مـن ضفيرتـك وإحنـا عيـال؟ أهـو جـاب نتيجة "

وابتسم. .

وقال:

- "شعرك جميل. . ."

وتركهـا معلنًـا تعبـه واسـتعداده للنـوم. ظلّـت واقفـةً مكانهـا بـلا حِـراك، تتمنّـى لـو تعـود الدقيقـة الأولى مـن وجـوده، أو تفنَـى بعـد ذلـك.

وهـذا هـو الحـب، مُهلـك. . يُتقـن إجهادنـا. يُتقـن إرسـال شـفرات لا نقـوى عـلى فكّهـا، بـل إنـه يُحببنـا فيهـا، في غرابتهـا وغموضهـا. وكأنّنـا نهـوى الضيـاع.

راحـت تنظـر لرابطـة شـعرها التـي وضعهـا في يديهـا قبيـل انصرافـه. فتوجهـت للغرفـة وخبأتهـا في حقيبتهـا. ربطـة الشـعر تلـك هـي الآن مـن المقدّسـات. أخـذت أخـرى تربـط بهـا شـعرها. واتّقـد نبضهـا فجـأة وهـي تسـتذكر مـا حـدث.

نظرت ليسرا التي كانت غارقة في نومها، وراحت توقظها:

- "يسرا. . يسرا. . إصحي يا يسرا"

فانتفضت الأخيرة مذعورة وقالت:

- "مالك يا ليلى؟ خير في إيه. . ؟"

فنهضت ليلى من جوارها لتجلس على مقعد أمامها وقالت:

- "تفتكري. . تفتكري أخوكي بيحبني. . .؟"

لحظات صمت. . ثم. .

وسـادة مُحلّقـة في الهـواء تهبـط عـلى وجـه ليـلى، التـي اسـتقبلتها ضاحكـة. فقالـت:

- "بكرة تحبي وتعرفي أنا بتكلم عن إيه. ."

فقالت يسرا بعينين مغمضتين:

- "ومين قالك إني معرفش الحب يعني إيه؟"

فرفعت ليلى حاجبًا وقالت:

- "بتهزري؟! مين وفين وإمتى وإزاي؟"

- "لما أصحى هقولك"

فألقت ليلى بالمخدة على يسرا التي تلقتها بغضب ثم أدارات ظهرها لها على السرير، وقالت:

- "بكرة هقولك. ."

- "اللي هو النهاردة لما تصحي؟"

- "آآآآه. . نامي بقى"

- "أخوكي يعرف؟"

- "لسه، بس ماما عارفة كل حاجة"

- "وأنا آخر من يعلم؟ إخص عليكي، والله زعلت"

فَرَقَّ قلب يسرا، وجلست مُسندة ظهرها على السرير وهي تهذب شعرها "المنكوش". وقالت:

- "الموضوع مش من فترة طويلة، حصل كده، زي خبطة حلوة في الدماغ، والحب إيه غير خبطة حلوة في الدماغ؟"

وظهرت بسمتها الصباحية الأولى والتي أشرقت أكثر فور قولها:

- "أحمد، اسمه أحمد"

فتسربت حمرة الخدين وجهها. . فقالت ليلى:

- "ده شكله بجد. ."

وأطلقت ضحكة طويلة ثم قالت:

- "ربنا يكرمك يا حبيبتي ويوفقكوا مع بعض"

- "اوعي تجيبي سيرة لاخويا"

- "عيب عليكي. . قوليلي بقى، تفتكري أخوكي بيحبني؟"

- "وإلا مكنش اختارك زوجة ليه"

- "وإيه علاقة الاختيار بالحب؟ مش ممكن يكون اختيار من دون حب؟"

- "ليه بتقولي كده؟"

- "مش حاسة إنه بيحس من ناحيتي بحاجة، حاساه خاطبني كده، أمر إلزامي مفيهوش أي عاطفة"

- "لعلمك محمد مبيعملش حاجة غصبن عنه"

- "أنا عارفة ده. . بس في حاجة كبيرة ناقصة، ومش مفهومة"

لم تعقب يسرا بصدد هذا الأمر، وهي تدري ما هي الفجوة، وأين هي الفجوة، وللحظات راحت تفكر بأمر المُلحد الذي سيتزوج ابنة عمّه على سنة الكفر ورسوله. لم تُفكر بالأمر مُسبقًا، هل لليلى الحق في أن تعرف؟ أم تظلّ عمياء لا تدري شيئًا. وإذا بليلى تقطع شرودها قائلة:

- "رحتي فين؟"

- "هو بس ربنا يهديه، وعندي ثقة فيكي انك هتغيريه، وترجعيه زي الأول وأحسن"

- "تفتكري؟"

- "بإذن الله. ."

ثـم عـادت تسـتلقي مجـددًا عـلى ظهرهـا، تطالـع اللـه، دون أن تـراه.

وفي تلـك الأثنـاء، قـام يـزن بالاتصـال عـلى فـرح التـي أجابتـه بصـوت نعـس:

- "نام يا مجنون"

- "أنا أساسًا مش شايف قدامي، بس قلت أسمع صوتك. ."

- "كان يوم جميل"

- "لأنك فيه. . . بقولك إيه؟"

- "مممم؟؟"

- "كان في كلمة كده قلتيهالي قبل ما تسيبيني وتجري"

- "كلمة إيه؟"

- "اعملي من بنها اعملي"

فأجابته بضحكتها فقال:

- "ضحكتك بتخطفني. ."

- "أومـال أنـا أقـول إيـه؟ أنـت خطفتنـي مـع سـبق الإصرار والترصـد. . بقيـت بحبـك أكـتر مـن السـجاير"

وأطلقت ضحكاتها النائمة مجددًا. . فقال:

- "سكرانة؟"

- "بيك. ."

- "عايز أشوفك"

- "إيه؟!!"

- "بس أنام الأول وحياة أبوكي"

فعادت تضحك مجددًا وقالت:

- "أنا هنوم وامات. ."

- "إيه؟!"

- "هههههههههه قصدي هموت وأنام. . أنا خلاص ضايعة"

- "واضح. . فرح. .؟"

- "مممم؟؟"

- "وأنا كمان. ."

- "وأنت كمان إيه؟"

- "وأنا كمان بحبك. ."

قالها واستكان، وسمعتها واستكانت. . وأتى ملك النوم يطوف حولهما. . يُهيئ لهما أحلامًا خضراء، وأخرى عاشقة. . يحصد تمسكهما بالواقع. . ويهديهما عوضًا عن ذلك أماني. . لحظات. . وراحا في نومٍ عميق، والحب يبلغ مبلغه.

* * * * *

٤٤

- "النهاردة آخر يوم في أجازتي. ."

- "تحبي نروح فين؟"

- "أي مكان في القاهرة لو سمحت!"

وأطلقت ضحكة صباحية أولى. . فقال لها:

- "هو إحنا ممنا امبارح ع التلفون؟ قصدي النهاردة الصبح؟"

فقالت بصوتها الذي لا يزال ضاحكًا:

- "باينله كده. . يزن. . ؟"

فلم يجبها، وكأنّه ينتظر بوح روحها، فشعرت بحنينه لبوح جميل من شفاهها، فقالت:

- "أنا عُمر حد ما باسني قبل كده. . مع إني اتحطيت فالموقف ده كتير فأول خذلان ليّا في حياتي، بس مكنتش بسمحلو. مع إنه كان خطيبي"

كان ذلك كافيًا لإشعاله ذاك الصباح وإثارة ضجة في كيانه، لكنّه، آثر ألا يعقّب وأن يدع المسائل تنساب بسهولة، فقال:

- "ما أنا عارف إني أول حد يعمل كده"

- "عرفت إزاي؟"

فقال بلغة عربية أنيقة سلبتها:

- "شـفاهك عـذراء، ومـا أجمـل أن أفـضّ صبرهـا بقبلـة. . ومـا أن فضضـت صبرهـا حتَّـى فـاض رحيقـك في شـفاهي، ومـا أجملـه رحيـق"

فلم يسعها سوى الابتسام والصمت، فأكمل حديثه قائلًا:

- "هشوفك بليل. ."

- "اشمعنا بالليل؟"

- "انتي أجمل بالليل، مُغرية أكتر"

- "فين؟"

- "عندي في الشّقة!"

فنهضـت عـن سريرهـا لتجلـس نصـف جلسـة وهـي تُعيـد خصلاتهـا إلى الـوراء، وقالـت:

- "هو ده اللي كنت خايفة منه"

- "هو إيه بالضبط؟"

- "إنك تفتكرني رخيصة!"

- "ومين قال إني افتكرك أو افتكرتك كده؟!"

- "مجرد تفكيرك إني أجيلك الشّقة تاني"

- "وفين المشكلة؟!"

- "مينفعش. ."

- "ليه؟!"

- "هنغلط!"

- "وإيه هو الغلط برأيك؟"

-. . . . . .

- "فـرح، إنتـي مختلفـة عـن أي بنـت عرفتهـا، وأنـا واثـق في ده، عشـان كـده اخترتـك مـن بـين البنـات"

- "اخترتني لإيه؟"

- "إني أحبك من أجل الحب. ."

- "يعني إيه؟"

- "هتفهمي لما هشوفك النهاردة"

- "مش هاجي"

- "ومش هرغمك على شيء. ."

- "أنت بتعمل كده ليه؟!"

-. . . .

- "هتبـوظ كل حاجـة. . أنـا برضـو شـايفاك مختلـف. . . أنـا مـش عارفـة إزاي كـده. . بـس. . أنـا بحبـك قـوي، وكأني أعرفـك مـن سـنين. اقتحمتنـي وشـقلبت حيـاتي، متطلعـش زيهـم"

- "هما مين؟"

- "الناس النجسة اللي حواليا. . وبعدين. . ."

فصمتت قليلًا وقالت:

- "وبعدين انت مُلحد. ."

- "كلنا مُلحدين. ."

- "لأ طبعًا. ."

فعاد للهجته العربية بنكهة الفلسفة:

- "جميعنا ألحدَ بشيء ما، وكفر بهِ بعد إيمان!"

- "بس اللي أنت كفرت بيه عظيم. ."

- "وما هو العظيم؟ نحن العظماء!"

- "يزن متحاولش تقنعني!"

- "مش بقنعك، أنا بناقشك. . وفي الآخر ((كلٌّ في تفكيرهِ حر))"

- "لكل مخلوق خالق. . ."

- "إيه دليلك؟ ومن خلقَ الخالق؟"

- "بص، أنا مش هناقشك في الموضوع ده كتير، الإيمان مجرد إحساس، صحيح أنا مش قارية في الفلسفة والعلوم، بس ده إحساسي، ربنا موجود. . ورحيم قوي!"

- "رحيم؟ بأمارة مجاعات الصومال؟ مش في عندكو آية بتقول: ((الذِّي أطعمهُم من جوعٍ وآمنهُم من خوفٍ"؟ فين ده؟ وعندك مجاعات وقهر لا يوصف، ده غير الحروب هنا وهناك. .))

- "استغفر الله العظيم، ربنا ليه حكمة في كل شيء. أنا شايفة المجاعات والحروب دي اختبار لآدميتنا وصبرنا"

- "وهم ذنبهم إيه؟ عايزاهم يؤمنوا بيه إزاي وهم ميتين من الجوع. ((لو كان الإله موجودًا، فهو شرير أو عاجز))، ((العظيم دومًا يعلن عن وجوده، ويقول: أنا هنا فاسمعون))

- "لا إله إلا الله. . يزن أنت بتحاول تعمل إيه دلوقتي؟"

- "بحاول أناقشك، أشوف آخرك فين؟ هتيجي إمتى؟"

فلم تعر سؤاله الأخير اهتمامًا وقالت:

- "تناقشني في أساس؟ عشان قريتلك كلمتين أو زادت معرفتك؟ أنت كنت كلية إيه؟"

- "هندسة أزهر"

- "آه صحيح، ما كان كريم قايلي، أقولك حاجة؟ أنا لحد دلوقتي عمري ما شفت أزهري يستحق أنه يكون أزهري غير الآسيوين والأفارقة"

فأطلقَ ضحكة في الهواء، وقال:

- "في دي عندك حق. . هشوفك إمتى؟"

فنهضت عن سريرها، تفكر بسرعة، تتسارع في ثنايا روحها لهفة ينتابها القلق، القلق من ذاك الحب العظيم الذي دقّ أبواب قلبها كلها. . الحب الذي حطّم الأبواب، فلم تجد نفسها إلا باسمة من أمر ذاك الحطام.

- "مش عارفة. ."

- "بتحاربي نفسك ليه؟ استسلمي ليها. ."

- "باستسلامي ليها، هستسلم ليك. ."

- "وهو المطلوب. ."

- يزن. . ."

- "حبيب يزن؟"

- "أنت عايز مني إيه؟"

- "عايزك كلك. . في حد هتقابليه لو جيتي النهارده"

- "مين؟!"

- "تعالي وإنتي هتعرفي. . ."

- "أنت مجرم. ."

- "وإنتي الفضول هيموتك. ."

-. . . .

- "النهاردة السَّاعة ١١ بليل. . ماشي؟ . . أنا مضطّر أقفل عشان ورايا مشاوير. . سلام. ."

وأنهى المكالمة، لكن حيرتها لم تنته مطلقًا. دخلت إلى الحمام، تغسل وجهها، وتطالعه في المرآة وكأنّها تفعل للمرأة الأولى:

- "انتي مين؟!"

سألت انعكاسها. . لكنّه انعكاس أخرس خالي الروح، قرين الجسد. .

- "انتي مين؟!"

كررت سؤالها. . ثم:

- "وهتعملي إيه؟ هتروحي؟؟"

لكنه ضجيج الصمت من أجابها. . فخرجت من الحمام لأقرب سيجارة، تراود نفسها عن نفسها. . .

*****

٤٥

وصـل أمجـد إلى شـقة الأمـيرة، وراح يـدق البـاب. . ففتـح لـه أخيهـا الصغـير شـادي، وراح يطالعـه بشـغف مـن وراء البـاب، وقـال:

- "أميلة نايمة. . يعني الحب مش هيولع في الدلة النهاردة"

وإذا بأمجد يرفع حاجبًا ويقول:

- "اجري صحيها ياد وأنت شبه أبوك كده"

وإذا بالبــاب يفتــح عــلى مصراعيــه، فطالــع أمجــد جثــة أبيهــا الكبــيرة وهــي تقــول:

- "وماله أبوه يا كبدي؟"

فانتفض أمجد للحظات وقال بثبات مُدع:

- "أجدع حما فيكي يا حلوان. ."

- "لا والله؟! خش يا خويا خش. ."

وأشـار لـه بالدخـول وهـو يطالعـه مـن أسـفله لأعـلاه. فدخـل أمجـد بعـد أن وضـع أكيـاس الفاكهـة عـلى طاولـة مجـاورة.

- "أنا جاي اتكلم معاكو في موضوع مهم. . أميرة نايمة بجد؟"

فقال والدها بشدة:

- "آه. . استنى أناديلك أمها. . أقعد في أي حتة. ."

- "طـب ليـه العنـف ده بـس؟ ده انـت حبيبـي. . وأنـا حبيـب بنتـك، وقريـب هنجيبلـك قـرد صغـير شـبهك"

ثم صمت فجأة وملأ وجهه الذُّعر وهو يقول:

- " واللـه مـا أقصـد. . قصـدي عيـل صغـير شـبهك يمـلا عليـك الدنيـا. ."

فـراح والدهـا يجـز عـلى أسـنانه وهـو يسـبح للـه عـلى المسـبحة سريعًـا، ولم يعقّـب، ودخـل إلى الداخـل. في حـين جلـوس أمجـد وهـو يتنهـد قائـلًا:

- "عليّا النعمة رااااجل بيييييض بصفارين"

وانضم شادي إليه وهو يحمل هاتفًا "لعبة" وقال:

- "أميلة نايمة"

- "روح صحيها"

- "لما بصحيها بتسدني من مناخيري"

- "بتشـدك مـن مراخـيرك؟ طـب روح قولهـا ميجـو جـه وهـي هتبوسـك مـن بقـك. ."

- "زي الأفلام؟"

- "أححـح. . يييبـه، يـا بنـي أفـلام إيـه؟ إيـه الجيـل ابـن العفاريت ده. .؟ روح قولهـا ميجـو جـه وخلاص. ."

فركـض شـادي باتجـاه الغرفـة. . في حـين إخـراج أمجـد هاتفـه مـن جيبـه ليرسـل رسـالة عـبر الواتـس آب للأمـيرة النائمـة، ولكنـه سرعـان مـا قـال باسـتياء:

- "وآدي الباكة خلصت. ."

ثم أدخله في جيبه مجددًا. .

لحظات وانضم والد أميرة وأمها إليه، رحبت به والدته كثيرًا، ففي قلبها تحمل الحب والأمومة له، قالت:

- "يا دي النور يا دي النور. ."

فنهض أمجد يصافحها ويقبّل يدها قائلًا:

- "حماتشي. ."

وصمت قليلًا وقال:

- "ريحة الملوخية والتقلية مدوخاني. . هي بالأنارب ولا بالفراخ؟"

فضحكت أمها من قوله وقالت:

- "يا ابني اقعد. يا ساتر. . مفجوع كده ٢٤ ساعة؟ هأكلك متخفش. . انت ابني. ."

- اتبنيني والنبي. .

- "ليه أمك مبتطبخش؟!"

- "محدش نفَسه زي نفَسَك يا جميل". . أمي مكبّرة دماغها والواحد أصلًا ملوش نفس يقعد في البيت. .

- "ليه بس؟"

فمر به طيف والده، فانكسر. . وقال:

- "ادعيلي ربنا يهديلي الحال. . المهم. ."

ثم نظر لحماه، وقال:

- "أنـا بقـول، نعمـل الفـرح بعـد شـهر مـن النهـاردة، مـش شـايف إن في داعـي إننـا نأخـر أكـتر مـن كـده. . في قاعـة أفـراح قريبـة تبـع نــاس صحــابي عملينــلي عــرض ميتكــررش. . الحمدللــه ولاد الحــلال كتـير"

وإذا بأم أميرة بصدد أن تزغرد لكنّها أبت خشية العين..

فأجابه والد أميرة:

- "مــاشي. . خــير الــبر عاجلــه. . بــلاش نســتنى لآخــر الســنة. . اتجــوزوا وحلّــوا عنــي. ."

- "طب العروسة فين أحج؟"

- "نايمة. . يا أميييييييييرةةةةةةة. . يا مااااارمااااااار"

فقال أمجد بسخرية:

- "مرمـر؟ أنـا مسـتعد أصرف نظـر بعـد الكلمـة دي. . بـس لجـل الحـب هقـوم أصحيهـا"

ونهـض عـن مقعـده، فنهـض والـد أمـيرة عـن مقعـده هـو الآخـر وصرخ بـه قائـلًا:

- "تصحي مين ياد؟! فاكرني شوقية؟! اترزع! أنا هصحيها"

وسـار بخطـى غاضبـة نحـو غرفتهـا في حـين همـس أمجـد في أذن أم أمـيرة:

- "هو شرز معاكي كده برضك؟"

وفي غرفة أميرة، دخل والدها يقف قرب الباب:

- "أميرة. ."

لم تجبه، فناداها مجددًا بصوت أعلى:

- "أميرة!!"

فأجابته بصوت متكاسل:

- "مممممممممم"

- "قومي"

- "مممممم"

- "يا بت قومي"

- "مممم"

- "ميجو برا والفرح بعد شهر!"

وإذا بها تقفز عن سريرها:

- "إحلفففف"

ثم نهضت عن السرير سريعًا، فاستوقفها أباها:

- "راحة فين؟!"

- "لميجو حبيب قلبي"

- "يا بت هتخرجيلو إزاي وإنتي كده. . البسي"

- "آه صح. ."

ثم أخذت عباءة من خزانتها وتوجهت للحمام سريعًا، راحت تغسل وجهها وتأخذ "لحسة" من معجون الأسنان تمضمض به فمها. ثم عادت لغرفتها سريعًا تبحث عن أحمر الشفاه، لتضعه سريعًا، وتضع منه بعضًا على خديها، ووالدها لا يزال واقفًا:

- "لا والنبي؟!"

فأجابته بسرعة:

- "آه والنبي. ."

ثم التفتت إليه وركضت نحوه تحضنه:

- "ربنا يسعد قلبك زي ما بتسعد قلبي"

- "يا بت اتقلي"

- "يا عيون البت. . يا روح البت يا بابا. ."

فلم يسعه إلا الابتسام، ثم الضحك برضى وهو يقول:

- "ربنـا يتمملكـوا عـلى خـير، ويرزقكـوا بالذريـة الصالحـة. . يـلا، يـلا روحـي لعريسـك"

فوضعت قبلتها على خده، وحلقت نحو الخارج.

طلّـت عليـه، فنهـض باسـمًا كأنّـه يلقاهـا لأول مـرة، وغلبـه الابتسـام، وغلبـه الاستسـلام. . ومـا الاستسـلام إلا عشـق لهـا، لأطيافهـا الجميلـة، لروحهـا التـي طغـت قلبـه، لقلبهـا الـذي شـابه قلبـه.

مدّ يده يصافحها، مدّت روحها تصافحه. . قال:

- "خلاص هنتدوز"

فقالت ضاحكة:

- "مش قادرة أصدق نفسي يا محيي. ."

- "محيك؟! فصلتيني. ."

وصمت قليلًا وقال:

- "بس بحب أمك! . . أخيرًا!"

وأمسك يدها يقبلها، فأتاه صوت أمها:

- "اختشي ياد منك ليها. ."

- "في إيـه يـا حـماتي. . ؟ انتـي عارفـة إني بحبـك، وبعديـن فـين الملوخيـة؟"

- "ملوخية في عينك"

- "مالك قلبتي على جوزك ليه؟"

- "وماله جوزها يا ولا؟!"

كان ذلـك أباهـا مجـددًا، فانفجـرت أمـيرة ضحـكًا، في حـين قـال أمجـد مضطربًـا:

- "اللي هو خير وبركة حلوان!"

قالت أم أميرة:

- "يلا يا أميرة تعالي نحضر الغدا. ."

فأجابت أميرة:

- "يا ماما أنا عروسة وحرام أعمل أي حاجة دلوقتي. ."

- "عروسة على نفسك، يلا يا بت"

فقال أمجد:

- "متروقي يا حماتي، مشبعتش منها"

فقالت أمها ساخرة:

- "بكرة تشبع منها وتتكرع"

- "يا ساتر"

وإذا بأبيها يمسك يده متوجها معه نحو الشُّرفة قائلًا:

- "عايزك في كلام مهم"

وجلسا على كرسيين. .

كان والدها صامتًا، يحصي كلماته جيدًا، يزنها، يضعها أمامه، يختار الأنسب منها. . يهيئ صوته ليصبح حاسمًا.

- "بنتي أمانة، تحفظها في عينيك وقلبك. . هتكون مسؤول عليها أمام الله، هي الآن بنتي، وفي بيتك أنت أبوها وجوزها. بنتي. . حاسس إن طفولتها كلها دلوقتي أنت مسؤول عنها، ومش هيبقالي منها. . إلا ذكريات!"

ثم صمتَ للحظات بعد أن خنقت أحباله الصوتية الدموع. وكأنّه يسترجع يوم ولدت، ويوم حملها، ويوم عانقها أول مرة. ثم وضع يمناه على عينيه يستر دمعه. وقال بصوت باكٍ:

- "الله يكتبلكوا الخير، ويوفقوا، ويرزقكوا رزق واسع. . ويحمكيوا من كل سوء وأذى. . أوعدني تحافظ عليها"

ونظر لعينيه مباشرة، يرجوه أن يصدق الوعد، ويحفظ العهد. . فأجاب أمجد بخشوع:

- "أوعدك يا عمي، أميرة في عنيا. ."

وصمت، فعهد الرجال لا يحتاج كلامًا كثيرًا كي يُقال. ومدّ يده يصافحه، وتصافحًا، وولد مع العهد حلم جديد.

أما أميرة، فكانت تساعد أمها في المطبخ بنهم، تفكر بفستانها الأبيض الذي سترتديه أخيرًا، حتَّى وإن كان مأجورًا، إلا أنّها سعيدة، والسّعادة لا تؤجر، هي تذهب وتعود، كالرزق المُذيّل بالحظ.

قالت لأمها:

- "مبسوطة يا ماما؟"

- "طبعًا مبسوطة، مش هتحلي عن قفايا؟ ليا خمس سنين مستنية"

فأجابت أميرة ضاحكة:

- "اكدبي عليّا وقولي إنك مبسوطة"

- "طبعًا مبسوطة يا هبلة، أول فرحتي هتتجوز وتتستّر، وهشوفها في بيتها معزّزة مكرّمة"

- "هتوحشيني يا ماما"

- "وانتي مش هتوحشيني خالص، ولا أقولك، هتوحشيني من بعيد لبعيد. انجزي انتي بس واتجوزي، عشان البرتقانة تتقشر واتطمن عليكي"

فنظرت أميرة صوبَ أمها مباشرة وقالت:

- "برتقانة إيه؟! وتتقشر إيه؟!"

فأجابتها أمها بأن لاعبت حاجباها بمرح، وقالت:

- "هتعمليهم عليّا؟! إيه يا بت مستودع قمصان النوم اللي تحت المرتبة ده؟"

فصاحت أميرة:

- "أحيييييييه. . انتي شفتيهم؟!"

- "آه يـا ختـي، ذوقـك مخيـف. . اللـه يرحـم أيامـي، كان قميـص النـوم بتاعنـا شرعـي وعليـه منشـفة هديـة"

فضحكت أميرة وقالت:

- "ميجو اللي جايبهملي"

وأكملـت ضحكاتهـا بـأن جلسـت أرضًـا لا تسـتطيع حمـل نفسـها، فسـألتها أمهـا بذُعـر:

- "ميجو؟"

فأومأت أميرة برأسها ضاحكةً أن نعم.

فقالت أمها:

- "وانتي بتاخديهم كده عادي؟! دي تربيتي ليكي؟!"

نهضت أميرة وقالت:

- "انتي أعظم أم في الدنيا. ."

وقامت بتقبيلها على رأسها، وهنا عهدُها ولِدَ، أميرة.

* * * * *

٤٦

- "يلا اصحى عشان مرات عمّك وبناتها مسافرين. ."

فأجاب أمه بصوتٍ كسِل:

- "صاحي من ساعة"

فقالت قرب الباب:

- "مفيش حاجة اسمها صاحي من ساعة وأنت ع السرير. . يلّا قوم!"

فأجابها قائلاً:

- "حاضر يا ماما. ."

واعتدل من جلسته، وأحرق رأس السيجارة. راح يفرك عينيه الناعستين، بدا يومًا مريبًا لكنّه لم يدر ما السبب. أمسك هاتفه يبحث عن اسم سيتصل به، لحظات ليجيبه صوت مبحوح من الطرف الآخر من الهاتف:

- "أنا ممكن أصدق بروح بوذا عليه الصلاة والسلام، وإن صافيناز مفيش بت هزتني قدها، وإن أي مصيبة في البلد بالفعل وراها الإخوان. . بس مش هقدر أصدق إن يزن بجلالة قدره بيتصل بيَّا بعد سنة غياب. . آلوو. ."

فأطلق يزن ضحكة عالية وقال:

- "عليه الصلاة والسلام. . إزيك يا حماصة؟"

- "يـاااااااااااااااه. . ليـا سـنين محـدش فكـرني بأصـلي. . حماصـة! باينلـو الواحـد اتعـود عـلى شـعبان البهنسـاوي، أكـبر تاجـر قـماش فيـكي يـا مـصر. ."

- "أنـت دايمـا أصيـل يـا حماصـة. . هشـوفك النهـاردة في مخبأنـا الـسري"

- "لسة برضو محدش يعرف عن شقتك حاجة. ."

- "أنا وانت وواحدة أعرفها والشياطين"

وراح يضحك ساخرًا، فأجابه شعبان:

- "إيه ده إيه ده؟ جديدة دي. . . هي مين بقى؟"

- "هتعرف النهاردة السَّاعة ١١ عندي. ."

- "أجيلك طيارة. ."

- "حبيبي يا كبير. ."

وانتهـت المكالمـة، وقـام بسـحق السـيجارة في مطفـأة مجـاورة، ثـم توجـه إلى الحـمام يسـتحمّ سريعًـا. .

أمـا في الصالـة، فكانـت تجلـس ليـلى تشـتعل شـوقًا لرؤيـاه، ولا تعـد أي سـناريوهات قادمـة، فللرحيـل صمتـه الخـاص، ووجعـه الخـاص، وغـده المعطّـش بالرماديـة، فـلا للأمـس، ولا للحـاضر معنـى بوجـوده، هـما فقـط ظـلال وقتيـة، تحـت سـيف الزمـن، الـذي لا يمـلُّ قطعنـا.

طـلَّ أخـيرًا، فنهضـت عـن الحقيبـة التـي كانـت تجلـس عليهـا، وابتسـمت مُجـبرة، ولم يـرد ابتسـامتها بأخـرى، بـل جـر الحقائـب،

وتوجه خارجًا. لم تنكسر وإن ملأها الانكسار. . بل توجهت ليسرا وأمها تودعهما، تنثر قبلاتها الموجوعة به على وجهيهما، تحضن جسديهما بلا روح، إذ روحها عالقة معه.

- "يلا يا شمس. ."

وجّهت حديثها لشمس الصغيرة، التي ودّعت هي الأخرى وأمها مستضيفيها.

راحت تعدّ السلالِم سِلمة، سِلمة، تودع الجدران القديمة، وذلك المصعد العتيق الذي لا يعمل.

خرجت لتقف قربه وهو بصدد إيقاف سيارة أجرة تأخذهما إلى رمسيس حيث سيصيح القطار المتوجه إلى "البلد". وأخيرًا وقفت سيارة الأجرة، وروح ليلى لا تريد الرحيل، هي روح تطلب أن تظلّ أسيرةً له، ولو في جيب معطفه، أو قميصه. .

تعمّدت أن تقف الأخيرة لتستقل أمها وأختها السّيارة قبلها، ثم وقرب باب السّيارة وقبل أن تنضم إليهما، وقفت تطالعه، تتأمل وجهه وكأنّها ستغترب عن وطن وجهه دهرًا.

- "هتوحشونا. ."

نظر إليها، يفهم عباراتها جيدًا، يمنع وصول شوقها إلى فؤاده. . فيتعامل معها كلقيطِ عشقٍ في ضواحي الهجر. قال:

- "توصلوا بالسلامة. . لولا إنْ ورايا مشوار كنت جيت وصلتكو. . بس لازم أروحو حالا عشان واحد صاحبي بيظبط لفرحه ورايح مع الشباب نظبط المسائل"

- "ولا يهمك. ."

ثـم وبحركـة سريعـة صافحتـه. . وفي قلـب كفّـه تركـت ورقـةً كحكايـا الصبيـات العاشـقات مـن زمـن الرسـائل. . فتـاةُ هـي مـن زمـن الرسـائل. .

وانطلقت سيارة الأجرة بها. .

كان مذهولًا للحظات، أمسك الورقة المطوية وقام بفردها:

((لا وجـود للوجـود. . وأنـا في معيتـك، فاسرقنـي مـا شئت، تحـل لـك السرقـة، لـن أقيـم عليـك حـد السـارقين))

راح يقرأهـا مـرارًا، إلى أن حفظهـا، أعجبـه إلحـادَ حروفهـا. . فوضـع الورقـة في قلـب محفظتـه. . وانطلـق لوجهتـه، إلا أن رسـالة ليـلى ذكرتـه بمفكـرة يـسرا. فعـاد أدراجـه ليأخذهـا. كانـت خطـوة سريعـة فلـم يلحـظ وجـوده أحـد. .

وفي المـترو. . تصفـح وريقاتهـا. . كانـت وريقـات لهـا ظـلال شـهدٍ مُصفّـى، عشـق مرسـوم بإتقـان، وخبايـا شـوق. . كان يبحـث عـن اسـم، أي اسـم يصـل بـه إلى معشـوق هـذه الحـروف:

((دكتاتـور أنـت في الحـب، وأحـب مضايقتـك بديمقراطيـة، فلـو أعلنـتَ أنـت الشـمس، أعلنـتُ أنـا القمـر، والبـادي في الحـب، دومًـا أجمـل))

((ولا أعشق أحدًا إلّاكَ

ومنك يأتي الصبر،

ولك تذوب المعادلات،

ومنك استمد الهوى

وعنك أدفع الأذى بروحي))

ثـم قـام بفتـح صفحـة مـن المنتصـف ليقـرأ فقـرة كانـت تناديـه باسـمه:

((حـين أفكـر بأخـي محمـد، يصيبنـي عمـرٌ مـن الألم. . أحيانًـا أود الاختبـاء في رحـم أمـي، أن أعـود جنينًـا. . أي أن أعـود لخلقـي الآخـر، الأول، فأعـود لحـمًا ثـم أعـود عظامًـا، فمضغـة، فعَلَقـة. . فنطفـة ثـم نسـيًا منسـيًا.

فهـذا الكـون لا يسـع طفولتـي، وقصـص الدُّمـى والحلـوى. وحتَّـى حـين أفكـر بفـارسي عـلى حصانـه الأبيـض، أجـد فرحتـي منقوصـة، ومحمـدًا لا يـدري. . وأخـاف أن يـدري ويقهـرني. . هـل تـراه، سيحب أحمـد؟؟))

أحمد؟؟ من هو أحمد؟

راح عقلـه وكيانـه يسـأل. . فـراح يقلـب المفكـرة كالمجنـون بحثًـا عـن تلـك الرسـالة التـي قرأهـا بخـط حبيبهـا، وجدهـا، قرأهـا مجـددًا فلـم يجـد توقيعـه، ثـم صدفـة قلبهـا ليجـد:

((حـروفي متجيـش حاجـة جمـب حروفـك، حبيبـك الشّرقـاوي عـلى قـده جـدًا. . يـارب تعجبـك))

للحظـة لم يكـن قـادرًا عـلى اسـتيعاب أي شيء سـوى الغضـب والذعـر. شـعر بـآلام مُبرحـة أعـلى ظهـره، شـعر بـأن جميـع مـن حولـه في المـترو يرونـه عاريًـا لا يـداري سـوءته سـوى سـوءة ألعـن منهـا وأشـد منهـا قسـوة. نهـض عـن مقعـده يجـوب المـترو ذهابًـا وإيابًـا.

ثـم يقـف في المنتصـف كالأبْلَـه. راح يجـز عـلى أسـنانه حتَّـى نـزف بعضهـا، امتـزج الـدّم بريـق الغضـب والسـخط. بـدا الطريـق طويـلًا ليصـل إلى رقبـة أحمـد الشّرقـاوي ليفصلهـا عـن جسـده، اعتـبره خائنًـا خبيثًـا يريـد اسـتدراج أختـه. . أو أنـه اسـتدرجها في أحـد الأسرّة؟

من سيجيبه؟ لا أحد. .

ومـا إن وصـل إلى محطـة محمـد نجيـب حتَّـى حلقـت بـه قدميـه إلى المقهـى المعتـاد حيـث ينتظـره الشـباب. شـعر برغبـة مريـرة لشرب الميـاه فابتـاع قنينـة مـن أحـد محـال البقالـة ليشربهـا دفعـة واحـدة، ثـم اشـترى أخـرى وقـام بتفريغهـا تمامًـا عـلى رأسـه حتَّـى ظنـه النـاس مجنونًا.

لم يبـال، شـعر بروحـه ممسوسـة مـن شـياطين الغضـب، شـعر برغبـة مُلحّـة في إخـماد نـاره كـما يجـب.

وصـل إلى المقهـى المعتـاد وكان عـلى بعـد خطـوات منـه، حـين احمـرّت عينـاه غضبًـا كأنّهـما جمرتـين مـن جهنـم. كان أحمـد يجلـس عـلى قبالـة أمجـد وعبداللـه. .

لحظـات فارقـة، وانقـض عـلى أحمـد حتَّـى سـقط بمقعـده إلى الخلـف، وراح يلكمـه في وجهـه وهـو يجلـس عـلى بطنـه:

- "يـا كلـب يـا حقـير يـا نجـس. . أختـي خـط احمـر يـا ابـن الكلـب. ."

كان عبداللـه وأمجـد ذاهلـين قبـل أن ينتفضـا لنجـدة الملقـى أرضًـا غارقًـا بدمـاء وجهـه، فصـاح يـزن وسـط توسـلاتهما:

- "اللي هيقربلي هموته. ."

ثم وجهه غضبه لأحمد قائلًا:

- "بتستغفلني يا صاحبي؟ بتستغفلوني انتو الاتنين وبتكتبوا في أشعار لبعض؟ لو حصل وطلعت لمستها هدفنك بإيدي. ."

ونهض يركله بكل ما أوتي من قوة، فاجتمعت الحشود حولهم يحملونه عنه، ويأخذون أحمد يحملونه هو الآخر وقد التهم يزن وجهه بقبضة يديه. قال بصوت منكسر:

- "ملمستش منها شعرة وهتجوزها على سنة الله ورسوله"

- "على سنة مين؟؟ انت صدقت نفسك؟ حفرت قبرك بإيدك يا أحمد يا شرقاوي، حفرت قبرك بإيدك. . علقة النهاردة دي قرصة صغيرة، ومن النهاردة اللي بينّا انتهى. ."

وإذا بعبدالله يقول:

- "استهدى بالله يا يزن في إيه؟ استهدى بالله. . بيقولك هيتجوزها"

وراح يضع يده على كتف يزن الذي أزالها سريعًا عنه بغضب. . وقال:

- "انتو كنتو عارفين؟ آه يا ولاد الكلب. . دي أخرتها يا خونة؟؟ هقتلها "

وبخطوات سريعة تركهم، شعر أحمد أنها قيامته، فراح يصرخ:

- "الحقوه، الحقوه قبل ما يعمل فيها أي حاجة. . أنا كويس. . الحقوها أبوس إيديكو"

فقال عبدالله:

- "روح أنت يا أمجد، أنت أقرب ليه مني، الحقه"

فحلّق أمجد خلفه، لكنّه فقد أثره. . اندفن يزن وسط المشاة، ثم سرعان ما استقلّ سيارة أجرة. . كي يفتك بها، بقلبها. . تلك الجميلة.

مضى وقت، مرّ عليه دون أن يدري أين وضعه الله، أكان الطريق مزدحمًا؟ هل استغلّه السائِق ليزيد من ثمن الأجرة بدخوله طرق إضافية. صعد السلالم سريعًا كأن الموت يلحق خلفه.

قام برن جرس الباب، ثم قام بطرقه بقوة. .

فتحت يسرا الباب، فانقض على رقبتها ودفعها إلى الوراء وقد أقفل الباب خلفه، وبيده الأخرى أخرج المفكرة من أسفل قميصه وألقاها أرضًا:

- "لمسك يا بت؟"

صمتت يسرا ولم تجبه بل كانت تحدق في عينيه بتحد، قام بصفعها، فعادت عينيها تتعلّق بعينيه، صاح بها:

- "ردّي عليَّا؟ رحتيلو أي حتة لوحديكو؟"

فخرجت أمه من أحد الغرف تلطم وجهها:

- "حصل إيه؟"

فصاح يزن:

- "ردي يا سافلة"

فقالت يسرا:

- "السافلة هي دماغك. . محدش في الكون بيحبني زي الشّرقاوي"

وإذا به يصفعها مجددًا حتَّى سقطت أرضًا. .

دخل إلى أحد الغرف كالمجنون يجلب شيئًا ما، وعاد إليها يشد شعرها الطّويل ويقصه كله بمقص يحمله في يمناه. . كانت أمه تصيح باكية لكنّها لم تقترب منه كيلا يثور أكثر فيؤذي يسرا أو نفسه بالمقص، راحت ترجوه وتحلفه بالله لكنّه أبى أن يسمع.

فقام بمسكها من ذراعها وهي تحمل شعرها باكية بين يديها، قد قص عشر أعوام من عمرها، وأخذها إلى غرفته وأقفل الباب بالمفتاح بعد أن ألقاها أرضًا. . ونهضت مجددًا بتحد تطالعه بعينين باكيتين. قال:

- "أنا وأحمد كنا بنبدل البنات مع بعض. . عارفة يعني إيه؟"

لم تجبه. .

فأردف قائلًا:

- "نص البنات عنده في الشّركة نام معاهم. . مكنتش اتخيل إني أكلمك بشكل قذر زي ده. . بس ده مقامك بعد خيانتي. ."

- "كداب. . مش هصدقك. . أنا مخنتكش ومعملتش حاجة غلط أو حرام"

فأطلق ضحكة عالية وقال:

- "طب خليكي معايا"

وقام بإخراج هاتفه من جيبه والاتصال بأحد ما وقد وضع هاتفه على وضعية مكبر الصوت:

- "إزيك يا ميرنا؟"

- "إزيك يا زيزو عامل إيه؟"

- "وحشاني موت. ."

- "ولد"

- "عايز أشوفك، وحشاني. ."

- "عايز إيه؟!"

- "عايز أشوفك، وأروق عليكي وتروقي عليَّا. ."

- "مش طايقة نفسي ناو ومليش خلق للهزار. ."

- "مش بهزر. . عايزك النهاردة. ."

- "يـزن. . أنـا يـوم مـا أحـب يـتروق عليَّـا فأنـت عـارف إن الشّرقـاوي أول حـد هكلمـه. ."

- "نسيتي اللي بينا؟!"

- "إيـه الـلي بينـا؟! ليلـة؟؟ ليلتـين؟ ولا حـد يمـلى عنيـا غـير الشّرقـاوي. ."

- "طب سلام ناو"

كانت يسرا تطالعه صامتة، قال لها:

- "شفتي يا قطة؟!"

- "أنت أكيد متفق مع بنت رخيصة زيك. ."

ثـم قامـت بمسـح أنفهـا النازفـة. . فاقـترب منهـا وكان عـلى وشـك ضربهـا مجـددًا، وقـال:

- "بما إن الحوار وصل بينا للوضاعة دي، فهوريكي شوية صور plus 18 تحفة للشرقاوي وهو بوضعيات مخلّة. ."

لحظات وأعطاها الهاتف، رفضت مسكه في البداية لكنّه وضعه في يدها بعنف وأمرها بالنظر، فما كان للصغيرة إلا أن تلبي مطلبه مُجبرة، وبيدين ترتجفان راحت تقلب الصور وقد رأت حبيب روحها يخونها روحًا وجسدًا، يخون طفولتها. .

كان منظرًا بشعًا وحوله العرايا، وحوله كاسات الهوى، وسجائر الخطيئة.

أُغشيَ عليها، سقطت أرضًا كأنّها جثة. . وإذا بيزن يبكي لكنه لا يقترب منها، تصاعدت ضربات أمه على الباب ففتح لها باسمًا:

- "زين ما ربيتي. ."

صاحت أمه:

- "بنتي!!"

- "متقلقيش يا ست الكل. . مغمى عليها بس. . زين ما ربيتي. . بكرة تاخديها أمراض نسا تكشفي عليها لسه بنت ولا اتضحك عليها. ورجلي على رجلك. ولو محصلش ده هطربق البيت ده ع اللي فيه"

وانصرف. . يلعن هذا الوجود وهذا الحب. . وقد تخلّى عن أبوته لها، وأعلنَ إلحاده بحبها.

❋❋❋❋❋

٤٧

عـادت لمقاعـد الدراسـة وضجـة المراهقـات ودروس العربيـة التـي لا تنتهــي. . راحــت تتمنّــى أن تبــدأ الأجــازة الصيفيــة سريعًــا حتَّــى تهنــأ برؤيتــه مجــددًا. الجــرس يــرن، لتبــدأ حصــة وتنتهــي أخــرى. . منــوالٌ عقيــم، لكنهــا اعتادتــه، فتلــك حــدود الحلــم، وهــذا نصيبهــا مــن الحيــاة العمليــة، لا أكثر ولا أقــل. . فقــد رفــض يــزن، أو فلنقــل. . رفـض محمـد أن تكـون مُعيـدة في الكليـة فـور تخرجهـا، ورغـم تفوقها والنجـاح المنتظـر. . إلا أنـه أبى أن تسـلك ذلـك الحلـم. . فـمات بعـض نبضهـا، ليـشرق مـن جديـد فـور ظهـور فرصـة أخـرى وإن كانـت أقـل قيمـة، إلا أنهـا عرضتهـا عليـه. . ليوافـق ولـو عـلى مضـض. راحـت تسـترجع ذكرياتهـا معـه، شيء مـا ينقصهـا، اتّقـاد الحـب. . حبهـا المنقـوص أوجعهـا، لكنهـا تؤمـن بتغـير الرجـل بعـد زواجـه، واهتدائـه بعـد ظهـور الولـد الأول، أو البنـت الأولى ولـو كانـت قـد حفظـت ليـلى عـن أمهـا وجدتهـا أن الولـد أولى. . إلا أنّ بهـا بعـض مـن ركام إمعيـة وإن كانـت عـلى قـدر عـال مـن الثقافـة، إلا أنّهـا امـرأة برتبـة إسـفنجة تمتـص الأشـياء صمتًـا، حتَّـى إذا فـاض منهـا مـا تشربتـه، لم تكـترث. . لتمتـص المزيـد.

وأخـيرًا، انتهـى اليـوم الـدراسي. . وكعادتهـا تنسـحب دومًـا فـور انتهائـه ولا تلقـي عـلى أحـد السـلام، تلـك حـدود محمـد، أو فلنقـل يـزن. . وكان عليهـا حفظهـا، لتنـال رضى. . لـن تصـل إليـه أبـدا. وكأنّهـا بعـير يعتليهـا سـيد قـاس لا يعـرف مـا الرحمـة هـي ولا العطـف. إلا

أنّها كانت راضية مرضية. . وإن نقص ذاك الحب. . أهو فعل اللعنات حين تجتاحنا وقت الحب؟ أهي تلك الرهبة من فقدان من نحب؟ وفقدان حبنا المجنون له، وشوقنا الذي لا ينضب إليه؟ هو حب أقرب إلى إدمان لا نصل به إلى النشوة، هي مقدار قاب قوسين أو أدنى من النشوة، لا ذروة. . لا تحليق، فقرب التحليق يُقَصّ الجناحان، ونهوي أرضًا. . كجثث متساقطة من السَّماء، جثث هي مزيج من الإنس والملائكة. . ما بين ضعف الإنس، وخلود عشقِ الملائكة، جثث تهوي بسلام وعلى شفاهها بسمة هزيمة، وحنين!

وصلت أخيرًا، لتصعد السلالم، قامت بدق الباب، لم يفتح لها أحد. . فعادت تدقه مجددًا، فلم يجبها أحد. فأخرجت مفتاح الباب الاحتياطي لديها وقامت بفتحه. لتجد أمها أمامها تقف مضطربة بوجه مُصفر، وجبين تتساقط منه حبات العرق، وشفاه بيضاء باهتة وكأنّها رأت جنيًا.

- "مالك يا ماما؟ في إيه؟ إنتي كويسة؟؟"

- "اتصلي بأبوكي"

- "خير يا ماما في إيه؟!"

- "اتصلي بأبوكي. ."

- بابا عند مراته وابنه عنده حمى. .

وإذا بأمها تجلس على أحد المقاعد وقد خانتها قدميها، فهرعت ليلى إليها تقول:

- "في إيه يا ماما؟؟"

- "شمس. . ."

- "مالها؟!"

- "نزفت من العمليَّة. ."

- "عملية؟! عملية إيه؟!"

- "كانت كويسة، بس لمّا أم بدوي مشيت. . لقيت شمس غرّقت السرير دم ومش بترد عليَّا. ."

فانتفضت ليلى تلطم صدرها وتصيح قائلة:

- "عملتيهالها؟! برضو عملتي اللي في دماغك يامّه؟؟"

وحلّقت نحو غرفة الصغيرة، كانت رائحة الغرفة تفوح بالمطهر والقهر، والصغيرة مُلقاة على السرير، بوجه مُصفر. . وشفاه مهترئة، وبقايا دموع على مقلتي وجع. هرعت إليها تحضنها وهي تطالع المفرش المغطى بدمائها. كان جسدها ينتفض، نظرت إليها شمس وقالت بصوت خافت:

- "سبتيني ومشيتي. ."

وأغمضت عينيها مجددًا، أو أغمضها الوجع. فصاحت ليلى باكية:

- "حقك عليَّا، حقك عليّا يا شمس يا كل دنيتي. . حسبي الله ونعم الوكيل. اتصلي ع الإسعاف يامّا"

لحظات وانضمت إليها أمها، قالت بشدة:

- "إسعاف لأ. . هيبلغوا عن أم بدوي، وعندها ولايا بتصرف عليهم. . وممكن يحصلنا مشاكل. أبوكي أكيد يعرف دكاترة. . كلميه. ."

- "انتي بتقولي إيه؟! البنت سايحة في دمها! وعندها صدمة. . ممكن يحصلها مضاعفات، أنا هتصل بالإسعاف"

- "بقولك بلاش فضايح. . أنا هعملها كمادات ولمون، وهتبقى كويسة"

- "يا ماما اتقي الله"

وتعالت أصواتهما، فصاحت الصغيرة:

- "لأ. . . متعورينيش تاني لأ. ."

وراحت تنتفض على السرير، واختفى بؤبؤ عينيها نحو جفنها. . فهرعت ليلى وأمها إليها تهدئانها، أزالت ليلى عنها الغطاء فوجدت أسفلها مُبلل بدماء حديثة، كانت تنزف بشدة:

- "يا لهوي، عملتو فيها إيه؟ البت هتموت. ."

ثم رفعت عنها جلبابها لترى ما فعلوا بها فصاحت:

- "هي خيطتلها؟"

- "أومال هتوقف النزيف إزاي؟؟"

- "يا لهوي يا حبيبتي ياشمس. . باينلهم قطعولك شريان. . عملتي فيها إيه يامّا؟"

- "عملت الصح بس الظاهر أم بدوي كانت إيديها شديدة عليها شوية"

- "شوية. .؟!! البت هتموت. ."

ثم غطت شمس، وراحت تناديها:

- "يـا شـمس. . يـا شـمس. . هـي عنيهـا طالعـة عـلى فـوق كـده ليـه؟! يـا شـمس. ."

لكـن الصغـيرة لم تجـب، كانـت تُجـري حديثـا مـع الملائكـة، كانـوا يخبرونهـا أن جنّـة اللـه أجمـل، قالـت لهـم أنهـا تريـد أقلامًـا ملونـة وأوراقًـا بيضـاء، لأن أقلامهـا سريعـة القصـف، وأوراقهـا تهـترئ بسرعـة. قالـوا لهـا أنهـا مـن أصحـاب اليمـين، فلـم تـدري مـا أصحـاب اليمـين، لكنهـا كانـت سـعيدة. . لم يسـألوها عـن اللـه أو ملائكتـه أو رسـله، هـي مؤمنـة بهـم فطـرةً. . لم يخيّروهـا وقـت السـؤال. . بـل أهدوهـا الكثـير الكثـير مـن الحلـوى. .

قالت لهم: وليلى؟ إني أحبها. .

قالوا: سترينها ولو بعد حين. .

قالت: سأشتاق. .

قالوا لها: سترينها ولن تراك. .

قالت: أريدها هنا. .

قالوا: لكل أجلٍ كتاب. .

فصمتت الصغيرة قليلًا، وقالت: كأنني أسمعها تناديني، أو تبكي. .

قالوا لها: تعالي فجنة الخلد في الجوار

ومدّ لها أحدهم يده. . فأعطته يدًا. . وسارا.

*****

٤٨

وصـل أمجـد إلى شـقة يـزن، وراح يـدق البـاب، ففتحـت أمـه البـاب باكيـة:

- "في إيه يا ابني حصل إيه؟"

- "ممكن أدخل بس وأفهمك كل حاجة؟"

- "واللـه مـا هينفـع، أصلـه قبـل مـا يخـرج حـرّج عـلي مدخلـش حـد فيكـو البيـت. . ده ضرب يـسرا وقصلهـا شـعرها"

- "لا إلـه إلا اللـه، ده ضرب الشّرقـاوي كـمان ولسـه قافـل مـع عبداللـه وهـما في المستشـفى وقـالي إن الشّرقـاوي اتكسرلـو ضلـع وخـد في وشـه سـبع غـرز"

- "حصل إيه يا ابني لكل ده؟ عرف إزاي؟!"

- "الـلي فهمتـه إن يـزن قـرأ حاجـات كتبينهـا لبعـض وعـرف إن في بينهـم حاجـة"

- "كلام إيه اللي قرأه؟"

ثم قالت بصوت منخفض:

- "ده قالي اكشف عن بنتي"

وراحت تبكي بحسرة. . فقال يهدئها:

- "وحـدي اللـه يـا حجـة، بنتـك أشرف مـن الـشرف، هـو يـزن انفعـل بـس"

فقالت:

- "بنتي وواثقة فيها بس إيه اللي يوصله لده؟"

- "بـصي يـا حجـة متحمليـش هـم حاجـة، أنـا مـش هطـول عليـكي عشـان ميحصلـش مشـاكل، أنـا جيـت أطمـن عـلى يـسرا، هـي كويسـة دلوقتي؟"

- "عمالة تعيط، وبوظلها وشها"

- "حصـل خـير. . خـلي بالـك منهـا، وأنـا هشـوف يـزن. سـلامو عليكـو".

وانطلـق أمجـد إلى الخـارج، وراح يتصـل بيـزن، لكـن يـزن لم يجـب، فعـاود الاتصـال بـه، فوجـد أنـه قـد أغلـق هاتفـه. ثـم قـام بالاتصـال بأمـيرة يُخبرهـا أن تذهـب ليـسرا لتبيـت عندهـا يومـين لتحميهـا مـن بطـش أخيهـا، فهـو يعلـم أن يـزن سـيُحرج مـن وجودهـا، مـمّا سـيعطيه وقتًـا ليهـدأ، ولـو نسـبيا.

أمـا يـزن، فوصـل إلى شـقته الخاصـة بعـد سـاعات أمضاهـا يجـوب الشـوارع مُثقـلًا بالشّـقاء والغضـب، وتوجـه فـورًا إلى الـبراد ليأخـذ زجاجـة فـودكا يشربهـا مباشرة مـن رأسـها، ثـم وضعهـا جانبًـا ليتصـل بفـرح:

- "محتاجك قوي. ."

- "السَّاعة لسة عشرة. . مجتش حداشر"

- "يعني هتيجي؟"

فأجابته ضاحكة:

- "يعني هاجي. ."

لكنـه لم يبـد أي رد فعـل، أو بمعنـى آخـر، لم يُبـد رد الفعـل المطلـوب. فاستشـعرت أن هنالـك خطـب مـا فقالـت:

- "أنت كويس. .؟"

- "لأ. . عايز أشوفك وتحررينى من اللي أنا فيه"

- "من إيه؟"

- "لمـا تيجـي نتكلـم. . اسـتني البـاب بـيرن، مـين الزفـت الـلي جايـلي دلوقتـي"

ثم توجه نحو الباب يفتحه، ليجد فرح أمامه تقول باسمة:

- "زفت؟! ده جزاتي إني جاية بدري ساعة عن معادنا؟! زفت؟!"

وقـف أمامهـا محدقًـا بهـا، لم يسـتوعب الأمـر للحظـات، لكنّـه سرعـان مـا أُخِـذَ بجمال طلّتهـا، وعينيهـا، قمـرًا وجههـا، ثـم هـرع إليها يأخذهـا بـين ذراعيـه، يضغـط عليهـا بجسـده، يقربهـا إليـه، إلى روحـه. لبُرهـة سـتعتقد أنـه يحضنهـا، لكنّـه في الواقـع، كانـت هـي مـن تحويه بروحهـا. لم تفهـم الأمـر، لكنّهـا أدركـت كـم يحتاجهـا، فوضعـت كلتـا يديهـا حولـه، وراحـت تضغـط هـي الأخـرى بجسـدها عليـه، وكأنّهـا بصـدد أن تسرقـه إلى قُمقـم روحهـا، وتقفـل عليـه بمفاتيـح قلبهـا.

دخلت إلي الشّقة، تسأله ما به وقد استنشقت خمره، فقال:

- "متضايـق. . شـوية. . بـس دلوقتـي أحسـن عشـان انتـي هنـا. وكأنـك سـمعتي وجعـي بينـادي، إنتـي مـلاك. ."

- "مؤمن بالملايكة؟"

- "طبعا. . أومال أنا مؤمن بيكي إزاي؟"

ووضع قبلته على شفاهها. . . وقال:

- "تشربي حاجة؟"

- "أي حاجة ساقعة"

"Vodka? Red wine? White wine??"

- لا. . مبشربش. .

لم يجبها وانطلق نحو البراد مجددًا يحضر لها "بيبسي". . أخذتها باسمة، وقالت:

- "إيه اللي مضايقك. ."

- "وحشاني. ."

- "وأنت كمان، مالك؟"

- "وحشاني. ."

- "وأنت كمان"

- "في حد هتقابليه النهاردة. ."

وإذا بجرس الباب يرن، فقال باسمًا:

- "حماصة. ."

وانطلق نحو الباب. . يفتحه. .

وعند الباب كان حماصة، أو شعبان البهنساوي، أربعيني قصير، شديد السمار، بَدين جدًا، شعر صدره يظهر من تحت بدلته

البيضـاء، وهنـاك سلسـلة فضيـة تلـف رقبتـه. . ولـه شـعر شـديد السـواد معـرّج يملـؤه "جِـلّ" مـا. .

- "حبيب قلبي. ."

صـاح يـزن، فاسـتقبله حماصـة وابتسـامة تمـلأ وجهـه، وأخـذه بـين ذراعيـه. كانـت فـرح تطالعهـم بشـغف، وقـد لمحـت أن يـزن قـد همـس شـيئًا مـا في أذن شـعبان، شـعبان الـذي فـور سـماعه لِـما قالـه، رمـى بناظـره عليهـا، وكأنّـه جنـدي يتلقـى أوامـره مـن سـيده. قـال يـزن:

- "يلا خش اتعرف على فرح، ع ما أجيبلك حاجة تشربها."

فتوجـه الأخـير نحـو فـرح باسـمًا، في حـين نهـوض فـرح لتصافحـه، فمـدت يدهـا تفعـل، فمـد هـو الآخـر يصافحهـا، فانتفضـت مـن هول المنظـر وإن ادّعـت ثباتهـا، فشـعبان لا يـد لـه مـن مفصـل الكـف، بـدت مبتـورة إثـر حـادث أليـم، فأمسـكت بقاياهـا وقالـت باسـمة:

- "فرح"

- "شـعبان البهنسـاوي، أكـبر تاجـر قـماش فيـكي يـا مـصر، واسـم الشّـهرة. . حماصـة. ."

- "أهلًا بيك"

- "اتخضيتي من إيدي صح؟"

وأطلـق ضحكـة بالـكاد يُسـمع صوتهـا ولكـن مـن السـهل رؤيتهـا فجسـده بأكملـه يرتعـش إلى أن ينتهـي مـن الضحـك. . قالـت بخجـل:

- "لا عادي. ."

فقال بصوت منخفض:

- "يزن بيحبك. ."

فرفعت فرح حاجبًا، ولم تعقب. .

فقال:

- "طالما جابك هنا، يبقى بيحبك. ."

فآثرت ألا تعقّب في حين انضمام يزن إليهما، يزن الذي قال:

- "شعبان من أعز أصحابي، وقلت لازم أعرفك عليه. ."

فابتسمت فرح وهي لا تدري ما تقول، فقال يزن:

- "متفهـم جـدًا إنـك مسـتغربة. . وأنـا دُغـري مليـش في اللـف والـدوران"

فقالت فرح بثقة:

- "وبحترم فيك ده. ."

والحـق أنهـا كانـت ترجـوه هـي الأخـرى أن يكـون صريحًـا معهـا وأن يكشـف أوراقـه جميعهـا حتَّـى يطمـئن قلبهـا.

فقال بعد أن رشف رشفة من الكأس الذي قدم مثله لشعبان:

- "أنـا وفـرح يـا شـعبان كنـا بنتكلـم النهـاردة في مواضيـع كتـيرة تخـص الوجـود الإلهـي، واتناقشـنا فحاجـات وكـده. ."

ثـم صمـت قليـلًا ليشـعل سـيجارة، ثـم بعدهـا أعطـى فـرح وشـعبان سـيجارتين وأشـعلهما لهـما، وأردف قائـلًا:

- "وعرفت إنها لا تزال مؤمنة بالله، ولمّا سألتها عن السبب، أو الدليل، قالت إحساس. وإحساس ده، يبقى خالتي"

فأطلق شعبان ضحكة صامتة أخرى، وقال:

- "آنسة فرح، زي ما يزن حبيب هارتي صريح ودُغري، أنا لازمن برضك أكون صريح ودغري"

صمت قليلًا وكأنه يسترجع ماضيًا مزعجًا وهو يحدق في اللاشيء، وقال بعد أن عاد يطالعها:

- "أنا كنت شغال في السعودية من ١٠ سنين، عند تاجر قماش سعودي. من يومي وأنا بحب الصنعة دي، واتعلمت منه أكون تاجر، وكان كريم ابن كريم. لحد ما جالي السكر، وبقت تجيلي الغيبوبة، فاضطر يمشيني، بعد ما اداني مبلغ أدبر بيه نفسي. ."

صمت قليلًا وقال:

- "هان عليه العيش والملح وقلت ماشي، وكنت بتعذب يوماتي لما الشيخ تاجر القماش الكبير عبدالوهاب عبدالله يجي في بالي. . وهوبا. . خلصت الفلوس، وبقيت استلف وأتداين عشان أأكل مراتي وأولادي وأحميهم من الغابة اللي إحنا فيها دي. بس عمري ما مليت من رحمة ربنا، وكنت يوماتي بدعيه وأنا بعيط. . إنتي عارفة يعني إيه راجل يعيط؟؟ يعني اتقسم ظهره وقهرته الحياة ."

- "أنا مش فاهمة حاجة. ."

وإذا بيزن يجيبها بابتسامة قبل أن يقول شعبان:

- "المهم يا ستي، الدنيا عملت معايا الجلاشة، بس إيماني بالله ويقيني كان موجود. . لأني كنت واثق أنّه سامعني، لحد ما في مرة عيل من عيالي جاله سرطان الدم. . كنت هتجنن، اشتغلت كناس وزبال وكل حاجة ممكن تتخيليها عشان أنقذ ابني من الموت ووجع المرض، وما نفعش. . فرجعت لعم عبدالوهاب، وكان ابنه اللي هناك، ناصر عبدالوهاب عبدالله. حكتلو ظروفي وتاريخي مع أبوه، فلقيتو مديني ٢٠٠ ريال وبيطلب مني بالذوق إني مجيش تاني. . وانشغل مع الزباين اللي كان بياخد منهم آلاف مؤلفة. . اداني منهم ٢٠٠ ريال، وأنا ابني بيموت. . فجأة لقيت نفسي بقرب من درج الفلوس وبسرق اللي تتحمل تشيله إيدي وبطير على برا. . ومحدش شافني. ."

وراح شعبان يضحك وهو يدفن بقايا السيجارة في المطفأة ويشرب ما تبقى من كأسه جرعة واحدة، وقال:

- "ومحدش شافني ساعتها غير ربنا، وقلت إن زي ما أمر بالستر، هيستر عليَّا. . ومسترش عليَّا لأنهم قفشوني من كاميرا المحل اللي ركبوها بعد ما مشيت. . وأقاموا عليّ الحد. . بس كده."

شعرت فرح أنه ينهي القصة بطريقة تشاكس فضولها، فقالت بسرعة:

- "مش فاهمة. ."

- "مش فاهمة إيه يا آنسة؟! قطعوا إيدي باسم حد الله، كنت مستنيهم يسجنوني، يسفروني. . قطعوا إيدي وهي بلدهم مليانة نهب وفساد وشذوذ جنسي عيني عينك كده. ."

ومن هنا تولّى يزن الحديث قائلًا:

- "دين إيه ده ورحمة إيه اللي يقطعوا بيها إيد محتاج؟؟! ياريتهم سجنوه مثلا، لأ. . ده فكروه بآية قرآنية اللي هي بتاعت "والسّارقُ والسّارقةُ فاقطعُوا أيديَهُمَا جزاءً بما كسبَا". . وقطعوا إيدو بعد ما أدانوه. . وسفّروه مصر. . ورجع هنا يتسول بإيد مقطوعة، لا وإيه. . ابنه مات. . ومراته سابته وطفشت. . فين ربنا من كل ده؟!"

فقالت فرح بصوت يكاد يسمع:

- "موجود. ."

فضحك يزن، وابتسم شعبان من قولها وقال الأخير:

- أنا دلوقتي مليونير، وفي الأصل كنت شحات بعد ما جيت هنا، وحاليًا أكبر تاجر قماش في مصر، واسألي عني ."

كان في تكراره لجملة "أكبر تاجر قماش" ما يعكس كم هو حديثُ نعمة، وحديث قهر. . لم تجبه فرح، وراحت تطالع يزن بعينين حائرتين، في حين انسحاب شعبان مودعًا.

- "بتعمل كل ده ليه؟ بتحاول تقنعني بإيه؟"

لم يجبها يزن، بل أمسكها من يدها، ليدخلها لِما على ما يبدو. . غرفته:

- "دي أوضتي. . ."

- "و. .؟!"

- "وهنا هحبك. ."

- "هتحبني إزاي. .؟!"

تجاهلها بقوله:

- "وده سريري. . مخدعي"

- "و. .؟!"

- "وهنا هحبك. ."

وهمَّ يقبلها. . فسلمت له شفاهها، فأحس باسترخائها، فقال:

- "مالك؟"

- "مش هقدر"

- "مش هتقدري إيه؟"

- "أنت بتحاول تقنعني بإيه؟"

- "أنا بحبك. ."

- "وأنا بحبك، بس جنس لا. ."

- "الجنس حب"

- "متيجي نتجوز؟"

- "الجواز أفشل منظومة على وجه الأرض. . إحنا كده حلوين."

- "مش هقدر. ."

فابتسم لها وقد قرص خدها، وقال:

- "وأنا مش هرغمك. ."

وراح يتمـدد عـلى سريـره وقـد أطلـق تنهيـدة محمّلـة بالشَّـقاء، وراح يطالـع السـقف، قـال:

- "حبيـت إني أحـط مرايـا في السـقف زي مـا انتـي شـايفة كـده، كنـت بحـب أشـوفها في أفـلام زمـان، وعملتهـا لمـا جبـت الشّـقة دي، عارفـة هـي في مكانهـا ليـه؟"

فصمتت قليلًا كأنها تختار إجابتها بعناية، وقالت:

- "عشان لما تصحى الصبح تلاقي نفسك رب نفسك. ."

فأطلق يزن ضحكة وقال:

- "إزاي. .؟"

- "محـدش فوقيـك وشـايفك غـير نفسـك. . مـش ده مبـدأ الإنسـان المطلـق، أو العظيم؟!"

فأعدل يزن من جلسته وقال باسمًا:

- "إيه ده إيه ده؟! إحنا قرينا في الفلسفة بقى؟"

- "يعني. ."

- "أنا مبحبكيش من فراغ"

ثـم ألقـى ظهـره سريعًـا عـلى سريـره وفـرد ذراعيـه، وأغمـض عينيـه. . وعـاد يتنهـد مجـددًا. . فشـعر بهـا تجلـس عـلى طـرف السريـر، فقـال:

- "عطرك تحفة. . اسمه إيه؟"

- "Chanel No. ٥"

- "يـاااه بجـد؟! ده مارلـين مونـرو كانـت بتحـط منـه. . إنتـي عظيمـة. ."

كانـت تنظـر إليـه بطـرف عينيهـا، يغريهـا هـدوءه. . كانـت تعلـم أن شـيطانها يجلـس قربهـا. . يغريهـا هـو الآخـر لتتمـدد قربـه. . لم تدعـه يغريهـا كثـيرًا. . فاقتربـت منـه تنـام عـلى ذراعـه، فقالـت لـه هامسـة:

- "ده غلط. ."

- "الغلط إنك تكوني جبانة، سجينة نفسك. . حاسة بإيه. ."

-. . . . .

شعر بها ترتجف، فأحاطها بذراعه، وقال:

- "أنا أسعد إنسان في الدنيا"

- " أنا عرفت أنت ملحد ليه!!"

- "ليه؟"

- "الغضب"

لم يجبها. .

والتفـت إليهـا ينـثر قبلاتـه عليهـا. . في حـين استسـلامها لـه، لملاك عشـقها، وشـيطان حبـه. .

وكانـا مـدًّا وجـزرًا، وإعصـارًا. . ثـمَّ نسـيمًا. . ومـدّا وجـزرًا. . يصعـدان يهبطـان. . كمـوجٍ وسطَ بحـر، أو دفعـةِ مـوج تُرسِـلُ ماءهـا لشـفاه رمـلٍ عـلى شـاطىء، تُشاكسـه، تُـراوده، ولا تراوضـه أبـدًّا. . ومـن رحيـقِ الشـفاه، لرحيـقِ العُنُـق، تبـارزت قبـلات شـوقٍ، وطيـورُ

الحبِّ تُرَتِلُ تراتيلها على أغصان صبرهما. . وتنشدُ مع أنفاسمها سمفونيةً لم تُخلَق إلّا لهما. ساعة، ساعتان، ثلاث أو أكثر، لم يدريا، ولن يدريا كم مرَّ من الوقت، إذ يسابقان الزمن وكأنّها القيامة. يبدوان في عُجالة، لكنّهما صابرين، ليسا في عُجالة. . .

وهكذا فعلت فرح، أعطته قلبها، وألحدت بجسدها، والروحُ تشهدُ أنَّ لا إلهَ إلّا الله. .

*****

٤٩

واستيقظت من نومها. . . واستيقظت من حلم، ترك آثاره على جسدها. . على قلبها، على طفولة منسية في جسد امرأة، نضج عودها، واستوى. . راحت تطالع انعكاسها في مرآة السقف وقد لاحظت اختفاء يزن من قربها. .

كانت الشمس بارزة من وراء الستار، تعلن يومًا جديدًا وقد أزالت خطايا الليل بخيوطها. كان انعكاسها جميلًا والغطاء الأبيض يغطيها. . كانت تشعر أنها روح سجينة في جسد ليس لها. . . أو لم يصبح لها. .

أحقا تمزقت تلك العذرية؟ وتساقطت دماء الصبر والطهر.؟

تقلّبت على جانبها الأيمن وقد تكورت كالجنين. . ثم انتفضت فجأة وجلست نصف جلسة، وراحت تبحث عن شيء على السرير بيديها وعينيها. . . إلى أن وجدتها. .

قطـرات دمـاء، منسـية. . ولا منسـية. . وإذا بهـا تزيـل المـلاءة وتحضنهـا، تقربهـا إلى روحهـا. . وترتـل تراتيـل مبهمـة. . هـي عـروس لـن يزفوهـا أبـدًا، فراحـت تبـكي وكأنّهـا تجلـد نفسـها مئـة جلـدة. . فالجلـد أهـون مـن الرجـم. ونهضـت عـن السريـر وهـي تلـف نفسـها بالمـلاءة لتجـد ملحوظـة ملتصقـة بالمـرآة:

- "صباحـك جميـل. . صباحـك انتـي. . البيـت بيتـك، أنا في مشـاوير مهمـة النهارده، هتوحشـيني. ."

لبرهـة كرهتـه وقـد كرهـت اختفـاءه، وتركـه روحهـا عاريـة، كانـت تريـده في الجـوار يطمئنهـا. ولم يكـن في الجـوار. . . راحـت تسـتحم، وهـي تـدري أن روحهـا قـد مسّـها مـن الدنـس مـا مسـها. . إلا أنّهـا ميـاه. ونـار الخيبـة وجـب إخمادهـا. .

أما هو، فكان في طريقه إلى منزله حيث تنام يسرا موجوعة. .

الآن هـو يبحـث عـن عذريـة أختـه وقـد فـض عذريـة أخـرى. . وصـل أخـيرًا، فبـدأ الغضـب يشـتعل مجـددًا في خبايـا روحـه. . ودون تفكـير توجـه إلى غرفـة الجميلـة ليجـد أمـيرة تجلـس قربهـا عـلى سريرهـا ويـسرا نائمـة بوجـه تعـب. . قـال سـاخطًا:

- "بتعملي إيه يا أميرة عندك؟"

فنهضت أميرة ترجوه بخفض صوته قائلة:

- "البنـت عندهـا حمـى، ومـش راضيـة تـاكل مـن امبـارح، اسـتهدى باللـه. ."

- "صحيهـا وإلا مـش هيحصـل كويـس ولـو سـمحتي يـا أمـيرة خليـكي بـرا الموضـوع"

وإذا بيسرا تقول بصوت تعب:

- "أميرة أنا كويسة، هو عايزني في مشوار كده. . هروح معاه وجايين على طول. . وبلاش تصحي ماما، الضغط علي عليها. . ساعة وراجعين. ."

ونهضت عن السرير بتخاذل، لم يرق قلبه لها لإصفرار وجهها، وزرقة أنفها وعينيها من تلك الصفعات الساخطة. . فهمت أميرة تساعدها على الوقوف وهي ترجو يزن أن يؤجل هذا الأمر، لكنه أبى. . وأبت يسرا هي الأخرى تأجيل الأمر.

وقضي الأمر، وارتدت يسرا ثيابًا وارتدت نظارة شمسية. وانطلقا في سيارة أجرة. . كانت يسرا تسند برأسها على النافذة بلا أمل، كانت دموعها باكورة ذاتية. . . تبكي وإنْ فقدت قدرتها على البكاء.

ووصلا إلى إحدى العيادات النسائية الخاصة. . كان يسير أمامها يقصف ظهره الشك، وكانت تسير أمامه يكسر قلبها الوجع. . تفاجأت بأنه قد أخذ موعدًا مسبقًا مع الطبيبة. . وقال قبيل دخوله معها إلى الغرفة:

- "سودتي وشي. . أنا داخل معاكي ومش عارف أقولها تكشف عليكي إزاي. ."

لم تجبه، ومسحت دمعها من خلف النظارة. . وقامت هي بفتح الباب:

- "السلام عليكم. ."

فأجابت الطبيبة من الداخل:

- "وعليكم السلام، اتفضلوا بعد إذنك. ."

فدخلـت الصغـيرة بثبـات يلمـؤه الانكسـار والوجـع، وجلسـت قُبيـل الطبيبـة في حـين وقـوف يـزن قـرب البـاب، فقالـت:

- "امبـارح كنـت بكنـس، وأنـا دايمـا بحـب أكنـس بالمكنسـة الخشـب مـع إن مامـا بتحـب الكهربائيـة. ."

وراحت يسرا تبتسم مجبرة، وقالت:

- "المهـم وأنـا بكنـس وبجيـب المكنسـة عليّـا، خبطـت نفـسي مـن تحـت، وحسـيت بوجـع، بـس مقدرتـش اتيقـن مـن أي شيء عشـان الـدورة كانـت لسـه مخلصتـش، بـس هـي دلوقتـي خلصـت. . . وأنـا حابـة أطمـن"

كانـت الطبيبـة تنظـر إليهـا مـن خلـف نظارتهـا الطبيـة وعينيهـا تحكيـان كلامًـا لا يُقـال. ثـم وجهـت نظرهـا نحـو يـزن، فقالـت يـسرا:

- "أخويا الكبير والوحيد. ."

فأجابت الطبيبة بحسم:

- "وأنا مسألتش. . اتفضلي ع السرير"

فنهضـت يـسرا وقـد وضعـت حقيبتهـا جانبًـا، وشـعرت برهبـة مريـرة بالبـكاء إلا أنّهـا وبطريقـة عجيبـة، أخرسـت نـداء دموعهـا، وراحـت تتمـدد عـلى السريـر. . مـن كان ليظـن أنهـا حـين تفتـح رجليهـا لأول مـرة، بأنهـم سـيتحققوا مـن طفولتهـا، وإنسـانيتها. . كانـت تطالـع السـقف، وتطالـع روح اللـه مـن بعـد سـماءٍ سـابعة. . وهـي لا تسـتطيع أن ترجـوه أن يغـض طرفـه. . فللـه الأمـر مـن قبـلُ

ومـن بعـد. . فلـم تمانـع عُريَهـا أمامـه، وإن اكتسـت روحهـا الخجـلُ والخـذلان.

- "خدي نفس عميق"

كان ذلـك أمـر الطبيبـة، ففعلـت يـسرا وهـي تـود لـو تكـون نسـيًا منسـيًا في رحـم المـوت. وراحـت الطبيبـة تكشـف عليهـا وقـد سـلمت يـسرا لهـا أمرهـا وأمـر وجعهـا المولـود حديثًـا. . لحظـات انقضـت. . و:

- "مفيـش حاجـة. . إنتـي كويسـة متقلقيـش، والغشـاء محصلـوش حاجة"

لم تُجبهـا يـسرا وراحـت تسـتر نفسـها وتسـتر ذاك الدمـع المقهـور. ونهضـت عـن السريـر، لتأخـذ حقيبتهـا وتخـرج قبـل يـزن. . لم يسـألها يـزن إلى أيـن هـي ذاهبـة، فلقـد شـعر بأنّهـا نالـت قسـطها مـن الإهانـة لذلـك اليـوم. . وتركهـا تعـود لأدراجهـا.

خرجـت يـسرا تبـكي للسـماء، ويطالعهـا النـاس وأمـارات الشـفقة عـلى وجوههـم، لم تُبـالي. . فالبـكاء أحيانًـا هـو طُهـر للـروح مـن دنـس الألم. كانـت تبـكي لجحيـم أخيهـا الـذي أحدثـه في طفولتهـا، ولجحيـم أحمـد الـذي أحدثـه في قلبهـا. فأخذتهـا قدماهـا إلى المشـفى التـي يتواجـد فيهـا أحمـد، والتـي عرفـت مكانهـا مـن أمـيرة وقـد تحادثـا بالأمـس. . كانـت هنالـك أسـئلة، ووجـع معمـور بالوجـع. كان حـريٌّ بهـا أن تطفـئ نـارًا، لتشـعل أُخـرى.

ودخلـت إلى المشـفى، لتصـل إلى صالـة الاسـتقبالات وتسـأل بصوت يكاد أن يسـمع:

- "عايزة أوصل لمريض هنا، اسمه أحمد الشّرقاوي. ."

لتجيبها موظفة تكاد تكسر أسنانها وهي تمضغ العلكة:

- "الدور التالت غرفة ٣٠٤، أول يمين بعد الأسانسير"

فصعـدت الجميلـة، وهـي لا تخطـط لأي شيء سـوى رؤيـاه، ثـم تفنـى قـرب خطايـاه ووجعهـا.

وقفـت أمـام بـاب أنيـق يتوسـطه مـن الأعـلى رقـم ٣٠٤، تنهـدت بثقـل، وفتحتـه. كانـت الغرفـة ثلجيـة، يفـوح منهـا رائحـة وجـع أنيـق. وكان أحمـد بمفـرده يجلـس قبالـة الشُّرفـة مرتديًـا روب المـرضى. وحولـه باقـات ورد كثـيرة، لبرهـة تسـاءلت مِـن مَـن هـي؟ فقلبهـا لازال طفـلًا.

لم ينتبـه لدخولهـا إذ كان عاجـزًا كفايـة، فآثـر أن يـسرح في ملكـوت الـشرود. كانـت تقـف عـلى بعـد خطـوة منـه. . . فكـسرت صمتهـا قائلـة:

- "حبيتني ولا كنت بتضحك عليَّا؟"

فالتفـت ببـطء إلى مصـدر الصـوت الصغـير ونهـض فـورًا ليمسـك جانبـه العلـوي الأيمـن وهـو يتـأوه وجعًـا لشـعرها الـذي قـص هـدرًا وقـال:

- "يسرا!!!"

لم تُجبـه، بـل كانـت تطالعـه بعينيهـا الدامعتـين مـن خلـف النظـارة، وقـد سـمحت لدموعهـا أن تتحـدث باسـمها، فقـال:

- "حبيتـك، وحبـك طهـرني مـن كل دنـس. . سـامحيني، حقـك عليَّـا. . سـامحيني. قصلـك شـعرك؟"

- "وانت قطعت قلبي نُصين. ."

وتعالى بكائها وقد خلعت نظارتها، ليرى آثار صفع يزن لها على وجهها. قال:

- "هاخدلك حقك. . وديني لأخدلك حقك. . "

فقالت:

- "سيبو الدين في حاله ياللي متعرفوش دين"

فاقترب منها وقد جلس أسفلها على ركبتيه وقال باكيًا:

- "سامحيني أبوس ايدك. . سامحيني ع الماضي باللي فيه واقبليني من جديد"

وأمسك يديها يُقبّلها، فخطفتها من بين شفاهه، وهي تنظر له باكيةً، ثم أحاطت رأسه بكلتا يديها، وهمست بشفقة:

- "حبيبي!"

فنهض بتخاذل وضمّها إلى صدره علّها تسمع أنين قلبه، فسمعت. . ورقّ قلبها، ولو كان بيدها أن تَلِجَ قلبه لفعلت. .

ثم جلسا على الأريكة الجلدية، ووضعت يدًا على كتفه. . وأُخرى عانقت قلب يده، همست في أذنه:

- "بحبك. ."

" أحبك" حارقة. . "أحبك" موؤدة. . "أحبك" قد لعنت الحب وأصبحت حدادًا عزاءًا دمارًا. . ونظرت مباشرة في عينيه، لم تخشهما تلك المرة. أرادت أن تستوطن في عينيه أكثر من أي وقت مضى.. أرادت التوغل والتوحد فيه. شدّ على يدها وهو يمسك يدها

الأخـرى ليخطفهـا بـين شـفاهه. . قبّـلَ يدهـا. . وضـع قبلاتـه المتخاذلـة في أنحـاء يدهـا. . اليـد المسـموحة مـن الجسـد. . اليد/الجسـد.

وكانـت تلـك القبلـة الأخـيرة مـن فجـرت باكـورة دموعهـا. قبلهـا في كفهـا. . عنـد أسـماء اللـه الثمانيـة عـشر. وكأنّـه يخاطـب اللـه سرًا. .

- "أكرمتنـي معهـا بحـق أسـمائك الثمانيـة عـشر. . وهـا أنـت تأخذهـا منـي بعظمـة أسـمائك الواحـد والثمانـين".

* * * * *

٥٠

واكتسـت أجسـاد النسـاء سـوادًا. . حـدادًا عـلى الشـمس التـي لفظـت روحهـا طفولتهـا الأولى والأخـيرة. . ورحـنَ النّسـاء يولولـنَ، ويبكـينَ فجيعتهـن. . ويلطمـنَ.

عجبًـا، أسـيعيد اللطـم والبـكاء الشـمس؟ غابـت الشـمس، وغابـت معهـا ضحـكات الفجـر. وكانـت ليـلى تجلـس في أحـد الأركان، لا تبـكي. فقـط ترمـي بناظرهـا أحيانًـا عـلى أقـلام شـمس الملونـة، وأوراقهـا البيضـاء، ودفاترهـا التـي لا تـزال مُلقـاة كـما هـي. . وكأنّهـا تنتظـر أناملهـا الصغـيرة لـكي تـأتي. . ولكنّهـا لا تـأت. .

أمسـكت هاتفهـا تتصـل بيـزن للمـرة الألـف بعـد المئـة، لكـن هاتفـه لا يـزال مغلقًـا. فنهضـت كظـل فقـد روحـه. . ألقـت بنظرهـا عـلى أمّهـا التـي كانـت تبـكي بحـسرة، لكـن ليـلى شـعرت بتحجـر

فؤادها، ولم تهرع إليها. . . ثم بعينيها أحاطت جميع النساء الباكيات، وأخذت حقيبتها. وخرجت في اتجاه محطة القطار، لتفرّ لمصر وأهلها.

وانقضت ساعات القطار الخمس في وجع، ولم ينبهها أنّها وصلت سوى سيدة تجلس قربها. فنهضت كأرملة سوداء تشكرها. وخرجت من القطار تنهمر مع المسافرين والمشاة. . في محطة رمسيس المبجلة. .

- "شبرا يا سطى. ."

فأجابها سائق الأجرة أن نعم. . فجلست في المقاعد الخلفية، وقالت له وهي تطالعه في المرآة:

- "شغل الراديو بعد أذنك، وياريت لو حاجة قديمة. ."

لم يجبها السائق بل بيديه راح يحرك القرص المتحكم في محطات الراديو بحثًا عن أغاني الزمن الجميل. . وكانت أم كلثوم تغني، لكن ليلى لم تميز غنائها. . وقالت:

- "علّي الصوت بعد إذنك. ."

ففعل السائِق. . فقالت:

- "علّيه أكتر بعد أذنك، وهديك عشرين جنيه زيادة على أجرتك. ."

كان السائق مندهشًا من أمرها، لكنّه فعل ما تريده، وقام برفع الصوت وهو يطالعها من خلال المرآة. . ثم بعدها وبطبيعة الحال راح يطالع الطريق أمامه. انقضت لحظات ثم عاد يطالعها

وقد سمع أنينًا غطى على صوت كلثوم. . ليجدها تبكي بحرقة لم يشهدها على أحد من قبل.

كانت تبكي وتحرك جسدها إلى الأمام والخلف وهي تحضن حقيبتها. كان سيقوم بإخراجها من السّيارة لولا ملاحظته لارتدائها الأسود، فرجح أن مات لها حبيب فربط الأمر ببكائها، وراح بأنانية الغرباء، من لن يهتموا لأمرنا، يطالع الطريق أمامه مجددًا، وقد قام برفع الصوت للمرة الثالثة، وهو يفكر بأمر العشرين جنيها الشهية.

*****

٥١

- "يسرا عاملة إيه؟"

كان ذلك أمجد يسأل أميرة هاتفيًا، فأجابته أميرة:

- "كويسة. . كانت عند الشّرقاوي في المستشفى"

فصاح أمجد قائلًا:

- "يا نهار أبوكو أسود!! يزن عرف؟؟ أنتو مجانين؟!"

- "اهدى بس. . لأ معرفش! راحت قعدت معاه شوية، صعبانين عليًّا قوي"

- "وهو سابها تخرج كده عادي؟"

- "لا. . أصلـو أخدهـا مشـوار كـده الصبـح وبعديـه عـلى طـول سـابها وراحـت هـي لأحمـد. ."

- "مشوار إيه؟"

- "معرفش. ."

- "إيه الدوشة اللي عندك دي"

- "أصـلي خرجـت ع البلكونـة، لأن ليـلى جـت فجـأة كـده. . وفي حاجـة غريبـة"

- "حاجة إيه؟!"

- "البنـت لابسـة أسـود فأسـود كأنّ ماتلهـا حـد، وعنيهـا اتعدمـوا مـن كـتر العيـاط. هـي معيطتـش قدامنـا، بـس بايـن قـوي إنهـا كانـت بتعيـط وبغبـاء. أنـا مـش عارفـة إيـه اليـوم الغريـب ده. ."

- "غريبة. . ." .

- "المهم، مفيش أخبار عن يزن؟"

- "لأ. . قافل موبايله. . بس أنا تقريبًا أعرف هو فين. . ."

- "فين. ."

- "الأزهر!!"

- "إيه؟!"

-"زيمبئولـك كـده. . أصلـه بيحـب المـكان ده قـوي، المـكان بيسـاعده عـلى النـكاء الفكـري. ."

- "لا والله؟! طب واحشني يا بو نكاء. ."

- "وإنتي كمان والله. . . بقولك إيه. ."

- "خير يا حبيبي؟"

- "حاسس إحساس غريب. . ومش عارف اتعامل معاه، أو أفسره. . غير إني أقولك إني بحبك ومش هحب حد زيك. ."

- "وأنا كمان بحبك. . بس قلقتني. ."

فأطلق أمجد ضحكة منهزمة، وقال:

- "ومش هعرف أطمنك. . بس. . معقولة كمان ٦ أيام هتكوني مراتي؟ معقولة بقى عندنا شقة منحلمش بيها؟! معقولة الدنيا حلوة وجميلة قوي كده؟! . . مش عارف"

- "أنت بس متوتر عشان معاد الفرح قرب. ."

- "يمكن"

- "يمكن إيه؟! ده أكيد!"

- "مش متعود من الدنيا أنها تكون حنينة. ."

- "تفاءل يا ميجو وخليها على الله"

- "ونعم بالله، يلا أنا هشوف يزن وابقى أطمنكوا. ."

- "ماشي يا روحي ربنا معك. ."

- "أميرة؟؟"

- "عيونها. ."

- "هتوحشيني. . قوي!"

- "وأنـت كـمان، متقلقـش أحبـي هنتكلـم كـمان شـوية. . خلـص أمـورك وتعـالا روحنـي ونتعـشى سـوى... عاملـين فتـة"

- "أيوه بقى. . سسسسسسس. . أفتتوا!!"

وراح يضحك، بالرغم من ثقل فؤاده. . وانتهت المكالمة

*****

٥٢

سـاحة بيضـاء طاهـرة، تحـوم حولهـا الملائكـة، حـول التائهـين، المتعبديـن منهـم. . والزائريـن. .

وكان يجلـس يـزن في السـاحة، يسـتند بظهـره عـلى أحـد الأعمـدة البيضـاء، يطالـع السـاحة. . والبـشر. . ثـم السَّـماء بـلا عمـد. . باحثًـا عـن السـكينة، ولكنّـه لا يجدهـا، ولا تجـده.

وأغمـض عينيـه سـهوة، وخـشي أن يشـهد كابوسًـا يقـضي عـلى يومـه، ففتـح عينيـه ليجـد أمجـد أمامـه يطالعـه باسـمًا. . فقـال بصـوت تعـب:

- "بتعمل إيه هنا؟"

فأجاب أمجد:

- "جاي أقعد مع صاحبي"

- "أنا مش صاحبك. ."

- "عندك حق. . أنا أخوك"

- "ميجو امشي من هنا"

- "طب بزمتك حد يبقى زعلان من حد ويناديه باسم دلعه. . .؟ طب والنبي لانت قايلها مرة كمان!"

- "لو سمحت امشي من هنا. . أنا عفاريت الدنيا بتتنطط حواليا دلوقتي"

فنظر أمجد حوله وقال:

- "فين ده؟! أنا مش شايف أيتوها عفاريت. . وبعدين العفاريت متتجرأش تيجي هنا. . إحنا العفاريت يا صاحبي"

ثم وضع يده على كتف يزن الأيمن، ولبُرهة استكان يزن وكان يود لو يحضن أقرب أصدقائه ثم يبكي. . . لكنه أزالها بعنف، ونهض قائلًا:

- "سايبهالك وماشي. ."

وسار بخطى سريعة نحو الخارج غير مكترث وهو يُعيد تشغيل هاتفه مجددًا ليتصل بفرح، كان يسمع نداءات أمجد له من خلفه لكنه لم يجبه، وانشغل بمكالمته:

- "فرح. . ."

- "غبت، وسبتني!"

- "غصب عني، أنا جايلك. ."

- "وهتطمني؟"

- "أطمنك من إيه؟!"

- "تقـولي إني بنـت كويسـة وشريفـة وإنّ نقطتـين الـدم ملهمـش علاقـة بـشرفي. ."

- "إنتي بتقولي إيه؟!"

ومن خلفه أتاه صوت أمجد عاليًا:

- "استنى بس يا إبني!!"

فاستدار له يزن غاضبًا:

- "عايـز مـن سـمايا إيـه؟! أنـا مـش عايـز أعـرف حـد فيكـو تـاني.. أنتــو خونة"

فصـاح أمجـد وبينهـما السـيارات إذ قطـع يـزن الطريـق خلفـه وقـال كالمجنـون وعـلى فمـه ضحكـة عجيبـة، كـم بـدا وجهـه فيهـا جميـل:

- "وأنا بحب أمك اللي جبتك يا زيزو. . تعالا بس. ."

فأشاح يزن بيده وأدار له ظهره، ليسمع من خلفه اصطدام عظيم..

ظـلّ يطالـع المشـهد غـير مُـدرك لـشيء، وقـد أكل الويـل لسـانه، ظـلّ صامتًـا. . ثـم قـال لفـرح بهـدوء:

- "أمجد خبطتو عربية. . . ."

كانت فرح تهذي لكنّه لم يسمعها، فقال لها مجددًا:

- "أمجد خبطته عربية. . أمجد!!!"

وركض إليه كالمجنون. . وركع إلى جواره يحمل جزأه العلوي:

- "أمجد. ."

لكن الأخير كان يطالعه وهو يرتجف ويبصق الدماء. . فصاح يزن:

- "لا بقولك إيه متستهبلش. . . دي خبطة بسيطة استرجل. . ."

وراح يضحك كالمعتوه وهو يضمه إلى صدره.

في حين همس الأخير:

- أميرة!!!

وتجمع الحشود، واتصل فاعل خير بسيارة إسعاف، أخذتهما إلى أقرب مستشفى. . . . .

* * * * *

٥٣

تعانقنا الفجيعة، ولا تسألنا ما إذا كنّا نشتهي عناقها لنا أم لا، بل إنّها تفعل ولا تبالي، وإنْ سألنا: لِمَ؟ . .

قالت:

- أوصاني بكم الألم. . وإنّي أنفذ الوصية. .

وها نحن في غرفة الانتظار مجددًا في المستشفى، وقد ظهر الشّرقاوي وعبدالله وأميرة باكية قرب والديها ووالدي أمجد، ومعها يسرا. . تود لو تعانق أخيها، ولكنّها لا تفعل. . وليلى تقف

في ركنـة مجـاورة تطالعهـم بصمـت. . في حـين وصـول فـرح متأخـرة قليـلًا، تحـاول أن تقـرأ الوجـوه ولكنّهـا تفشـل. . حتَّـى عندمـا مـرّت عينيهـا بعينـي يـزن. . لم يطمئنهـا شيء، فلـم تقـترب أكـثر، ثم اسـتقرت عينيهـا عـلى الأرملـة السـوداء، بـالألم الظاهـر عـلى سـمارها. . . أمـا الشّرقـاوي، فـكان يطالـع صديقـه بعجـز، ثـم اقـترب منـه بقلـق وقـال:

- "ربنا يكتب الخير، متقلقش يا يزن. ."

وراح يطالـع قميصـه المـضرج بدمـاء أمجـد. . . وعـاد لمكانه يسـتند عـلى الحائـط يبـكي، ثـم بعينيـه مـرّ بيـسرا التـي كانـت شـاردة. . فعـاد يـشرد هـو الآخر.

وكان والـد أمجـد واقفًـا يدّعـي الصمـود، وقلبـه يبـكي ألـف عـام وهـو يذكـر محادثتـه الأخـيرة مـع أمجـد، ويذكـر كـم كان قاسـيًا أمـام خـذلان ابنـه. . .

وعبداللـه كان يدعـو اللـه ولا يمـلّ اسـتغفارًا، فاطمئنـت لـه فـرح وكأنّهـا تريـد أن يهـلّ عليهـا بعضًـا مـن بركاتـه، فاقتربـت منـه وقالـت هامسـة:

- "مُمكن دقيقة بعد إذنك. . .؟"

فرفـع عبداللـه ناظـره إليهـا سريعًـا، ثـم عـاد يغـض بـصره، ويقـول مُرحّبًا:

- "أكيد. ."

وسارا على بعد خطوات منهم، وقالت:

- "أولًا أنـا اسـمي فـرح، ومعرفـش حـد فيكـو غـير يـزن. . . والـلي عرفتـه أنـه صاحبـه عمـل حادثـة. أنـا بـس عايـزه أعـرف حـد مـن أهلـه هنـا أواسـيه؟"

فقال عبدالله:

- "كلنـا أهلـه. . . بـس بـصي حضرتـك، الحجـة الـلي واقفـة عـلى اليمـين والراجـل الـلي جمبهـا دول أهـل أمجـد الـلي عمـل حادثـة، والآنسـة الـلي بتعيـط جمبيهـم دي مـع الحـج والحجـة الـلي حضنينها، دي أمـيرة خطيبتـه ودول أهلهـا. . والبنوتـة أم شـعر قصـير دي تبقـى أخـت يـزن. ."

فراحـت فـرح تطالعهـا بحـب قبـل أن يكمـل عبداللـه حديثـه قائـلًا:

- "والشَّـاب الـلي بعافيـة شـوية واقـف هنـاك ده أحمـد، وأنـا اسـمي عبداللـه. . صحـاب يـزن. . إن شـاء اللـه. ."

صمتت فرح قليلًا وقالت:

- "مممم. . والسمرا أم أسود فأسود دي مين؟"

فقال عبدالله سريعًا:

- "يـاااااه. . تصدقـي مخدتـش بـالي إن ليـلى هنـا؟ . . ليـلى دي تبقـى خطيبـة يـزن"

صمتت فرح للحظات، ثم قالت:

- "مش فاهمة. . خطيبته إزاي؟"

فراح عبدالله يضحك بانهزام قائلًا:

"- زي الناس. . في الحياة. ."

ثم التفت إلى الدكتور الذي خرج لهم أخيرًا وقال لها سريعًا:

- "عن إذنك"

ليتركها في الدّركِ الأسفل من الصدمة. .

في حين توسط الطبيب بينهم وقوله:

- "حاولنا على قد ما نقدر. . أنا آسف. . البقاء لله!!"

وهذا هو الموت، الزائر الذي لا يستأذننا القدوم، بل يأتي كما يشاء محمّلًا بالسواد. . إذ عنده دومًا تأشيرات الدخول وقبض الروح.

عبدالله والشّرقاوي كانا يبكيان قرب يزن، وهنا ركع يزن، وراح يصيح وسط الباكين، ويصرخ عاليًا:

- لا إله إلا الله. . . لا إله إلا الله محمد رسول الله!!!!! حكمتك وآمنت بيها يارب. إنا لله وإنا إليه راجعون. . . إنا لله وإنا إليه راجعون.

وراح يبكي كطفل يتيم، ولا يواري سوءته شيء. . وفرح تطالعه من بعد ذاهلة. . وعينيها تدمعان. .

ثم تمرر عينيها على أميرة التي لن تكون يومًا أميرة، وتراها تسقط أرضًا وتتلوى من الألم وقد حلّ عليها الفقد، وحولها والديها يبكيان ويحاولان تهدئتها. . . أما أم أمجد، فجلست على الأرض تبكي:

- "ابني. . . لااااا. . ابني. . . ."

ثم تلطم وجهها. . في حين وقوف أبيه قربها كالصنم. . وراح يتمتم:

- "هـو أنـا كلـت مـن البطيخـة الـلي جابهـا ميجـو آخـر مـرة؟؟ بايـنـلي مكلتـش. . . طـب. . طـب. . عينتيـلي منهـا يـا أمـو أمجـد؟؟ قـولي آه والنبـي. . أصلـه هيفـرح قـوي لمـا يعـرف إني كلـت منهـا. . أو. . أو ممكـن نـاكل منهـا أنـا وهـو النهـاردة لمـا نـروح. . مـع سـيجارتين، وكوبايتـين شـاي في الخمسـينة. . ولا إيـه يـا أم ميجـو!!"

وهنـا تحركـت ذات الـرداء الأسـود ليـلى، وقـد راحـت تبـكي أضعافًا مضاعفـة وهـي تقـترب مـن يـزن، تركـع قربـه، تحـاول محادثتـه، فيرفـع ناظـره إليهـا. . ليبـكي أكـثر وهـي تمسـح دمـوع قلبـه فيأخـذ يدهـا يقبـل كفهـا. . .

كـم بـدت ليـلى طاهـرة متطهـرة حتَّـى أصـاب فـرح الوجـع. . . وراحـت تقـارن بـين طهرهـا، ومـا تـراه قبيحًـا في نفسـها. . ثـم أطلقـت ضحكـة لم يسـمعها أحـد. . وانصرفـت تحـصي الوجـع.

*****

٥٤

قـادت فـرح إلى مـصر الجديـدة. . وكانـت تسـابق الريـاح، وقـد انتابتهـا هيسـتيريا الضحـك، لتترجـل مـن سيارتها، لتقـف أمـام محـل كبـير سـمعت عنـه في أحـد مواقـع الإنترنـت. . . وكان مغلقًـا. . فراحـت تتعلـق بالزجـاج وكأنّهـا تتمنّـى الدخـول، ليأتيهـا صـوت مـن خلفهـا:

- "بنفتح من ٤ ل ١١ يا آنسة. . ."

فالتفتت إليه وقالت:

- "أنت صاحب المكان؟"

أجابها:

- "آه. . وساكن هنا. . نزلت أجيب سجاير. . تحبي افتحه ليكي حالًا؟"

- "يا ريت. . ."

وابتسمت له وفي روحها براكين ألم لا فوهات لها. .

- "أول مرة تعملي تاتّو؟ ولا عملتيه قبل كده؟"

- "لأ خالص. . . دي أول مرة. . ."

- "تمام. . بصي الموديلات عندك أهي. . أسيبك تبصي فيها براحتك وتختاري الأحسن منها. ."

- "لأ. . مش عايزة رسمة، عايزة كلام. . كلمة. . على كتفي الشمال من ورا. ."

فابتسم لها قائلًا:

- "كلمة إيه؟؟"

- "كلمة بالخط الكوفي. . والتشكيل. . ."

ثم صمتت قليلًا وقالت:

- "ملحدة"

* * * * *